

تفريغ شرح القواعد
المثلى في صفات الله
وأسمائه الحُسنى

للشيخ
علي الرّملي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

أخي القارئ هذا الكتاب هو ثمرة جهد من تفرّغات إخواننا طلبة العلم بموقع شبكة الدين القيم¹ , و لما كانت تلك التفرّغات متفرّقة على مواقعهم و غير مجموعة في كُتب , كان مّي أن جمعت كل تفرّغ في كتاب بصيغة pdf لأجل الإستخدام الشّخصي , فلمّا وجدتُ نفعها كثير و خيرها عميم رأيت نشرها على موقع منتدى زديني العلمية² .
أسأل -الله عز و جل - أن ينفع بها الجميع .

أخوكم :

أبو عبدالله العربي الجزائري

¹ رابط موقع شبكة الدين القيم: <http://www.alqayim.net>

² رابط مدونة زديني العلمية : <http://www.vb-zeydni.blogspot.com>

القواعد المثلى في شرح صفات الله وأسمائه الحسنى

الدرس الأول

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فنبداً بإذن الله سبحانه وتعالى بشرح كتاب القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للشيخ العلم الإمام الفاضل الكبير الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى وجزاه الله عنا وعن الإسلام خيراً لما قدم من خير ونفع، وقد نفع الله سبحانه وتعالى بهذا الإمام نفعاً عظيماً في هذا الزمن، فجزاه الله خيراً.

الكتاب هو: "القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى"، الكتاب يركز على قسم من أقسام التوحيد وهو توحيد الأسماء والصفات، أي: أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته، فالكتاب هو عبارة عن قواعد ذكرها المؤلف رحمه الله في أسماء الله وصفاته، وهذه القواعد جمع فيها أصول أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، إلا أنه جمعها على هيئة قواعد كي يسهل حفظها وتسهيل معرفتها ولم يأت المؤلف بشيء من عنده، هذا العمل هو مسبق إليه لكنه جمعها في مصنف واحد، وهي قواعد استخلصت من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فمنهجهم في الأسماء والصفات كان واضحاً معلوماً ولم يكن بينهم خلاف فيها حتى نشأت فرق المبتدعة والضلال الذين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنهم في عدة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم: "ستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: الجماعة"، وفي رواية قال: "ما أنا عليه وأصحابي"، فبين النبي صلى الله عليه وسلم هنا أن الفرق ستوجد في هذه الأمة وأن أهل الضلال وأهل الأهواء سيظهرون وبين لنا طريق الحق حتى لا نضل ونزيغ معهم في ضلالهم وحذرنا النبي صلى الله عليه وسلم منهم، فقال: "دعاة

على أبواب جهنم من أجابهم قذفوه فيها" قالوا: صفهم لنا يا رسول الله؟ قال: "هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا"، فالنبي صلى الله عليه وسلم ما مات حتى بين لنا كل شيء، بين لنا الحق وحذرنا من الباطل وأهله وذكر عليه الصلاة والسلام أنه سيظهر أناس جهال، سيرجع إليهم عامة الناس في الفتوى كما قال عليه الصلاة والسلام، "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بقبض العلماء فإذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسئلوا فأفتوا فضلوا وأضلوا"، وهذه كلها أسباب ظهور البدع والضلالات والانحراف عن طريق السلف رضي الله عنهم: الأهواء والجهل.

في بداية الأمر لم يكن الانحراف في أسماء الله وصفاته قد ظهر فالصحابه رضي الله عنهم كانوا أصحاب علم غزير وكانوا على درجة عظيمة من التقوى والصلاح فما كان منهم من يجرء على أن يغير أو يبدل في دين الله حتى نشأ في هذه الأمة نبيهم من المنافقين ومن الزنادقة ومن أصحاب الأهواء والضلال فبدأوا يتجرؤون على أسماء الله وصفاته جل وعزّ، فقالوا أقوالاً لم يعرفها السلف وأظهروا البدع والضلالات وبداية أمرهم كانوا ضعفاء، فإذا أظهر الرجل منهم مقالة فيها ظلال قاموا عليه ومنعوه وربما قتلوه كما قتل الجعد بن درهم وغيره، حتى كثر الفساد وانتهت القرون الثلاثة الأولى التي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الخير والحق فيها سيبقى ظاهر بقوله عليه الصلاة والسلام: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" فذكر ثلاثة قرون ثم بعد ذلك ذم ما بعدها، فالحق يبقى منتشراً وظاهراً وقوياً عزيزاً في القرون الثلاثة الأولى ثم بعد ذلك ينتشر الباطل ويكثر، ومهما انتشر وكثر فلا يعرف الحق بالكثرة، فالكثرة قد ذمت في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أكثر من موضع، ذم الله سبحانه وتعالى أكثر الناس ووصفهم بأنهم كافرون، وبأنهم لا يشكرون، وغير ذلك من الأوصاف، الحق لا يعرف بالكثرة، بل قد جاءت أدلة تدل على أن أهل الحق قلة في أحيان كثيرة، وجاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: "يأتي النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان والنبي وليس معه أحد"، هذا يدل على أن الحق لا يعرف بالقلّة أو الكثرة، إنّما يعرف بالأدلة من الكتاب والسنة، فعهد الصحابة كان صافياً نقياً وفي آخر عهد التابعين بدأت تظهر هذه الأصوات الشاذة، أصوات أهل البدع والضلال، وبدأوا يقررون ما يخالف منهج السلف رضي الله عنهم وبقي أمرهم ضعيفاً إلى ما بعد القرون الثلاثة الأولى، فتبنى أفكارهم بعض الحكام، بعض الأمراء، فنشر هذه البدع وقوى أمرها وامتنح أهل السنة فعذبهم وقتلهم حتى صارت لأهل البدع شوكة فنشروا ضلالهم في البلاد وبقي الضلال هذا ينتشر من سنة إلى أخرى وما يأتي عام إلا والذي بعده شر منه كما قال عليه الصلاة والسلام لكن الحق يبقى ظاهراً كما قال عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم أو من خذلهم حتى يأتي أمر الله" وإن كانوا قلة إلا أن قولهم يبقى ظاهراً وحجتهم تبقى قوية كي يقيم الله سبحانه وتعالى الحجة على العباد بهم، ومن تتبع التاريخ عرف هذا ووجد أنه لا يزال طائفة من الناس قائمة بشرع الله تبارك وتعالى، قائمة بالحق، ناشرة له، صادعة به، هذا المنهج الذي كان عليه السلف هو الذي نتمسك به، درسه العلماء واتقنوه وقعدوا القواعد التي بُنيت عليه فذكروها لنا وجمعها لنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين جزاه الله عنا خيراً في هذا الكتاب.

فهو كتاب نفيس ممتع نافع من أراد أن يتقن هذا القسم من أقسام التوحيد فليركز على إتقان هذا الكتاب، وإذا أردت أن تعرف قدر كتاب من الكتب فانظر إلى موقف العلماء منه وماذا يقولون فيه.

هذا الكتاب قد أثنى عليه العلماء ومدحوه وشرحوه حتى في زمان حياة المؤلف رحمه الله، وهذا نادراً ما يحصل إلا مع كتب مميزة، شرحه علماء أفاضل كبار، فإذا أقبل العلماء على كتاب تعرف أن لهذا الكتاب قدر وميزة على غيره، وهذا ما حصل مع كتابنا هذا، لذلك نحب أن نشرحه للطلبة كي يتقنوا هذا المبحث، وسنشرحه إن شاء

الله بطريقة مُيسرة سهلة يستطيع الطالب فهمه بها، لن نتعمق في المباحث لأنّ الغاية هي فهم القاعدة التي وضعها المؤلف رحمه الله وتأصيل هذا التوحيد، توحيد الأسماء والصفات.

"القواعد المثلّي في صفات الله وأسمائه الحُسنى"

أول ما نبدأ بفهم معنى العنوان: "القواعد المثلّي".

القواعد: معروفة مشهورة، الآن ربّما إذا فسرتها بأكثر مما هي معروفة عندكم ربّما يحصل عندكم بعض التشويش فنكتفي بما تعلمونه عنها، يكفي أن تعلم أنّها كليات تنطبق عليها جزئيات كثيرة.

المثلّي: فهي مؤنث "أمثل"، تقول هذا الكتاب أمثل من هذا الكتاب، يعني: هذا الكتاب أفضل وأحسن من هذا الكتاب، فالأمثل هو الأفضل وهو أفعل تفضيل، أي: أنّ الكتاب مفضل على غيره، فهو أفضل منه، وهذا معنى المثلّي، أنّها قواعد أحسن من غيرها وأفضل، فهي مقدمة على غيرها.

القواعد المثلّي في صفات الله وأسمائه الحُسنى، ما الفرق بين الاسم والصفة؟ الآن مطلقاً من غير تقييد نقول:

الاسم: ما دلّ على مُسمّى، زيد يدلّ على شخص يُسمّى بهذا الاسم، بكر كذلك، عمر، خالد... الخ.

هذا اسم يدلّ على شخص يُسمّى به فقط.

الصِّفَة: هي نعت تدلّ على وجود صفة في شخص، تقول: زيدٌ كريمٌ، "كريم" هذا وصف وصفته أنت بالكرم، فتدلّ على صِفة موجودة في زيد وهي صفة الكرم، هذا الفرق بين الاسم والصفة.

ولله تبارك وتعالى أسماء وله صفات كما دلّ على ذلك كتاب الله تبارك وتعالى ودلّت عليه سنة النبي صلى الله عليه وسلم والاجماع مُنعقد على هذا، أنّ لله تبارك وتعالى أسماء وله صفات، (إجماع أهل السّنة أمّا أهل البدعة فلا عبرة بهم).

الحُسنى: سيأتي تفسيرها من كلام المؤلف إن شاء الله.

إذاً معنى الموضوع أو العنوان يدلّ على مادة الكتاب، فيقول لنا: هذا الكتاب هو عبارة عن قواعد، هذه القواعد موصوفة بأنها أفضل وأحسن من غيرها، وهي حَسَنَة طَيِّبَة، هذه القواعد في صفات الله وأسمائه الحُسنى.

قال المؤلف رحمه الله: "المقدمة: الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلّل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان وسلّم تسليمًا.

وبعد:

فإن الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى وهي: الإيمان بوجود الله تعالى. والإيمان بربوبيته. والإيمان بألوهيته. والإيمان بأسمائه وصفاته".
قد ذكرنا لكم هذا سابقاً.

الإيمان: هو التصديق بأسماء الله وصفاته، بأن تُصدّق بما جاء من ذلك في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.
قال: "أحد أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى"، لما يقول هو أحد الأركان، إذاً لا يصحّ الشيء إلا به، فالإيمان بالله أركانه أربعة:

"الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى": وهذا قد أخلّ به الملحدون، الملحدون لا يؤمنون بوجود الله أصلاً، فهؤلاء ليسوا مؤمنين بهذا الركن، طبعاً من كفر بهذا الركن كفر بما بعده، فهو كافر بأركان الإيمان بالله كلّها، الإيمان بوجود الله قد أقام الله سبحانه وتعالى أدلّة واضحة على وجوده تبارك وتعالى، فكلّ هذه الآثار التي نراها أمامنا من خلق السماوات والأرض وخلق أنفسنا وخلق الإبل والجبال وغيرها كلّها تدلّ على وجود الله تبارك وتعالى ولا يُنكر هذا إلا جاحد، هو كاذب، في قرارة نفسه يؤمن بذلك لكنّه يريد أن يكذب لا يريد أن يؤمن فقط، هذه خلاصة الأمر، وقد ذكرنا

الأمر وشرحناه في ثلاثة الأصول وفي كتاب التوحيد.

"الإيمان بربوبيته": يعني الإيمان بأن الله هو الخالق الرازق المدبر لهذا الكون وهذا يحصل فيه خلل من قبل بعض المشركين مثل عبدة القبور مثلاً الذين يطلبون الرزق من أوليائهم وساداتهم، يطلبون منهم الرزق ويطلبون منهم الولد، هؤلاء حصل عندهم كفر بالله تبارك وتعالى من هذه الناحية، فكفروا بربوبية الله سبحانه وتعالى، وكذلك الرافضة منهم من يعتقد أن الحسين له تدبير لهذا الكون وكذلك علي له تدبير لهذا الكون، هؤلاء قد أشركوا بالله سبحانه وتعالى في هذا الركن من أركان الإيمان بالله تبارك وتعالى.

"الإيمان بألوهيته": يعني بعبادته، هو أكثر الأنواع التي حصل فيها خلل وشرك بالله سبحانه وتعالى، فعُبدَ غير الله سبحانه وتعالى من قديم الزمان من قوم نوح إلى أيامنا هذه حتى من بعض الذين يدعون الإسلام، قد وقع الشرك في هذا النوع من التوحيد وقد تحدثنا عنه في شرح كتاب التوحيد بما فيه كفاية إن شاء الله، فأفرد في كتاب مستقل لما كثر الانحراف فيه في أمة محمد، لما كثر الانحراف فيه أفرد بالتأليف.

"الإيمان بأسمائه وصفاته": وهذا الركن الرابع هو ما نحن بصدد الحديث عنه وشرح هذا الكتاب لأجله.

قال: "وتوحيد الله به" يعني: بالإيمان بأسمائه وصفاته، "أحد أقسام التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. فنزلته في الدين عالية"، يعني: مقامه رفيع في دين الله تبارك وتعالى فهو أحد أقسام التوحيد، قال: "وأهميته عظيمة، ولا يمكن أحداً أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء الله تعالى وصفاته، ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا"، وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة" يعني: لا يمكن لك أن تعبد الله سبحانه وتعالى العبادة المطلوبة منك التامة إلا بأن تعلم أسماء الله سبحانه وتعالى وصفاته، فالعبد إذا أراد أن تكون عبادته على بصيرة، يعني: على علم، وصحيحة كما أرادها الله

سبحانه وتعالى أن تكون منه، لا بدّ أن يكون على علم بأسماء الله وصفاته، فأنت تحتاج إلى ذلك في دعاء المسألة وفي دعاء العبادة.

الدعاء قسمان: "دعاء مسألة": الذي نُسميه نحن الدعاء، ترفع يديك إلى الله سبحانه وتعالى وتطلب منه وتدعوه: اللهم ارزقني، اللهم اغفر لي، هذا يُسمى دعاء مسألة. والقسم الثاني: "دعاء العبادة": ويدخل في هذا جميع أنواع العبادات من: صلاة وزكاة وحجّ وذبح وغير ذلك، كلّ هذه العبادات تُسمى دعاء العبادة ففي دعاء المسألة أنت بحاجة إلى العلم بأسماء الله وصفاته، وفي دعاء العبادة كذلك يبيّن لنا المؤلف نفسه كيف هذا؟ كيف أنت بحاجة إلى ذلك؟

قال: "دعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسباً، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، يا رحيم ارحمني، يا حفيظ احفظني، ونحو ذلك". تقدم الاسم الذي يتضمن صفة تناسب مطلوبك، هذا مقصود المؤلف هنا، يعني: عندما تقول: يا غفور اغفر لي، اسم الله سبحانه وتعالى الغفور يتضمن صفة، يعني: له معنى يدلّ على صفة موجودة في هذا الاسم وهي صفة المغفرة، فالله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب، فأنت تقول: يا غفور اغفر لي، لماذا اخترت هذا الاسم؟ لأنّه يدلّ على صفة المغفرة التي أنت بحاجة إليها فلذلك دعوته بها، وهذه طريقة الأنبياء بالدعاء، عندما تقرأ القرآن وتأمل دعاء الأنبياء تجده بهذه الطريقة، إذا أراد رزقاً، يطلب الرزق فيقول: "وأنت خير الرازقين"، يا رزاق ارزقني، يا رحمن ارحمني، وهكذا. علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول: "رب اغفر لي وتب عليّ إنك أنت التواب الغفور"، انظر كيف يكون الدعاء، يذكر الأسماء التي تتضمن صفات أنت بحاجة إلى دعاء الله سبحانه وتعالى بمعناها، يا غفور اغفر لي، هكذا يكون دعاء المسألة، فأنت إذاً بحاجة إلى أن تعلم هذه الأسماء كي تدعوه بها، يا رزاق ارزقني عندما تريد الرزق.

قال: "ودعاء العبادة: أن نتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء" ما معنى أن نتعبد الله سبحانه

وتعالى بمقتضى هذه الأسماء؟ يعني: بما تدلّ عليه هذه الأسماء، "فتقوم بالتوبة إليه لأنّه التواب، وتذكره بلسانك لأنّه السميع" نتعبد لله سبحانه وتعالى بما تدلّ عليه هذه الأسماء، اسم الله سبحانه وتعالى التواب الذي يتوب على عباده يغفر لهم يتجاوز عنهم فأنت تتوب إليه كي يتوب عليك، تقلع عن الذنب ولا تعود إليه وترجو منه تبارك وتعالى أن يغفر لك وأن يتوب عليك باسمه التواب وتذكره بلسانك لأنّه السميع، اسمه السميع أي: أنّه يسمعك فإذا كان يسمعك ماذا تفعل؟ تذكره بلسانك كي يسمع منك الذكر ويأجرِكَ عليه وكذلك لا تقول ما يغضبه من المحرمات كي لا يسمع منك حراماً فتؤزّر عليه، قال: "ونتعبّد له بجوارحك لأنّه البصير" لأنّه يراك فتتعبد له، فتريد منه أن يراك في عبادة وفي طاعة فلها علمت اسمه السميع والبصير تعبدت له بذلك بأن ذكرته وتعبدت له بالذكر لكي يسمعك وتعبدت له بأفعالك لكي يراك وأنت نتعبد، "وتخشاه في السرّ لأنّه اللطيف الخبير، وهكذا" يعني: الذي يعلم كلّ شيء، ما خفي وما ظهر، فإذا علمت هذه الأسماء وعلمت معانيها تعبدت له بها، إذاً لا بد على الموحّد أن يتعلم أسماء الله سبحانه وتعالى وما تقتضيه.

يعرف معانيها، وإذا عرفت صفات الله سبحانه وتعالى أيضاً رجوته بها فإذا علمت أنّ من صفاته أنّه يغفر الذنوب تستغفر وتتوب وهكذا.

قال المؤلف رحمه الله: "ومن أجل منزلته هذه" يعني: من أجل مكانة هذا العلم، العلم بأسماء الله وصفاته "ومن أجل كلام الناس فيه بالحقّ تارة وبالباطل الناشئ عن الجهل والتعصب تارة أخرى" أي: لسببين ألفت كتابي هذا:

السبب الأول: لمكانة هذا العلم.

السبب الثاني: أنّ الناس قد خاضوا فيه وتكلّموا، بعضهم تكلم فيه بالحقّ وبعضهم تكلم فيه بالباطل، وسبب كلامه فيه بالباطل الجهل أو التعصب.

"أحببت أن أكتب فيه ما تيسر من القواعد، راجياً من الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعا لعباده" آمين، ونحن نرجو من الله سبحانه وتعالى

أن يجعل شرحنا هذا خالصاً لوجهه موافقاً لمرضاته نافعا لعباده، ونسال الله سبحانه وتعالى أن ييسر لنا ولكم الخير.

"وسميته: القواعد المثلى في صفات الله تعالى وأسمائه الحُسنى" ثم يبدأ بعد ذلك المؤلف بأول الكتاب ونأجل ذلك للدرس القادم، وفقنا الله وإياكم لطاعته.

الدرس الثاني :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
قال المؤلف رحمه الله: "الفصل الأول: قواعد في أسماء الله تعالى".
هذه القواعد التي سيذكرها المؤلف الآن هي خاصة بأسماء الله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك سيذكر الأسماء التي تتعلق بالصفات.
قال رحمه الله: "القاعدة الأولى: أسماء الله تعالى كلّها حسنى".
"أي: بالغة في الحسن غايته، قال الله تعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى" (الأعراف: 180)
وذلك لأنّها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا".

أسماء الله تبارك وتعالى كلّها حسنى، يعني: حسنة، قد بلغت في الحسن غايته، أي: كماله، فهي أسماء متضمنة لصفات وهذه الصفات صفات كمال، فالأسماء هذه أسماء حسنة لكمالها، هذا معنى كونها حسنى، وهذه القاعدة مأخوذة من قول الله تبارك وتعالى: "وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى"، قال: "وذلك لأنّها متضمنة لصفات كاملة" يعني: لماذا قد حصلت هذه الأسماء على الكمال؟ لأنّ كلّ اسم منها يدلّ على صفة وهذه الصفة صفة كمال كما سيأتي التمثيل من كلام المؤلف نفسه رحمه الله، "لا نقص فيها بوجه من الوجوه، لا احتمالاً ولا تقديرًا"، أي: لا يعترها النقص أبداً، لا يمكنك أن تحتل النقص فيها، يعني: تقول ربّما يأتيها النقص من هذه الجهة أو من هذه الجهة، ولا يمكنك أن تقدّر النقص فيها أيضاً، فلا يتطرق إليها النقص، "لا احتمالاً" أي: لفظها لا يحتمل النقص أبداً كالعليم والحكيم وما شابه، فمن الألفاظ ما يحتمل النقص كالماكر والمخادع مثلاً، هذه الأسماء تحتل النقص، إذا لم تكن على وجه المقابلة فتكون فيها نقص، لكن إذا كانت على وجه المقابلة كأن تقول: فلان يكر بفلان لأنّ فلاناً قد مكر به، هذا لا يكون نقصاً، لكنّ المهم نفس الكلمة تحتل

النقص لذلك لا يُسمى الله سبحانه وتعالى بها: الماكر والمخادع لأنها تحتل النص، فتكون نقصاً في حال وكلاً في حال، هذا معنى قوله: "لا احتمالاً"، أمّا قوله: "ولا تقديرًا" فمن الأسماء ما يُقدّر النص فيها تقديرًا ذهنيًا، يعني: في عقلك فقط كالمتكلم والمريد، لا يُسمى الله سبحانه وتعالى بالمتكلم، هو يوصف بهذا ويتكلم، لكن لا نسميه المتكلم لأنّ المتكلم قد يتكلم بخير وقد يتكلم بشرّ، إذاً فيمكن أنت أن تقدّر ذهنيًا الكلام بالشرّ، فلا يُسمى الله سبحانه وتعالى باسم يمكن أن يقدر فيه النص، هذا معنى كلام المؤلف، إذاً أسماء الله سبحانه وتعالى التي يُسمى بها هي كمال من جميع الوجوه، لا يتطرق إليها النص أبداً ولا حتى في الاحتمال والتقدير، هذا المعنى الذي أراده المؤلف، ومثّل على هذا بقوله:

"مثال ذلك: "الحيّ": اسم من أسماء الله تعالى، مُتضمن للحياة الكاملة التي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الحياة المستلزمة لكمال الصفات من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها".

مثّل المؤلف باسم: الحيّ، فهذا اسم لله سبحانه وتعالى وهو من الأسماء الحسنى التي بلغت في الحسن غايته، فهو اسم يتضمن صفة كمال، صفة كاملة ليس فيها نقص أبداً، المثال الذي معنا: الحيّ يتضمن صفة الحياة، وهذه الحياة حياة كاملة، كيف تكون الحياة كاملة؟ إذا لم تُسبق بعدم، انظر مثلاً إلى المخلوقين لهم حياة، وهم أحياء، لكنّ حياتهم ناقصة، لماذا؟ لأنّها سُبقت بعدم، لم يكونوا موجودين ثم وُجدوا بعد ذلك، فهي حياة ناقصة، هذا أولاً، ثانياً: حياة الله سبحانه وتعالى لا يلحقها زوال، يعني: فناء، لا يمكن أن تفنى، لا يجوز عليها الزوال أبداً، لا يجوز عليها الفناء أبداً، حياة المخلوق تفنى أو يجوز عليها الفناء، ربّما تقول لي: أهل الجنة مخلدون، هم مخلدون لكنّ يجوز أن يفنوا أم لا يجوز؟ يجوز، أمرهم بيد الله سبحانه وتعالى، إذاً من حيث الجواز جائز، نعي بالجواز هنا أنّه ممكن، من حيث الإمكان ممكن، لكنّ حياة الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يلحقها زوال، والحياة الكاملة حياة الله سبحانه وتعالى من لوازمها:

يعني مما يقترب بها، عندما نقول لك: هذا لازم لهذا يعني: أنه يوجد بوجوده، أنه مقترب به، (الحياة المستلزمة لكمال الصفات) حياة الله سبحانه وتعالى حياة تستلزم، أي: مقترب بها ومعها الصفات الكاملة من العلم والقدرة والسمع والبصر وغيرها من الصفات، ثم مثل المؤلف بمثال ثانٍ على الأسماء الحسنى وهو العليم. قال: "ومثال آخر: "العليم" اسم من أسماء الله، متضمن للعلم الكامل الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان".

عليم: على وزن فعيل، كسميع وبصير، هذا الوزن الأسماء التي فيه تدلّ على المبالغة في الصفة الذي يتضمنها، لما تقول: "عليم" يعني: كثير العلم، "سميع" يعني: عظيم السمع، وهكذا، العليم: اسم من أسماء الله متضمن للعلم، ماذا يعني متضمن؟ يعني: يدلّ أيضاً على صفة موجودة في هذا الاسم، متضمن للعلم الكامل الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه، متى يكون النقص في العلم، قال: الذي لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان، هذا هو النقص في العلم، انظر إلى علم المخلوق، علم ناقص وليس كاملاً، لماذا؟ لأنه مسبق بجهل، فالمخلوق عندما يوجد من العدم يكون فارغاً من العلم، ثم يبدأ يتعلم شيئاً فشيئاً، وهو مع ذلك لا يحيط بكلّ شيء علماً، ثم بعد ذلك علمه يلحقه نسيان وغفلة، هذا علم ناقص، أمّا علم الله كامل، فهو لم يسبق بجهل ولا يلحقه نسيان ولا غفلة، وعلمه محيط بكلّ شيء، إذاً اسمه العليم اسم كمال، من الأسماء الحسنى التي بلغت في الحسن غايتها.

يقول المؤلف: "قال الله تعالى: "عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى"، بين في هذا كمال علمه، لا يجهل ولا ينسى.

قال المؤلف: "العلم الواسع المحيط بكلّ شيء جملة وتفصيلاً"، محيط بكلّ شيء، بالجملة: يعلم ما في هذا الكون، وبالتفصيل: يعلم زيداً ما الذي سيفعله وما الذي فعله، ويعلم كذلك عمرو وكذا، والحيوانات: الطيور، كلّ شيء، حتى ورقة الشجر عندما تسقط يعلمها.

"سواءً ما يتعلق بأفعاله أو أفعال خلقه"، كَلَّه يَعْلَمُهُ، هو يحْيِي ويميت فهو يعلم أَنَّهُ سيحيي فلان وسميت فلان، فلان سيعصي هو يعلم ذلك، سواء فلان سيكفر، فلان سيؤمن، هو عنده علم كل شيء، فلا يعزب عنه علم شيء، سواء كانت هذه الأشياء من أفعاله هو سبحانه وتعالى أو من أفعال خلقه كلها معلومة.

"قال الله تعالى: "وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (الأنعام: 59)" في كتاب كَلَّه مكتوب، ولا رطب ولا يابس: قد شمل كل شيء، فكل شيء إما رطب أو يابس.

قال: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ" (هود: 6)، كل شيء مكتوب عنده، عَلَيْهِ فكتبه. "يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ" (التغابن: 4)، هذا كَلَّه يدل على أَنَّ هذا الاسم اسم العليم قد تضمن صفة العلم، وهذه صفة كمال تام لله تبارك وتعالى، فهو من الأسماء الحسنى. قال: "ومثال ثالث"، أيضاً مثال ثالث على الأسماء الحسنى.

"الرحمن": اسم من أسماء الله تعالى، متضمن للرحمة الكاملة التي قال عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لله أرحم بعباده من هذه بولدها". يعني: أم صبي وجدته في السبي فأخذته وألصقته بطنها وأرضعته، ومتضمن أيضاً للرحمة الواسعة التي قال الله عنها: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ" (الأعراف: 156). وقال عن دعاء الملائكة للمؤمنين: "رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا" (غافر: 7).

فهذه الأدلة التي ذكرها المؤلف تدل على سعة رحمة الله وكمالها، وهذه رحمته التي يرحم بها عباده سبحانه وتعالى، رحمة واسعة تشمل الجميع حتى الكافر يرحمه الله سبحانه وتعالى، فهي رحمة واسعة وكاملة، فالاسم الذي تضمنته هذه الصفة من الأسماء الحسنى لأنه قد تضمن صفة كمال، صفة كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال رحمه الله: "والْحُسْنُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى يَكُونُ بِاعْتِبَارِ كُلِّ اسْمٍ عَلَى انْفِرَادِهِ، وَيَكُونُ بِاعْتِبَارِ جَمْعِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَيَحْصُلُ بِجَمْعِ الْاسْمِ إِلَى الْآخِرِ كَمَا لَفَوْقَ كَمَا".
الآن أنت عرفت أن الاسم وحده بما تضمنه من صفة هو من الأسماء الحسنى، فالْحُسْنُ فيه موجود وهو وحده اسمٌ منفرد، لكن إذا جمعته مع اسم ثانٍ يكون هذا الاسم في حد ذاته حَسَنًا، لكن بجمعه مع اسمٍ آخر حَسَنٌ أيضاً يحصل بجمع الاسمين مع بعضهما كَمَا لَفَوْقَ الكمال، وبالمثال يتضح المعنى المراد.

قال رحمه الله: "مثال ذلك: "العزیز الحکیم"، الآن اسم الله "العزیز": وحده اسم كمال من الأسماء الحسنة لأنه متضمن لصفة العزة، صفة كاملة، هذا وحده، واسم الله "الحکیم" أيضاً من الأسماء الحسنى لأنه متضمن لصفة الحكم والحكمة، الحکیم على وزن فاعل يأتي بمعنيين: بمعنى الحكم وبمعنى الحكمة، وكلاهما صحيح في هذا الوطن، فالاسم يُحمل على المعنيين، فالعزة قوة وشدة إذا اقترنت مع الحكم والحكمة زادت كمالاً، فإذا حكم بالعدل ولا يظلم ويضع الأمور في مواضعها بحكمة، فعزة مع حكم ومع حكمة يزداد الكمال كمالاً.

قال المؤلف موضحاً هذا المعنى: "فإن الله تعالى يجمع بينهما في القرآن كثيراً" بين ماذا؟ بين هذين الاسمين، اسم العزیز واسم الحکیم، "فيكون كل منهما دالاً على الكمال الخاص الذي يقتضيه"، العزیز فيه صفة العزة فيدل على كمال الله تبارك وتعالى من هذه الناحية، قال: "وهو العزة في العزیز، والحكم والحكمة في الحکیم"، الحکیم: يدل على صفة الحكم وصفة الحكمة، وهو كمال من هذه الجهة، فإذا أضفت أحدهما إلى الآخر زاد كمالاً، قال: "والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلاً وجوراً" العزة: القوة، الشدة، تكون بالعدل لا بالظلم والجور وسوء الفعل، لذلك قال هنا المؤلف: "والجمع بينهما دال على كمال آخر وهو أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة"، الحكمة تعرفون ما هي؟ وضع الشيء في موضعه، "فعزته لا تقتضي ظلاً وجوراً وسوء فعل، كما قد يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزیز منهم

قد تأخذه العزّة بالإثم؛ فيظلم ويجور ويسيء التصرف" هذا المخلوق الناقص، تكون عنده عزّة، قوّة وشدّة ولكنّه يستعملها في ظلم الناس أحياناً أو دائماً، هذا من الله لا يكون لأنّه عزيز حكيم تبارك وتعالى، "وكذلك حكمه تعالى وحكمته مقرونان بالعزّ الكامل بخلاف حكم المخلوق وحكمته فإنّهما يعتريهما الذلّ" بهذا يتبين أنّ الاسم إذا أضيف إلى اسم آخر معه وجمع معه فيكون قد حصل بجمع الاسمين كمال فوق الكمال، من هذه الجزئية الأخيرة من القاعدة تستطيع أن تفهم عندما يقرن الله سبحانه وتعالى بين الأسماء في كتابه، وهذا موجود بكثرة، "وهو الغفور الرحيم" يقرن بين الغفور والرحيم، لاحظ: تعرف أنّ هناك معنى زائد ينبغي أن تركز عليه هنا، كمال آخر غير كمال الاسمين منفردين، إذا جمع بينهما فعنى ذلك عندك كمال إضافي تحتاج أن تعرفه وتركز عليه.

إذاً خلاصة القاعدة أنّ أسماء الله تبارك وتعالى كلّها حسنى، حسنة بالغة في الحسن غايته، لماذا؟ لأنّها تتضمن صفات الكمال، وكلّ اسم سمى الله سبحانه وتعالى به نفسه فهو اسم كمال، اسم من الأسماء الحسنة المتضمنة لصفات الكمال، وأنّ الاسم إذا جمع مع اسم آخر زاد الكمال كمالاً.

هذا خلاصة القاعدة الأولى التي ذكرها المؤلف، نكتفي اليوم بهذا القدر والله أعلم.

الدرس الثالث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فالיום معنا القاعدة الثانية من القواعد المثلى.

قال المؤلف رحمه الله: "أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف".

هذه قاعدتنا: أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف، يعني: الاسم علم يعني: يدلّ على مسمى، كأن تقول زيد، زيد هذا علم يدلّ على شخصٍ مسمى بهذا الاسم، هذا معنى الأعلام، العلم هو الاسم، الذي نقول نحن له اسم، تقول ما اسم زيد؟ تقول: زيد، يدلّ على مسمى، وهو الشخص الذي سُمي بهذا الاسم، هذا يسمى علماً، أما الصفة فهي نعت، تقول: زيد كريم، تصفه بصفة الكرم، إذاً أسماء الله تبارك وتعالى هي أعلام تدلّ على ذاته تبارك وتعالى وأيضاً هي أوصاف، فالاسم نفسه يدلّ على ذات الله ويدلّ على صفة أيضاً لله تبارك وتعالى، فإذا قلت: الرحمن، معنى ذلك: أنّ هذا الاسم دلّ على ذات الله تبارك وتعالى ودلّ على صفة الرحمة أيضاً، هذا معنى أسماء الله سبحانه وتعالى أعلام وأوصاف، أي: أنّها تدلّ على ذات الله تبارك وتعالى وتدلّ على صفات الله سبحانه وتعالى موصوف بها، هذا معنى الكلام.

قال رحمه الله: "أعلام باعتبار دلالتها على الذات"، يعني: بالنظر إلى هذه الجهة وهي الدلالة على الذات، هي أعلام لأنّها تدلّ على ذات الله سبحانه وتعالى.

قال: "وأوصاف باعتبار ما دلّت عليه من المعاني"، أي أنّه بالنظر إلى الصفة التي دلّت على وجودها عند الله سبحانه وتعالى كصفة الرحمة مثلاً، الله سبحانه وتعالى موصوف بصفة الرحمة، واسم الرحمن دلّ على هذه الصفة، فهو بهذا الاعتبار، هذا الاسم بهذا الاعتبار يدلّ على الأوصاف فهو صفة، يدلّ على صفة، متضمن لصفة، يعطي معنى الصفة، هذا المعنى المراد هنا، ما دلّت عليه من المعاني يعني: من الصفات، المعنى الذي تدلّ عليه صفة الرحمة، معنى الرحمة، أي نعم، عندما تقول: السميع يدلّ على

معنى السمع، فصفة السمع لله سبحانه وتعالى مثبتة، فاسمه السميع يدلّ على ذاته ويدلّ على صفة السمع، هكذا، العليم: يدلّ على ذاته، ويدلّ على صفة العلم، هذا معنى أسماء الله تبارك وتعالى أعلام وأوصاف.

قال: "وهي بالاعتبار الأول" يعني: باعتبار دلالتها على الذات، "مترادفة" ما معنى الترادف؟ الترادف في الألفاظ بآرك الله فيكم معناه أنّ الألفاظ مختلفة لكنّ المعاني التي تدلّ عليها هذه الألفاظ مُتَّحدة، واحدة، فأنت مثلاً تقول: أسد وعضنفر وليث وأسامة، ألفاظ مختلفة لكنّها جميعاً تدلّ على شيء واحد وهو ذاك الحيوان المفترس الأسد، فهي ألفاظ مختلفة لكنّ المعنى واحد، هذه الألفاظ تسمى: مترادفة، فإذا قلت لك ألفاظ مترادفة مباشرة تفهم ماذا؟ أنّ الألفاظ مختلفة لكنّ المعنى الذي تدلّ عليه واحد، هذا معنى الترادف، وسيأتي أيضاً الألفاظ المتباينة، الألفاظ المتباينة: المختلفة لفظاً ومعنى، لا يتحدان لا في اللفظ ولا في المعنى، فتقول مثلاً: حجر وشجر، لم يتحدّا في اللفظ، الحجر لفظه غير لفظ الشجر، المعنى الذي يدلّ الحجر غير المعنى الذي يدلّ عليه الشجر، إذاً هذه الأسماء تسمى أسماءً متباينة لأنّها لا تتحد في اللفظ ولا في المعنى، بخلاف الألفاظ المترادفة فهي متحدة في المعنى ومختلفة في اللفظ كما مثلاً، طيب لو قال قائل: لو اتحدت في اللفظ واختلفت في المعنى، يعني عكس المترادفة، فإذا نسميها؟ نقول لك: نسميها الألفاظ المشتركة، لفظها واحد ومعناها مختلف وهذه عكس المترادفة، مثل ماذا؟ مثل لفظ العين، عين الإنسان تسمى عيناً والجالسوس يسمى عيناً وعين الماء تسمى عيناً والذهب يسمى عيناً، اللفظ واحد كلّها عين ولكنّ المعنى مختلف، فعين الإنسان غير الجالسوس، والجالسوس غير عين الماء، وعين الماء غير الذهب وهكذا، هذه الألفاظ عند العلماء تسمى ألفاظاً مشتركة، فصارت عندنا الألفاظ: مترادفة ومشتركة ومتباينة.

• المترادف: ما اتحد معناه واختلف لفظه.

• المشترك: ما اتحد لفظه واختلف معناه.

• المتباين: ما اختلف لفظه ومعناه.

واضح إلى هنا نرجع الآن إلى درسنا، قال: بالنسبة إلى أسماء الله، الآن بالنظر إلى كونها تدلّ على ذاته، وبالنظر إلى كونها تدلّ على صفاته، هل نسميها مترادفة أم مشتركة أم متباينة؟ يقول المؤلف: لا يصحّ إطلاق القول بهذا مطلقاً، لا بدّ من التفصيل، فماذا يكون التفصيل؟ نقول: باعتبار دلالتها على الذات، يعني بالنظر إلى هذا الجهة بغض النظر عن دلالتها على المعاني الصفات، فقط ننظر إلى الجهة الأولى، باعتبارها تدلّ على الذات، يعني: اسم الله سبحانه وتعالى: السميع، العليم، الرحمن، الرحيم، كلّ هذه الأسماء بالنظر إلى كونها تدلّ على ذات الله فقط هي ماذا؟ الآن قالوا: تكون مترادفة، لأنّ اللفظ مختلف ولكنّ المعنى واحد، لأنّها كلّها تدلّ على ذات واحدة، اللفظ متحد، لأنّه علم يدلّ على ذات واحدة، هذا كلّه نقول ماذا؟ بغض النظر الآن عن مسألة الصفة، سيأتي بالاعتبار الثاني إن شاء الله، فقال المؤلف: "وهي بالاعتبار الأول"، أي: باعتبار دلالتها على الذات فقط بغض النظر عن الصفات: "مترادفة"، بعد ذلك فسّر لك الترادف، قال: "لدلالاتها على مسمى واحد وهو الله عزّ وجلّ" أي: مع اختلافها باللفظ، فالسميع يختلف لفظاً عن البصير عن العليم عن الرحمن عن الرحيم، كلّها مختلفة في اللفظ لكن من حيث المعنى كلّها تدلّ على الله تبارك وتعالى، على ذات واحدة، فهي ألفاظ مترادفة من هذه الجهة.

قال: "وبالاعتبار الثاني متباينة" يعني: الآن إذا نظرنا إلى مسألة دلالتها على الصفة لا على الذات نقول: هي ماذا؟ متباينة، لأنّها مختلفة في اللفظ ومختلفة في المعنى، فالسميع والبصير، الآن السميع: لفظاً: لفظ السميع يختلف عن لفظ البصير، والمعنى الذي يدلّ عليه السميع من حيث الصفة، السميع يدلّ على صفة السمع، البصير يدلّ على صفة البصر، إذاً من حيث المعنى يختلفان، فهما متباينان من هذه الجهة بغض النظر عن مسألة الدلالة على الذات، أنظر كيف الآن؟ إذاً لا بدّ من التفصيل، عندما يقال لك: هل أسماء الله تبارك وتعالى هي مترادفة أم متباينة؟ تقول له: أنا لا أطلق القول

في ذلك ولكن أفصل فأقول: من حيث دلالتها على الذات هي مترادفة ومن حيث دلالتها على الصفات هي متباينة، تمام؟ قال: "وبالاعتبار الثاني متباينة، لدلالة كل واحد منهما على معناه الخاص" لأن كل اسم منها يدل على معنى يخصه، السميع يدل على السمع، البصير يدل على البصر، العليم يدل على العلم، الرحمن يدل على الرحمة، وهكذا.

قال: "ف" الحي، العليم، القدير، السميع، البصير، الرحمن، الرحيم، العزيز، الحكيم" كلها أسماء لمسمى واحد وهو الله سبحانه وتعالى "هذا من حيث ماذا؟ من حيث الدلالة على الذات، كلها أسماء لمسمى واحد، "لكن معنى الحي" يعني: من حيث ماذا؟ الدلالة على الصفة، الآن الصفة التي يدل عليها هذا الاسم صفة الحياة، "غير معنى العليم" يعني: العليم يدل على صفة العلم، "ومعنى العليم غير معنى القدير وهكذا" وضحت المسألة هكذا والله أعلم، نعم.

الآن بعدما انتهى من تقرير القاعدة، القاعدة فهمناها و تقريرها قد تقدم، الآن يبين لك من أين أتينا بهذه القاعدة؟ قال: "وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها" أهل السنة والجماعة لا يُقعدون بناء على عقولهم، فلا يحكمون على الله سبحانه وتعالى بالعقل، يأخذون ما يثبتونه لله تبارك وتعالى من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن منهج السلف الصالح رضي الله عنهم وإجماعهم، من هنا يأخذون ما يثبتونه لله لأنهم يعلمون أن عقولهم قاصرة، وعقول الخلق جميعا قاصرة لا تصل إلى معرفة التفاصيل والجزئيات في حق الله سبحانه وتعالى وإنما يرجع في ذلك إلى كلام الله تبارك وتعالى وكلام رسوله، فالله سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وأعلم بما يليق به وما لا يليق به لذلك يرجعون إلى كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم في ذلك، وإذا تصور أحد بعقله أنما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم فيه شيء من النقص، فهذا النقص أصلاً هو في عقله لذلك هو تصور هذا الشيء فينبغي عليه أن يرجع إلى عقله و يهتمه، لا يهتم نصوص

الشرع، هذا الذي يفعل المتكلمون، المتكلمون يهتمون بنصوص الشرع، فيقولون: النصوص الشرعية ظنية وليست يقينية والعقل دلالة يقينية، فيجعلون العقل حاكماً على الله سبحانه وتعالى، هذه قاعدتهم الأساسية وهي طاغوتهم الذي جعلهم يكفرون بكثير من أسماء الله وصفاته تبارك وتعالى، أما أهل السنة فعندهم أن نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته العليا هذه كلها دلالتها يقينية والعقل قاصر عن إدراك كل ما يجب لله تبارك وتعالى، ربّما يدرك الأشياء على سبيل الإجمال أما على سبيل التفصيل فلا، لا يمكن أن يدرك العقل كل ما يجب لله سبحانه وتعالى من أسماء وصفات، يدرك بالجملة أنه يجب أن يُثبت لله سبحانه وتعالى الكمال، ولا يجوز النقص على الله سبحانه وتعالى، لكن بعد ذلك التفصيلات لا يقدر عليها العقل، والأمور الغيبية الواجب فيها التسليم لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، من عظم الإيمان في قلبه وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق بما جاء به قدمه على كل شيء، هذا هو الواجب وهذه طريقة أهل السنة والجماعة والحمد لله، وأعظم دليل يدل على بطلان ما هم عليه أنهم هم أنفسهم الذين قالوا: دلالة العقل يقينية، يختلفون فيما بينهم، ويتضاربون في أقوالهم تضارباً شديداً متبايناً، فتجد المعتزلي يختلف قوله عن الأشعري والأشعري يختلف قوله عن الجهمي، والجهمي يختلف قوله عن الماتريدي وهكذا، بل نفس الأشاعرة أنفسهم يختلفون ويضطربون، والمعتزلة أنفسهم يختلفون ويضطربون، ثم بعد ذلك يقول لك: العقل دلالة يقينية، عقل من هذا؟! سبحان الله، لكن التوفيق من الله سبحانه وتعالى.

المهم هنا يقول المؤلف: "وإنما قلنا بأنها أعلام وأوصاف لدلالة القرآن عليها"، هذه حجتنا نحن أهل السنة والجماعة، ومن هنا يحصل الفارق بين السني السلفي وبين المبتدع الضال المتكلم، فلا يأتيني أحد مخرف يقول والله الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، أي سنة هذه؟! أي سنة التي هم منها؟! إذا كان أصلهم الأصيل الذي بنوا

عليه دينهم و عقيدتهم تقديم العقل على النقل، النقل: الكتاب و السنة، فكيف صاروا من أهل السنة و هم يقدمون العقل على الكتاب و السنة، فالذي وصفهم بأنهم من المتكلمين أصاب، لأن المتكلمون يقررون العقيدة بالكلام، بالرأي، هذا هو أصلهم، فلا يصح أن يسموا بأهل السنة و الجماعة، أهل السنة و الجماعة هم الذين يقدمون الكتاب و السنة على كل شيء و يعظمون الكتاب و السنة، ويتبعون منهج السلف الصالح الذي أمر الله عزّو جلّ باتباعه، هؤلاء خالفوا أمر الاتباع و حكموا عقولهم على شرع الله و دينه و حتى على ربنا تبارك و تعالى.

قال المؤلف: "كما في قوله تعالى: "وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"، سَمِيَ نفسه بهذه الأسماء، هو الغفور الرحيم، يخبر عن نفسه بأنه الغفور الرحيم، فهو المسمى باسم الغفور و باسم الرحيم، و يثبت لنفسه هذه الصفات التي تضمنتها هذه الأسماء، لأن سياق الآية يدلّك على ذلك، يذكر هناك ما يقتضي المغفرة و الرحمة ثم يقول لك: و هو الغفور الرحيم، ماذا يعني؟ يعني أنّه يثبت لنفسه هذه الصفة.

قال: "وقوله: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ"، فَإِنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ الرَّحِيمَ هُوَ الْمُتَصِفُ بِالرَّحْمَةِ"، "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ" كَالْآيَةِ الْأُولَى: "وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" لَكِنَّ الْآيَةَ الثَّانِيَةَ بَيَّنَتْ أَنَّهُ صَاحِبُ الرَّحْمَةِ أَي: الْمُوصُوفُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ.

قال: "فإنّ الآية الثانية دلّت على أنّ الرحيم هو المتصف بالرحمة"، لأنّ الآية الثانية فسرت الآية الأولى، الآية الأولى قال فيها: "وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"، ثم قال في الآية الثانية: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ" إذا الرحيم هو ذو الرحمة.

قال المؤلف: "ولإجماع أهل اللغة والعرف أنّه لا يُقال: عليم إلّا لمن علم، ولا سميع إلّا لمن سمع، ولا بصير إلّا لمن له بصر. وهذا أمر أبين من أن يُحتاج إلى دليل"، كلام واضح و صريح و حقيقي و صحيح، الإجماع من أهل اللغة على أنّه لا يُقال لشخص سميع إلّا إذا كان متصفاً بالسمع، ويقال له: بصير إذا كان متصفاً بالبصر و هكذا، فلا يُقال لشخص هو سميع و هو لا يسمع خلافاً لأهل البدع و سيأتي الكلام، هذه

القاعدة تنفي أصل المعتزلة الذين يثبتون الأسماء لله تبارك و تعالى ولكنهم يجعلونها أسماء مجردة عن الصفات، فيقولون: هو سميع بلا سمع، بصير بلا بصر و هكذا، لأنهم يقولون إذا أثبتنا الصفات لله تبارك و تعالى فقد أثبتنا المتعدد، يعني بدل أن يكون الله سبحانه و تعالى واحد يكون أكثر من الله، السميع البصير العليم الحكيم، إذا صار عندنا أربعة سميع و بصير و عليم و حكيم، جهل عجيب، عقول مريضة فارغة، الآن نحن إذا قلنا لزيد هذا بأنه رجل عليم و حكيم و سميع و بصير صار عندنا أربعة زيد؟! هو رجل واحد يتصف بعدة أوصاف، و لله المثل الأعلى، فهو قول باطل.

قال المؤلف: "وبهذا علم" أي: بما قدمناه، قال: "علم ضلال من سلبوا أسماء الله تعالى معانيها من أهل التعطيل" يعني: أنهم أنكروا المعاني التي تدلّ عليها الأسماء فقالوا: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم، وهكذا، "سلبوا أسماء الله تعالى معانيها" هذه المعاني التي تدلّ عليها السمع، البصر، الخ، "من أهل التعطيل" أهل التعطيل هم الذين عطّوا ما يجب إثباته لله تبارك و تعالى، التعطيل: التخلية، خلوها منها، فنفوها و لم يثبتوها، هؤلاء هم أهل التعطيل، و قالوا (أي أهل التعطيل من المعتزلة و من شابههم): إنّ الله تعالى سميع بلا سمع و بصير بلا بصر و عزيز بلا عزّة و هكذا، وعللوا ذلك بأنّ ثبوت الصفات يستلزم تعدد القدماء، أنظر كيف الآن، هذه علمتهم و هذا هو السبب الذي جعلهم ينفون الصفات عن الله سبحانه و تعالى، ما هو؟ قالوا: تعدد الصفات يستلزم تعدد القدماء، طبعاً هم القديم يطلقونه على الله سبحانه و تعالى، يقصدون بالقديم الله سبحانه و تعالى، خالق الأشياء، هذا معنى القديم عندهم، فيقولون إذا أثبتنا الصفات متعددة، إذا يلزم من ذلك أن يكون عندنا عدة قدماء، يعني: أكثر من ربّ، أرباب، و هذا حرام ما يجوز، الله تعالى واحد هذا أمر متفق عليه صحيح، قالوا: إذا لا يجوز أن نثبت الصفات لأنّه يلزم من ذلك تعدد القدماء، لوازم عقلية فاسدة من أين هذا اللازم؟ من أتى به؟ والله لا يلزم لا عقلاً ولا شرعاً، لكنّ عقولهم فارغة، مريضة، متشعبة بالأهواء و يجعلونها حاكمة على الله

سبحانه و تعالى، هذا هو دينهم الذي اعتقدوه، وقام على هذه الأصول.

قال المؤلف: "وهذه العلة علية، بل ميتة"، علية يعني: مريضة، هي ليست مريضة بل ميتة، فاسدة جداً، حتى العقلاء يدركون فسادها، قال: "لدلالة السمع والعقل على بطلانها"، السمع هم لا يؤمنون به، فلو ناقشتهم به لا يؤمنون به، يحرفونه، يتخلصون منه إما بالتضعيف أو بالتحريف، هذه قاعدتهم، الأحاديث يضعفونها، المتواتر منها يحرفونه، والقرآن يحرفونه عن معانيه، ويتخلصون من أدلة الكتاب و السنة، هذه قاعدتهم، وأصلهم هو العقل، فإذا جادلتهم بالسمع لا يسمعون لك، ويقولون: هذه دلالات ظنية تحتل عدة احتمالات تؤولها على ما نريد و ينتهي الأمر، إذاً ماذا تريدون؟ يريدون العقل، نحن لسنا محتاجين إلى مجادلتهم أصلاً بالعقل، أحبوا أن يفهموا بالشرع ويؤمنوا به الحمد لله، ما أحبوا فكل على طريقه و عند الله تجتمع الخصوم، لكن تنزلاً، أهل العلم ردوا عليهم بالأدلة العقلية، لأن حقيقة العقل الصحيح، العقل النظيف لا يتنافى مع دلالة الكتاب و السنة أبداً، لكن المهم يكون عقل صافي، خال من الشبهات، و خال من امتزاجه بالأهواء، فبدأ المؤلف يذكر ما يرد عليهم به من أدلة السمع و أدلة العقل.

قال المؤلف: "أما السمع"، ماذا يعني بالسمع؟ أدلة الكتاب و السنة، هذا معنى السمع، يعني الشيء المسموع، "فلأن الله تعالى وصف نفسه بأوصاف كثيرة مع أنه الواحد الأحد"، يعني لو كان هذا الذي ذكره لازماً لما وصف نفسه بأوصاف كثيرة وهو الذي يقرر في أكثر من موضع بأنه الواحد الأحد، إذا كانت تستلزم تعدد القدماء، إذاً لما وصف نفسه بالأوصاف الكثيرة.

قال المؤلف: "فقال تعالى: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ"، فيصف نفسه بأوصاف مختلفة، لكنه واحد تبارك وتعالى، "وقال تعالى: "سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى"، واحدة، "وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى"، اثنتان، "وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى"، ثلاث، "فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى"

أربعة، يصف نفسه بكلّ هذه الأوصاف، فله أفعال كثيرة، وله أوصاف كثيرة، ومع ذلك هو واحد تبارك وتعالى.

قال: "ففي هذه الآيات الكريمة أوصاف كثيرة لموصوف واحد، ولم يلزم من ثبوتها تعدد القدماء"، مثل ما ذكرنا، هم الآن لم يؤمنوا بكلّ هذا وسوف يحرفونه، طيب دلالة العقل؟

قال المؤلف: "وأما العقل: فلأنّ الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد"، الصفات ليست ذوات، يعني الصفة ليست ذاتاً، تفرّقون بين الصفة والذات؟ الصفة نعت، الذات لا، ليست نعتاً، الذات هي الأصل الذي يتصف بالصفات، يعني: نقول مثلاً: ذات زيد، يعني ماذا؟ يعني خلقه، ثم بعد ذلك نقول: صفته: علم، سمع، بصر، يد، هذه صفات لزيد، هذا الفرق بين الصفة والذات، فيقول المؤلف هنا: فلأنّ الصفات ليست ذوات، تختلف الصفة عن الذات، فلأنّ الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف، يعني منفصلة، هذا معنى الـ بينونة: الانفصال، بائنة من الموصوف: منفصلة عنه، حتى يلزم من ثبوتها التعدد، فأنت عندما تقول: يد زيد ليست منفصلة عن جسده، سمع زيد ليس منفصلاً عن جسده، عن ذاته يعني، هذا بالنسبة للمخلوق، وأنا أذكر هذا في المخلوق حتى تفرّقوا في الألفاظ فقط، والله المثل الأعلى، حتى أوضح الصورة فقط، هذا بالنسبة لزيد، لما تقول له يد، له عين، الآن يده وعينه ليست منفصلة عنه بحيث يُقال: اليد واحد، العين اثنين، زيد نفسه ثلاث، لا، غلط هذا، والله المثل الأعلى، قال: "وأما العقل: فلأنّ الصفات ليست ذوات بائنة من الموصوف حتى يلزم من ثبوتها التعدد"، الموصوف الآن عندنا هو الله سبحانه وتعالى، صفاته ليست منفصلة عنه حتى يُقال: والله هذه الصفة واحد، والله سبحانه وتعالى اثنين، وهكذا، غلط، بل الله سبحانه وتعالى هو الله بذاته وصفاته المتعددة، هو واحد.

قال: "وإنّما هي من صفات من اتصف بها"، يعني: هذه الصفات من صفات من

اتصف بها، "فهى قائمة به، وكلّ موجود فلا بدّ له من تعدد صفاته"، كلّ موجود لا بدّ له من تعدد صفاته، له أكثر من صفة، زيد له صفة، له قدمان، له يدان، له سمع، له بصر، له أذن، له رأس، له شعر، إلى آخره، له أوصاف كثيرة، وكلّ المخلوقات كذلك، بل والخالق تبارك وتعالى أيضاً، له ذات وله صفات، لذلك قال: "وكلّ موجود"، والموجود يشمل الخالق والمخلوق، "وكلّ موجود فلا بدّ له من تعدد صفاته، ففيه صفة الوجود"، كونه موجود هذه صفة له، سواء الخالق أو المخلوق، لكن تختلف صفة الخالق عن صفة المخلوق، وجود الله سبحانه وتعالى لم يسبق بفناء ولا يلحقه عدم، وجود المخلوق سبق بفناء، وممكن أن يلحقه عدم، وجائز أن يلحقه عدم، "وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود"، هذا بالنسبة للموجود، الموجود قسمان: إمّا واجب الوجود، أو ممكن الوجود، ما معنى هذا الكلام؟ عندما أقول لك:

• واجب الوجود: هذا هو الله سبحانه وتعالى، ماذا يعنى واجب الوجود؟ يعنى: لا يمكن أن يفنى أو يأتي وقت من الزمن يكون مفنياً أبداً، فوجوده واجب.

• ممكن الوجود: هذا المخلوق، جميع المخلوقين كذلك، ممكن الوجود، يعنى يجوز أن يوجد ويجوز أن لا يوجد، فتكون له لحظة أو مدة من الزمن لم يكن موجوداً فيها، وربما يفنى أيضاً إذا شاء الله سبحانه وتعالى ذلك.

هذا معنى واجب الوجود وممكن الوجود، ممكن الوجود يعنى: جائز الوجود، ربّما يوجد وربما لا يوجد، أمّا واجب الوجود، لا، أبداً لا بد أن يوجد، لا يمكن أن لا يكون موجوداً، وكونه واجب الوجود أو ممكن الوجود هذه صفة له أيضاً، كلّ الموجودات كذلك، إمّا واجب الوجود أو ممكن الوجود، وهذه صفة له، واجب الوجود: هو الله، وممكن الوجود: هو المخلوق، "وكونه عيناً قائماً بنفسه"، يعنى: ذات يقوم بنفسه، "أو وصفاً في غيره"، يقوم بنفسه يعنى: لا يحتاج إلى غيره، بخلاف الوصف، الوصف لا يمكن أن يكون، موجوداً من غير ذات، لا بدّ من ذات يكون

الوصف فيها، أمّا وصف هكذا لوحده، سمع لوحده هكذا يمشي، ما في هذا الشيء، لكن السمع يكون دائماً تبعاً للذات، معها، فتتصف الذات بالسمع، بخلاف الذات، الذات تكون قائمة بنفسها، لكن أيضاً لا توجد ذات من غير صفات، الذات لا بدّ لها من صفات، وصفات متعددة، كما قال المؤلف رحمه الله: "وبهذا أيضاً علم أنّ "الدهر" ليس من أسماء الله تعالى" لماذا؟ "لأنّ اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى"، موضوع آخر الآن، انتهينا من الدلالة السمعية و الدلالة العقلية، الآن انتقلنا إلى موضوع آخر، هل يُسمى الله سبحانه بالدهر، قال: لا، لماذا؟ لأنّ اسم جامد لا يتضمن معنى يلحقه بالأسماء الحسنى، لا يدلّ على صفة كمال يكون بها من الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى، قال: "ولأنّ اسم للوقت والزمن، قال الله تعالى عن منكري البعث: "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ"، إذاً الدهر هو اسم للزمن و ليس اسماً لله سبحانه وتعالى، قال: "يريدون: مرور الليالي و الأيام" يعني هذا المعنى، فالدهر اسم للزمن، طيب ممكن يشكل على هذا الكلام شيء، كيف تقول هذا؟ وقال النبي صلى الله عليه و سلم في الحديث القدسي: قال المؤلف: "فأمّا قوله صلى الله عليه وسلم: قال الله عز وجل: "يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار"" إذاً كيف تقول بأن اسم الدهر ليس اسماً لله تبارك و تعالى و الله سبحانه وتعالى يقول: "أنا الدهر"، هذا استشكل عما تقدم، فيجيب الشيخ قائلاً، قال: "فلا يدلّ على أنّ الدهر من أسماء الله تعالى، وذلك أنّ الذين يسبون الدهر إمّا يريدون الزمان الذي هو محل الحوادث، لا يريدون الله تعالى" ماذا يعني؟ يعني عندما يأتي الشخص ويحصل عليه بلوى و مصيبة، حادث يحدث في حياته، يموت له عزيز مثلاً، فيسبّ الدهر، أو يلتقي بشخص كما هو حادث اليوم كثيراً عند الناس، يلتقي بشخص يؤذيه فيقول: يلعن اليوم الذي شفتك فيه، هذا موجود، صح وإلا لا؟ موجود بين الناس، هو الآن لعن ماذا، لعن اليوم، لكن ما الذي يريده باليوم هو؟ هو يريد من أحدث هذا الفعل، تمام؟! فترجع المسبة إلى الله

سبحانه و تعالى، قوله هنا: يلعن اليوم، هو نفس قولهم قديماً: يلعن الدهر، فهم يريدون بالدهر الزمن، تقلب الزمن هذا الذي جعلني ألتقي بك، فهو يلعن هذا، وحقيقة الذي قدّر لقيه بهذا الشخص هو من؟ هو الله سبحانه وتعالى، إذاً السب يرجع إلى الله سبحانه و تعالى، هو السّاب ساب الزمن حقيقةً، فالدهر هو الزمن، لكن من حيث الحقيقة الزمن لم يفعل شيء، الفاعل هو الله سبحانه و تعالى، فترجع المسبة إلى الله سبحانه و تعالى من هذا القبيل، فقال الله سبحانه و تعالى: أنا الدهر ليس المقصود أنا أسمى بالدهر، ولكن مقصود الساب يرجع عليّ لأنني أنا الذي قدّرت أن يلتقي بهذا الشخص، وضحت المسألة؟ أرجو ذلك، قال المؤلف: "فيكون معنى قوله: "وأنا الدهر" ما فسرّه بقوله: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار" يعني: أنا الذي أفعل الحوادث، التي جعلته يلتقي بفلان الذي هو سبب السبّ أصلاً، قال: "فهو سبحانه خالق الدهر و ما فيه، و قد بينّ أنّه يُقلّب الليل و النهار وهما الدهر، ولا يمكن أن يكون المقلّب (بكسر اللام) هو المقلّب (بفتحها)" يعني: الله سبحانه و تعالى هو يُقلّب الليل و النهار، إذاً تقليب الليل و النهار غير الله سبحانه و تعالى، فالله هو الذي يُقلّب الليل و النهار، هذا المعنى، قال: فلا يمكن أن يكون المقلّب وهو الله سبحانه و تعالى هو المقلّب وهو الزمن، قال: "وبهذا تبيّن أنّه يمتنع أن يكون الدهر في هذا الحديث مراداً به الله تعالى"، هذا المعنى، إذاً الدهر ليس اسماً لله تبارك و تعالى، بل هو اسم للزمن، لكن ساب الدهر حقيقةً هو سابّ لله، لأنّ الله سبحانه و تعالى هو الذي يُقلّب الليل و النهار، هذا المعنى المراد، وخلاصة الأمر أنّ الدهر ليس من أسماء الله الحسنی لأنّه لا يتضمن صفة تدلّ على كمال الله تبارك و تعالى، فلا يلحق بالأسماء الحسنی.

نكتفي بهذا القدر اليوم و الله أعلم و الحمد لله.

الدرس الرابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فقد وصلنا عند القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء من كتاب القواعد المثلث في صفات
الله وأسمائه الحسنی.
قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الثالثة: أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدّد
تضمنت ثلاثة أمور

:

أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها.

من خلال هذه القاعدة نعلم أنّ أسماء الله تنقسم إلى قسمين بناءً على الصفة التي يدلّ
عليها الاسم.

القسم الأول: اسم يتضمن وصفاً متعدداً.

القسم الثاني: اسم يتضمن وصفاً غير متعدّد.

يعني: الاسم يدلّ على وصف، هذا الوصف إمّا أن يكون متعدّد أو لا يكون كذلك،
ماذا نعني بالوصف المتعدي والوصف الغير متعدّي؟ نعني بالوصف المتعدي: الذي
يصل إلى المخلوق أثره، كاسم الله سبحانه وتعالى السميع، يدلّ على وصف وهو
السمع، والسمع وصف متعدّد فهو يسمع كلام المخلوقين ويسمع كلّ شيء، لو قارنا
هذا باسمه الحيّ الذي يتضمن صفة الحياة، هل صفة الحياة لها علاقة الآن أو لها أثر
بالمخلوقين؟ لا، اسم الله البصير يدلّ على صفة البصر، فهو يرى، هل رؤيته لها أثر في
المخلوقين؟ نعم، لها أثر فهو يرى عباده ويرى أفعالهم، فيرى كلّ شيء، إذا لها أثر،
هذا الذي يُسمى بالوصف المتعدي، والوصف الغير متعدّي كالحياة، ليس لهذا

الوصف أثرٌ يصل إلى المخلوق، هذا معنى كونه متعدياً وغير متعدٍّ، فإذا كان الاسم متعدياً فنفهم منه ثلاثة أمور:

• الأول: ثبوت ذلك الاسم لله عزّ وجلّ، فعندما يُقال لك الخالق، إذا ثبت لله تبارك وتعالى اسماً وهو الخالق، فنسمي الله سبحانه وتعالى الخالق، هذه أول فائدة.

• الفائدة الثانية: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عزّ وجلّ، ثبوت الصفة التي يدلّ عليها الاسم، وهي في مثالنا صفة الخلق لله عزّ وجلّ.

• الفائدة الثالثة: أنّ هذه الصفة متعدية، لها أثر لها حكم، لها مقتضى، شيء تدلّ عليه وهو الخلق، فخلق الخلق هذا هو أثر لهذه الصفة.

فهي صفة متعدية، هذا القسم الأول من الأسماء: الذي يتضمن وصفاً متعدياً. القسم الثاني: لا يتضمن وصفاً متعدياً، كاسم الله الحيّ، كما مثل المؤلف رحمه الله، هذا نستفيد منه فائدتين لا ثلاثاً.

• الأولى: ثبوت ذلك الاسم لله عزّ وجلّ، فنثبت لله اسماً وهو: الحيّ.

• الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عزّ وجلّ، فاسم الله الحيّ يدلّ على صفة الحياة، فهو يتضمن صفة الحياة، وهو وصف غير متعدٍّ.

نرجع إلى كلام المؤلف من البداية، قال المؤلف رحمه الله: "أسماء الله تعالى إن دلت على وصف متعدٍّ عرفنا ما معنى متعدٍّ،" تضمنت ثلاثة أمور:

"أحدها: ثبوت ذلك الاسم لله عزّ وجلّ"، كاسم الخالق، فنسمي الله سبحانه وتعالى بالخالق، "الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عزّ وجلّ" وهي صفة الخلق في مثالنا،

"الثالث: ثبوت حكمها ومقتضاها"، وهو خلق الخلق وإيجاده.

قال: "ولهذا استدلّ أهل العلم على سقوط الحدّ عن قطاع الطريق بالتوبة"، قطاع الطرق عليهم حدّ في الشرع، تُقَطَّع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتُسمَل أعينهم ويصلبون، هذه كلّها وردت بها أدلة الشرع، لكن قطاع الطريق قبل أن نقدر عليهم، إذا تابوا لا يُقام عليهم الحدّ، بماذا استدلوأ؟ قال: "استدلوا على ذلك بقوله تعالى: "إلاّ

الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ" من قبل أن تتمكنوا من إمساكهم، "فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"، يعني: الذين تابوا قبل أن تقدرُوا عليهم فاعلموا أَنَّ الله غفور رحيم، مع أَنَّ الله سبحانه وتعالى ما قال اتركوهم ولا تقيموا عليهم الحدّ، لكن قال: "فاعلموا أَنَّ الله غفور رحيم"، فأخذوا من هذه الأسماء أَنَّ الحدّ يسقط عنهم إذا تابوا قبل أن يُقدر عليهم.

قال المؤلف: "لأنَّ مقتضى هذين الاسمين" ما يدلّ عليه هذان الاسمان من صفة، "أَنَّ يكون الله تعالى قد غفر لهم ذنوبهم، ورحمهم بإسقاط الحدّ عنهم"، أثر الصّفة صفة الرحمة أَنّه يرحم العباد، أثر صفة المغفرة أَنّه يغفر لعباده.

قال: "مثال ذلك: "السميع" يتضمن إثبات السميع اسماً لله تعالى، وإثبات السمع صفة له"، إثبات السميع اسماً لله تعالى هذه الفائدة الأولى التي تؤخذ من الاسم الذي يتضمن وصفاً متعدياً، الفائدة الثانية: وإثبات السمع صفة له، الفائدة الثالثة: قال: "وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أَنّه يسمع السرّ والنجوى، كما قال تعالى: "وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ"، إذا هنا أخذنا من اسم الله السميع إثبات الاسم وهو السميع، وإثبات الصفة وهي صفة السمع، وإثبات الحكم والمقتضى وهو أَنّه يسمع السرّ والنجوى، النجوى يعني: التناجي، الكلام الخافت الذي يكون بين الطرفين يسمعه الله سبحانه وتعالى ويسمع كلام السرّ، فكلّ شيء يسمعه الله سبحانه وتعالى، هذا أثر اسم الله سبحانه وتعالى السميع.

قال: "وإن دلت" يعني أسماء الله سبحانه وتعالى "على وصف غير متعدّ تضمنت أمرين: . أحدهما: ثبوت ذلك الاسم لله عز وجل.

. الثاني: ثبوت الصفة التي تضمنها لله عز وجل.

مثال ذلك: "الحيّ" يتضمن إثبات الحيّ اسماً لله عز وجل وإثبات الحياة صفة له".

هذه هي القاعدة الثالثة من خلالها تستطيع أن تفهم أسماء الله سبحانه وتعالى، مالذي تستفيده منها؟ وما الذي لا تستفيده؟ والله أعلم.

"القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام".

قبل أن نبدأ بكلام المؤلف نشرح معنى المطابقة والتضمن والالتزام، وهي من مباحث أصول الفقه، وهي تفيدك في كيفية استخراج المعاني من الألفاظ، فاللفظ يدلّ على المعنى هذا معروف، كلّ لفظ له معنى يدلّ عليه، يدلّ على معنى أو أكثر، دلالة على المعنى من خلال اللفظ نفسه أو من خلال أمر خارج عنه، هذه هي مسألتنا، المطابقة والتضمن والالتزام، ثلاث دلالات، من خلالها نستطيع أن نفهم المعاني من الألفاظ، كي نفهمها جيداً ركزوا معي في هذا المثال، لفظ البيت: هو لفظ يدلّ على معنى، كلّ منكم الآن عندما سمع هذا اللفظ تصور في ذهنه صورة البيت، ما الذي تصوره؟ تصور الجدران والأبواب والنوافذ والسقف والغرف، كلّ ما يحتويه البيت، وهذه الدلالة تسمى دلالة المطابقة، يتطابق فيها المعنى مع اللفظ تماماً، من كلّ جوانبه، فإذا قلت لك بيت وفهمت منه كلّ معنى البيت، فهذه تسمى مطابقة، يتطابق المعنى مع اللفظ تماماً، دلالة المطابقة، فكلّ معنى يدلّ عليه اللفظ بمجموع المعاني كلّها يسمى مطابقة، فأقول لك البيت ما هو؟ تقول لي جدران وسقف وأبواب ونوافذ، إلى آخره... أقول لك: فهمت هذا بدلالة المطابقة، مطابقة اللفظ للمعنى، طيب، إذا قلت لك كلمة البيت، هل يصحّ منك أن تسألني: هل في البيت جدران؟ ما يصحّ، لماذا؟ لأنّ لفظ البيت يدلّ على الجدران بالتضمن، فهو يدلّ عليه، دلالة التضمن: هي دلالة على جزء من معنى اللفظ وليس كلّ، إذا فهمت من اللفظ المعنى كاملاً فهذه تسمى دلالة مطابقة، إذا فهمت جزءً فهذا يسمى دلالة تضمن، إذاً لا يصحّ منك أن تسأل هل في البيت جدران أم لا؟ لأنّ لفظ البيت يدلّ على الجدران بالتضمن، طيب، هذه دلالة التضمن، بقي دلالة الالتزام، يعني باللازم، عندما أقول لك لفظ البيت، هل تفهم من ذلك أنّ من ضمن ذلك البناء الذي بنى البيت؟ لا تفهم ذلك، ولكنك تلقائياً تفهم أنّ هناك بناءً قد بنى البيت، إذاً البناء

ليس من البيت، لكن لا ينفك وجود البيت عن وجود البناء، فلا يمكن أن يوجد بيت من غير بناء، هذا معنى دلالة الالتزام، هما لفظان متلازمان لا ينفكان عن بعضهما، لكن ليس أحدهما جزءاً من الآخر ولا كلاً، أظن المسألة صارت مفهومة الآن، وبالمثال في أسماء الله تبارك وتعالى الذي ذكره المؤلف ستوضح أكثر وأكثر إن شاء الله، هذه دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام، مهم جداً أن تفهموا هذه الدلالات، هذه الدلالات مهمة للغاية، فهي تعينك على فهم النصوص، خصوصاً مسألة الالتزام هذه يحصل فيها إشكالات كبيرة، قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الرابعة: دلالة أسماء الله تعالى على ذاته وصفاته تكون بالمطابقة، وبالتضمن، وبالالتزام"، افهم الآن الموضوع من خلال الأمثلة التي سيذكرها المؤلف، "مثال ذلك: "الخالق" يدلّ على ذات الله، وعلى صفة الخلق بالمطابقة"، هذا الجزء الأول، يدلّ على ذات الله وعلى صفة الخلق، هل يمكن أن نستفيد فائدة أخرى أكثر من هذا؟ من خلال هذا اللفظ فقط؟ لا، هذا معنى دلالة المطابقة، اللفظ يدلّ على كلّ المعنى وليس جزءاً منه، قال: "ويدلّ على الذات وحدها وعلى صفة الخلق وحدها بالتضمن"، يعني عندما أقول لك الخالق تفهم وجود ذات الله سبحانه وتعالى، وتفهم ذات الله سبحانه وتعالى من هذا اللفظ، بغض النظر الآن عن الصفة، كيف فهمت ذلك من لفظ الخالق؟ بدلالة التضمن، يعني هذا اللفظ جزء من معناه الدلالة على ذات الله، والجزء الثاني الدلالة على صفة الله سبحانه وتعالى، فدلالته على ذات الله فقط وحدها من غير النظر إلى الصفة هذه دلالة تضمن، فتقول هذا اللفظ يتضمن هذا المعنى، دلالة الاسم على صفة الخلق وحدها دلالة تضمن، دلالته على ذات الله وعلى صفة الخلق دلالة مطابقة، كلاهما مع بعضهما، لأنّ اللفظ قد دلّ على كلّ المعنى، أمّا إذا دلّ على جزء من المعنى فهذا يُسمى دلالة تضمن، قال: "ويدلّ على صفتي العلم والقدرة بالالتزام"، افهم هذه جيداً الآن، الآن بغض النظر عن أي شيء آخر، اللفظ وحده الخالق، هل يدلّ على صفة العلم؟ كلفظ وحده فقط، بهذه

الحروف خالق، خاء، ألف، لام، قاف، هل يدلّ على صفة العلم؟ لا ، يدلّ على صفة الخلق، لكن هل يُقال الآن من حيث الالتزام، هل يمكن أن يخلق من غير أن يعلم؟ لا يمكن، إذاً صفة الخلق مقترنة بصفة العلم، فاسمه الخالق يدلّ على صفة الخلق، وصفة الخلق تدلّ على صفة العلم والقدرة، إذ إنّ لا يمكن أن يخلق من غير أن يكون عالماً، وأن يكون قادراً على الخلق، فهي بالالتزام، بدلالة الالتزام، يلزم من كونه خالقاً أن يكون عالماً وقادراً، لماذا؟ لأنّه لا يمكن أن يخلق من غير علم ولا قدرة، هذا معنى دلالة الالتزام، كما قلنا: لا يمكن للبيت أن يُنشأ من غير منشيء، لا يمكن أن يُبنى من غير بناء، لكن كلمة البيت لا تدلّ على البناء، إلّا بدلالة الالتزام فقط، فلا يمكن للبيت أن يوجد إلّا بالبناء، فهما متلازمان لا ينفكان عن بعضهما، مع أنّ البناء غير البيت، وهذه كذلك، صفة الخلق غير صفة العلم وصفة القدرة، لكن لا يمكن أن يكون خالقاً إلّا أن يكون عالماً وقادراً، هذا المعنى، قال المؤلف: "ولهذا لما ذكر الله خلق السماوات والأرض قال: "لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً"، لماذا ذكر صفة القدرة وصفة العلم؟ لأنها متلازمة مع صفة الخلق، ذكر خلق السموات والأرض وقال: لتعلموا أنّه قدير وأنّه عليم، إذ إنّ لا يمكن أن يكون خالقاً ويكون غير قادر أو غير عالم، نعم

ثم قال المؤلف: "ودلالة الالتزام مفيدة جداً لطالب العلم إذا تدبر المعنى" يعني: تأمل وتفكر في المعنى، "ووفقه الله تعالى" مهما تأمل، مهما تفكر وتدبر إذا لم يكن توفيق من الله تبارك وتعالى له سيشطح، سيضل، لذلك ينبغي على طالب العلم دائماً أن يسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والهداية، قال: "ووفقه الله تعالى فهماً للتلازم" يعني: أن يوفقه الله سبحانه وتعالى لأن يفهم فهماً صحيحاً للتلازم بين الأشياء من قول الله تعالى، قال: "ووفقه الله تعالى فهماً للتلازم فإنه بذلك يحصل من الدليل الواحد على مسائل كثيرة" لأنّ لوازم الأدلة كثيرة.

قال: "واعلم أنّ اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم إذا صحّ أن

يكون لازماً فهو حقٌّ" هذه قاعدة افهمها، اللازم من قول الله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو حقٌّ لا شك في ذلك، بشرط أن يكون هو حقٌّ، هو لازم ولا يكون وهماً وخطأ من الذي فهم هذا التلازم، لأن الخطأ يرد في مسألة اللازم في خطأ الفاهم، من قبل الفاهم، يقول لك: يلزم من كلام الله كذا، هل هو يلزم حقاً أم أنه خطأ منه وفهم سقيم من قبله؟ هذا هو محل الإشكال، لكن لا شك عندنا نحن أنه لو كان لازماً حقاً فهو حقٌّ، فلازم كلام الله وكلام رسوله حقٌّ، لكن المهم في المسألة أن نعرف أنه حقٌّ لازمٌ، طيب، يقول المؤلف: "واعلم أن اللازم من قول الله تعالى وقول رسوله صلى الله عليه وسلم إذا صحَّ أن يكون لازماً فهو حقٌّ" يعني: هو حقٌّ لكن بشرط أن يكون بالفعل لازم لكلام الله وكلام رسوله وليس خطأ من قبل الفاهم، قال: "وذلك لأن كلام الله ورسوله حقٌّ ولازم الحق حقٌّ" كلام الله وكلام رسوله حقٌّ، قال: "ولازم الحق حقٌّ" وليس هذا فقط، "ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً" هذه الفقرة تفرق لك بين لازم كلام الله وكلام رسوله، واللازم في كلام البشر قال: "ولأن الله تعالى عالم بما يكون لازماً من كلامه وكلام رسوله فيكون مراداً" يعني: إذا قال الله سبحانه وتعالى قولاً وكان لهذا القول لوازم فالله يعلم أن هذا اللازم يلزم من كلامه فيسكت عنه ولا يردّه فهو حقٌّ ولا شك، وكذلك كلام رسوله لأنه وحى من الله تبارك وتعالى، لكن كلام الناس ربّما الإنسان يغفل عن لازم قوله ولا يدري أن كلامه الذي ذكره لازمه باطل فيغفل عن هذا اللازم فيتكلم بالكلام وهو لا يريد اللازم لأنه غفل، لا يدري أن هذا اللازم يلزم لكلامه، ويعلم أن هذا اللازم باطل لكنه لا يريده فيغفل عنه، هذا يحصل في كلام البشر، أمّا في كلام الله وكلام رسوله فلا، لذلك لازم قول الله وقول رسوله إذا كان لازماً حقاً لكلام الله وكلام رسوله فهو حقٌّ، ونستدل به، لكن كلام الناس لا، نقول: يلزم من كلام زيد كذا وكذا، ربما يلزم من كلامه كفر، هل نكفره؟ لا، لماذا؟ ربّما لم ينتبه أصلاً لهذا اللازم، فمتى

نقول يلزمه؟ إذا عرضنا الكلام عليه وقلنا: يلزم من كلامك كذا وكذا، فإذا قال: نعم يلزم وأنا ألتزمه صار لازماً له ونكفره به، أمّا إذا قال: لا، كلامي لا يلزم منه هذا أو قال: يلزم منه هذا لكنّي لم أنتبه، فهنا لا نقول هذا لازم له ونلزمه به، هذا الفرق بين كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، الآن كلام الله: عندما سمّي نفسه بالخالق نفهم منه صفة العلم وصفة القدرة، لأنّ صفة الخلق تدلّ على ذلك، هذا اللازم لازم؟ نعم لازم، لأنّه هو فعلاً حقّ، هو لازم لكلام الله إذاً نلتزم بهذا، ونقول: هو لازم لكلام الله وثبت به ما أردنا، بخلاف كلام البشر كما قلنا، قال المؤلف: "وأما اللازم من قول أحدٍ سوى قول الله ورسوله، فله ثلاث حالات: "الآن جاء إلى التفصيل في كلام الناس، كلام غير الله وغير رسوله صلى الله عليه وسلم، هل ما يلزم من كلامهم لازم لهم أم لا؟ قال: "فله ثلاث حالات: الأولى: أن يذكر للقاتل ويلتزم به" يعني: شخص قال قولاً، فقالوا له: يلزم من هذا القول كذا وكذا، فيقول: نعم يلزم وأنا ألتزمه، قال: "مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية"، الصفات الفعلية: يعني الصفات التي يفعلها الله متى شاء أن يفعلها كالنزول مثلاً والإتيان وما شابه..، قال: "أن يُذكر للقاتل ويلتزم به مثل أن يقول من ينفي الصفات الفعلية لمن يثبتها: يلزم من إثباتك الصفات الفعلية لله عز وجل أن يكون من أفعاله ما هو حادث" ما معنى حادث؟ يعني: أنّه كان بعد أن لم يكن، يعني عندما تقول: يأتي الله أو ينزل الله، يعني ما كان نازلاً قبل ذلك ثم نزل، فهذا حادث، قال: "فيقول المثبت: نعم" يلزم هذا وأنا ألتزم بذلك" ما عندي مشكلة، هذا يلزم من قولي وأنا ألتزمه، إذاً عندئذ نقول: هو يقول بهذا القول، "فإنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد" فهو التزم، يقول لك: الله سبحانه وتعالى لم يزل ولا يزال فعلاً لما يريد، إذاً يفعل ما يريد متى شاء وكيف شاء، "ولا نفاذ لأقواله وأفعاله" يعني: لا تنتهي أقواله وأفعاله تبارك وتعالى، "كما قال تعالى: "قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً" كلمات الله، عندما قال

ربنا تبارك وتعالى لنبيه بعض القول، قبل أن يقول هذا، هذا القول كان موجودا وإلا لا؟ ما كان موجوداً، صار حادثاً، هذا المعنى، فالآن النافي للصفات الفعلية يقول: يلزم عليك من إثباتك لصفة النزول مثلاً أو صفة الكلام أن يكون من أفعاله ما هو حادث، فيقول له المثبت: نعم يلزم هذا وأنا ألزمه، مافيه عندي مشكلة في الأمر، أصل الفعل ليس بحادث لكن آحاده حادث، أصل كلام الله سبحانه وتعالى ليس حادثاً لكن آحاد الكلام حادث، لما قال الله سبحانه وتعالى لموسى: "إني أنا ربك" قبل أن يقول له هذا لم يكن هذا الكلام موجوداً، حدث، لكن الله سبحانه وتعالى مازال متكهماً من قديم، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في هذا، ما عندنا مشكلة في هذا الأمر، قال: "وقال: "ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم" وحدث آحاد فعله تعالى لا يستلزم نقصاً في حقه" آحاد فعله ليس أصل الفعل، فرق بين الأمرين، يعني عندما أقول لك: الله سبحانه وتعالى متكلم من قديم، وهذا أمره ما كان قبل ذلك غير متكلم ثم صار متكهماً، لا أبداً، هو متكلم دائماً، لكن بعض الكلام تكلم به في وقت ما كان متكهماً به سابقاً كما مثلنا، وهذا ليس فيه نقص ألبتة في حق الله تبارك وتعالى، إذ أصل الصفة ثابت موجود، فلا نقص في ذلك، بل فيه كمال، لأنه قادر على أن يفعل ما شاء متى شاء وهذا من كماله تبارك وتعالى، هذا بالنسبة للحالة الأولى في كلام سوى الله سبحانه وتعالى، هل لازمه لازم أم لا؟ قال: "أن يذكر للقائل ويلتزم به" فهذا يكون لازماً له.

قال المؤلف: "الحال الثانية: أن يذكر له" يذكر للمتكلم لازم كلامه، "أن يذكر له ويمنع التلازم بينه وبين قوله"، يعني: قال قولاً، فقالوا له: يلزم من قولك كذا وكذا، فيقول: لا، أبداً هذا اللازم ليس بلازم من كلامي، قال: "مثل أن يقول النافي للصفات لمن يثبتها: يلزم من إثباتك أن يكون الله تعالى مشابهاً للخلق في صفاته"، يعني: أنا أثبت صفة الكلام لله تبارك وتعالى، أثبت صفة النزول، أثبت صفة الإتيان وصفة المجيء،

إلى آخره، فيقول لي النافي للصفات كالمعتزلي مثلاً: يلزم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى يشبه خلقه في صفاته، أي: كما أن الإنسان ينزل والله سبحانه وتعالى ينزل، الإنسان يتكلم والله سبحانه وتعالى يتكلم، والإنسان له يدان والله سبحانه وتعالى له يدان، إذاً يلزم من ذلك أن الله سبحانه وتعالى مشابه لخلقه في صفاته، هكذا عنده التلازم، فماذا أقول أنا؟ أقول: هذا اللازم باطل، ولا يلزم من كلامي إذ لا يلزم إثبات الصفات لله أن تكون مشابهة لصفات المخلوق، فالله سبحانه وتعالى صفاته صفات الكمال وصفات المخلوق صفات نقص، والتشبيه أن تقول يدٌ كيدٍ، ونزولٌ كنزولٍ، هذا هو التشبيه لا مجرد الإثبات يكون تشبيهاً، أبداً، فهذا اللازم ليس بلازم، قال المؤلف: "فيقول المثبت: لا يلزم ذلك، لأن صفات الخالق مضافة إليه" يعني: مضافة إلى الخالق، لما تقول يد الله غير عن أن تقول يد الخلق، يد زيد، فلما تضاف يصبح بينهما فارق عظيم، قال: "لم تذكر مطلقة"، لم يقل: يد فقط من غير أن تقول: يد الله، فرق بين أن تقول يد فقط أو أن تقول يد الله، لأنك أضفت اليد هنا إلى الله سبحانه وتعالى فأخذت صفة الكمال، "حتى يمكن ما ألزمت به، وعلى هذا فتكون مختصة به لأنها لائقة به، كما أنك أيها النافي للصفات ثبت لله تعالى ذاتاً وتمنع أن يكون مشابهاً للخلق في ذاته، فأبي فرق بين الذات والصفات؟" فنقول لك يعني: الآن أنت نضرب لك مثال من أجل نقرب لك عدم التلازم الذي أنت ذكرته، هل ثبت لله ذاتاً، يقول: نعم، نقول له: هل ثبت للخلق ذوات؟ فيقول: نعم، نقول له: فهل إثباتك للذات يلزم منها التشبيه لأنك أثبت للخالق ذاتاً وأثبت للمخلوق ذاتاً، فهل يلزم من ذلك التشبيه؟ يقول: لا، لا يلزم، لله ذات تليق بجلاله وعظمته وللمخلوق ذات تليق به، نقول له: فكما قلت في الذات قل في بقية الصفات، فكما أن إثبات الذات لله لا يلزم منها التشبيه مع أنك أيضاً ثبت الذات للمخلوق، كذلك إثبات الصفة لله لا يلزم منها التشبيه مع أنك ثبت الصفة للمخلوق، إذاً لا مانع من إثبات هذه الصفات لله، واللازم الذي ادعيتَه لازم باطل، قال: "وحكم اللازم في هاتين

الحالين ظاهر" ما معنى ظاهر؟ يعني: أنّه إذا التزم يكون لازماً وإذا لم يلتزم لا يكون لازماً، "الحال الثالثة: أن يكون اللازم مسكوتاً عنه، فلا يذكر بالتزام ولا منع" يعني: يذكر كلاماً لشخص ولم نستطع مثلاً أن نعرض عليه اللازم، فما فيه شيء ينص عليه من قبله، لا يقول: التزمت، ولم يقل: لم ألتزم، فلم نستطع أن نعرض عليه الكلام حتى نعرف رأيه، فماذا يكون الحال؟ قال: "فحكمه في هذا الحال أن لا يُنسب إلى القائل" لا يُنسب إليه، فلا يُقال: والله هو يقول بكذا، لماذا؟ قال: "لأنّه يحتمل لو ذكر له أن يلتزم به أو يمنع التلازم، ويحتمل لو ذكر له فتبين له لزومه وبطلانه أن يرجع عن قوله" يعني هذا الاحتمال وارد، وهذا الاحتمال وارد، وارد أنّه لو ذكر له أن يمنع التلازم، ووارد أيضاً احتمال آخر: أن يلتزم ويقول: نعم هو لازم وأنا ألتزمه، واحتمال ثالث: أن يقول: هو لازم ولكنه باطل وأنا أرجع عن قولي، ثلاث احتمالات عندنا، فإذا وردت هذه الاحتمالات لا نستطيع أن نُحمّل كلامه شيئاً منها بدون دليل، قال: "لأنّ فساد اللازم يدلّ على فساد الملزوم، ولورود هذين الاحتمالين لا يمكن الحكم بأنّ لازم القول قول"، خلاصة الموضوع: لوجود هذه الاحتمالات، الشيخ جعلهما احتمالين لأنّه قال: أو، هذه جعلها احتمالاً واحداً، الأول: قال: يحتمل أن لو ذكر له أن يلتزم به، أو يمنع التلازم، هكذا جاء الاحتمال الأول والاحتمال الثاني، هو ممكن أن نجعلها ثلاث احتمالات، الأول: أن يلتزم به، الثاني: أن يمنع التلازم، الثالث: أن يقول: هو لازم ولكن الكلام باطل فيرجع عن الكلام من أصله، لأنّ فساد اللازم يدلّ على فساد الملزوم، فلوجود هذه الاحتمالات، قال: "لا يمكن الحكم بأنّ لازم القول قول".

قال رحمه الله: "فإن قيل: إذا كان هذا اللازم لازماً من قوله لزم أن يكون قولاً له، لأنّ ذلك هو الأصل لاسيما مع قرب التلازم" يعني: قوة التلازم وقربه، "قلنا: هذا مدفوع بأنّ الإنسان بشر، وله حالات نفسية وخارجية توجب الذهول عن اللازم، فقد يغفل، أو يسهو، أو ينغلق فكره، أو يقول القول في مضايق المناظرات من غير

تفكير في لوازمه، ونحو ذلك"، هذا ردّ على الذين يقولون في الحالة الثالثة بأنّها لازمة، قال: لا، ليس بلازم للحالات التي تصيب الإنسان، هو بشر، لوجود هذه الحالات التي ذكرها المؤلف، حالات نفسية من الذهول والغفلة والسهو إلى آخره....، قالوا: لازم القول ليس بلازم حتى يلتزمه القائل.

إذاً هذه خلاصة اللازم في كلام الله وكلام رسوله وكلام غيرهما، فكلام الله وكلام رسوله اللازم فيه لازم، لكن بشرط أن يكون حقّاً هو لازم، الثاني: هل اللازم في كلام غيرهما هو لازم أم لا؟ نقول: هنا لازم القول ليس بلازم حتى يلتزمه، لماذا؟ نقول: لأنّه بشر يغفل ويسهو وينغلق فكره، فتعرض له أمور ربّما ما ينتبه لهذا اللازم، ولو انتبه ربّما لا يُسلم أنّه لازم لقوله، لأجلّ هذه الاحتمالات لا يمكن أن نقول: والله لازم قوله هو قول له كما يفعل بعض الناس اليوم ويطبق الدنيا ويقعدها وخلاف وشرّ يدبّ بين الشباب على لوازم ربّما هي ليست بلازمة أصلاً، ربّما الذي جعلها لازمة مخطئ، وربّما يكون مصيباً لكنّه ليس بلازم له للأسباب التي ذكرنا، والله أعلم، ونكتفي اليوم بهذا القدر، والحمد لله.

الدرس الخامس

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فقد وقفنا عند القاعدة الخامسة. قال المؤلف رحمه الله تعالى: "القاعدة الخامسة: أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها".

ما معنى التوقيفي؟ التوقيفي: هو الذي يتوقف إثباته أو نفيه على قول الشارع، يعني: لا نستطيع أن نثبت الاسم لله تبارك وتعالى أو أن ننفي الاسم ونقول هذا ليس اسماً لله سبحانه وتعالى إلاّ بدليل شرعي من الكتاب أو السنة أو الإجماع، غير هذا لا، مرفوض، فلا مجال للعقل في مثل هذه الأمور لأنّها أمور غيبية والعقل لا يمكنه أن يدرك مثل هذه الدقائق، العقل يدرك أنّ الله سبحانه وتعالى يجب في حقّه الكمال ولا يجوز في حقّه النقص، هكذا بالجملة نعم، لكن بالتفصيل لا يدرك العقل ذلك، فيُرجع في مثل هذه الأمور إلى النصّ الشرعي، هذا معنى هذه القاعدة.

قال المؤلف رحمه الله: "وعلى هذا" بناءً على هذه القاعدة، "فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة" فهذا معنى كونها توقيفية، قال: "فلا يُزاد فيها ولا يُنقص" لا يزداد في أسماء الله سبحانه وتعالى من عندنا فنسمي الله سبحانه وتعالى باسم لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الإجماع، ولا ننفي عن الله سبحانه وتعالى اسماً ورد في الكتاب أو في السنة أو في الإجماع، قال: "لأنّ العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقّه تعالى من الأسماء" لأنّ أمره أمرٌ غيبي يعتمد فيه على النصّ الشرعي، "لا يمكنه إدراك ما يستحقّه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على النصّ لقوله تعالى: "ولا تقفْ ما ليس لك به علم إنّ السّمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً"" لا تقفْ: يعني لا تتبع ما ليس لك به علم فلا تتكلم فيما لا علم لك به و قف، هذا معنى الآية، لا تتبع ما ليس لك به علم، ما تجهله، "إنّ السّمع والبصر والفؤاد" الفؤاد: الذي هو القلب، "كلّ أولئك كان عنه مسؤولاً" أنت مسؤول عما

نتكلم به وعما تسمعه وعما تعتقده، فلا نتكلم إلا بشيء عندك فيه علم من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من إجماع الأمة، فإنك مسؤول وواقف بين يدي الله تبارك وتعالى ومسؤول عن كل شيء تقوله أو تعتقده أو تعمل به، قال: "وقوله: "قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"" هذا الشاهد في آخرها، قل إنما حرم ربي أن تقولوا على الله ما لا تعلمون، فتثبت لله سبحانه وتعالى أسماء بجهلك وعدم علمك، أنت تجهل هذه الأمور ولم يثبت فيها كتاب ولا سنة ولا إجماع فهذا باطل، ستسأل عنه وهذا أمر محرم، أن تنفي عن الله اسماً أثبتته الله لنفسه هذا أيضاً محرم، لأنك تكون قد نفيت بجهل لا بعلم، هذا المعنى المقصود من هذه الآية، قال: "ولأن تسميته تعالى بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص" فتسمية الله بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمي به نفسه جناية في حقه تعالى، فالله سبحانه وتعالى حق تسمية نفسه له، وأنت إذا سميت باسم هو لا يريده فهذا يكون جناية في حق الله تبارك وتعالى، تعد، تجاوز، فلذلك كان محرماً، فالواجب سلوك الأدب مع الله تبارك وتعالى في مثل ذلك، والوقوف مع النص، فما أثبتته ثبتته وما نفاه نفاه في هذا يكون الأدب مع الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الأمور، فهو أدري بنفسه وأعلم بنفسه وأعلم بما يجوز أن يُسمي به نفسه وما لا يجوز، فلماذا نتعدى ونتجاوز حدودنا؟ هذا معنى القاعدة، وهذا الأصل الذي عليه أهل السنة والجماعة، أسماء الله لا تُثبت بالقياس العقلي، وإن كان قال بعض الناس بهذا، لكنه غير صحيح، باطل، لا مدخل للعقل في مثل هذه الأمور، والله أعلم.

ثم قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة السادسة: أسماء الله تعالى غير محصورة بعدد معين". معنى هذه القاعدة: أن أسماء الله تبارك وتعالى لا تدخل تحت حصر، فلا يمكنك أن تقول: أسماء الله سبحانه وتعالى تسعة وتسعون اسماً أو خمسون اسماً أو مئة اسم أو غير

ذلك من الأعداد، لا يمكنك أن تحصرها بعدد معين، وهذه القاعدة أخذت من هذا الحديث الذي سيذكره المؤلف رحمه الله، قال : "لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث المشهور: "أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك"" الحديث رواه أحمد و ابن حبان و الحاكم وهو صحيح لا غبار عليه، و دعوكم من فلسفة بعض المتأخرين الذين يخرجون لكم بعقائد جديدة وبفلسفات حديثة، أنا دائماً أنصح طلبة العلم أن لا يأخذوا العقيدة من كل من هب ودب، العقيدة أمرها خطير، و الأمر ليس سهلاً، فلا تسلم عقلك فيها لكل من هب ودب، بارك الله فيكم، و خذها عن أمثال هؤلاء الأئمة أو من اقتصر على اتباعهم و لم يحدث أموراً جديدة، ونحن إذ ندرس العقيدة فندرسها اتباعاً لهم، ما نأتي بشيء جديد، الحمد لله، ما نأتي بشيء جديد من عندنا، أنا قاعدتي في هذا ثابتة، لا أقول بقول إلا ولي فيه إمام من أئمة أهل السنة في العقيدة، لا آتي بشيء جديد من عندي، لأنني أعتقد أنه لا يجوز الإحداث في العقائد، ولا في غير العقيدة، لكن العقيدة أمرها أشد و أخطر، فهي أصول تنبني عليها الأفعال، فلذلك بارك الله فيكم أنصحكم دائماً أن تأخذوا العقيدة عن موثوق، معلوم عنه الاتباع و عدم الابتداع، لا يتفلسف، و يظهر نفسه بمظهر المحقق العلامة، و يبدأ يخدعكم بحلو الكلام و فصيحته، دعوكم من أمثال هؤلاء، العقيدة تؤخذ عن أهلها، عن الراسخين فيها، أو عمن التزم بمتابعتهم و عدم الخروج عما قرره أئمة السلف و من اتبعهم بإحسان، لا تقبل جديد في العقيدة، وإذا سمعت قولاً جديداً فتركه، ارجع إلى الأئمة وانظر ماذا قالوا، هذا الحديث صحيح لا غبار عليه، والشاهد منه في تقرير هذه العقيدة، قوله صلى الله عليه وسلم: "أو استأثرت به في علم الغيب عندك" هذا واضح الدلالة، المقصود منه: أن هناك أسماء لم يذكرها الله سبحانه و تعالى لنا و قد استأثر بها، يعني: جعل علمها عنده وحده، فلم يعلمها لخلقها، فلذلك بارك الله فيكم قرر العلماء هذه العقيدة، أن من الأسماء ما نعلمه و هو وارد في الكتاب والسنة وأجمع عليه

العلماء، أو أنّه وارد في الكتاب أو في السنّة فقط، ومنها ما لا نعلمه، قد استأثر الله بعلمه، فأسماء الله ليست محصورة بتسعة وتسعين اسماً، كما يدعي بعض المتفلسفة، بل هي أكثر، ولا تحصر بعدد معين، قال: "وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حصره ولا الإحاطة به"، لأنّ الله استأثر به، يعني: جعل علمه عنده فقط، ولم يعلمه خلقه، فبناءً على ذلك لا نستطيع أن نعلمه، وليس لها حصر نستطيع أن نحصرها فيه، إذ لا يوجد دليل على الحصر، وسيأتي الجواب عن حديث: "الله تسعة وتسعون اسماً"، سيأتي هذا الحديث إن شاء الله ويجاب عنه الشيخ، قال: "وما استأثر الله تعالى به في علم الغيب لا يمكن أحداً حصره ولا الإحاطة به، فأما قوله صلى الله عليه وسلم: "إنّ لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنّة" فلا يدلّ على حصر الأسماء بهذا العدد، ولو كان المراد الحصر لكنت العبارة: إنّ أسماء الله تسعة وتسعون اسماً، من أحصاها دخل الجنّة"، هكذا العبارة عند العرب تدلّ على الحصر، أو يقول: إنّما أسماء الله تسعة وتسعون اسماً، فهنا يدلّ هذا على الحصر، قال: "أو نحو ذلك" من العبارات التي تدلّ على الحصر عند أهل اللغة وأهل الأصول، قال: "إذا فمعنى الحديث: أنّ هذا العدد من شأنه أنّ من أحصاه دخل الجنّة، وعلى هذا فيكون قوله: "من أحصاها دخل الجنّة" جملة مكملّة لما قبلها وليست مستقلة، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة، فإنّه لا يمنع أن يكون عندك دراهم أخرى لم تعدها للصدقة، ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء"، جواب الشيخ واضح، إذ الدلالة اللغوية في الحديث لا تدلّ على حصر أسماء الله في هذا العدد المذكور، وهناك ألفاظ عند العرب لو أراد الحصر لجاء بها، لو أراد النبي صلى الله عليه وسلم الحصر لذكر الحديث بتلك الألفاظ المعروفة عند العرب بأنّها تفيد الحصر، ولما لم يفعل وأتى بهذا اللفظ دلّ ذلك على أنّها ليست محصورة في ذلك، ولكن هذا العدد له فضيلة، ما هي الفضيلة؟ أنّ من أحصاها دخل الجنّة فقط؛ هذا ما أراد أن يذكره لنا النبي صلى الله عليه وسلم.

ثم دخل المؤلف على موضوع آخر، قال: "ولم يصحّ عن النبي صلى الله عليه وسلم تعيين هذه الأسماء" يعني: إذا علمنا أنّ الله تسعةٌ وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، نهتم بمعرفة هذه الأسماء و بمعرفة معنى الإحصاء، أمّا الأسماء فلم يرد عندنا نص صحيح في تعيينها، أي: بيان عين الأسماء المقصودة، كأن يُقال مثلاً يُراد اسم كذا وكذا وكذا، هذا لم يثبت فيه حديث، وإن ورد حديث ضعيف بتعدادها، لكن الصحيح أنّه من كلام بعض أهل العلم و ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، و هذا معنى الإدراج (مدرج) يعني: هو من كلام بعض أهل العلم لكنّه أُدخل في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال المؤلف: "والحديث المروي عنه في تعيينها ضعيف، قال شيخ الإسلام ابن تيميه في الفتاوى (ص 382، ج 6) من مجموع ابن قاسم: "تعيينها ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم باتفاق أهل المعرفة بحديثه"، يعني باتفاق أهل الحديث، "وقال قبل ذلك (ص 379): "إنّ الوليد ذكرها" يعني: الوليد بن مسلم أحد رواة الحديث، "عن بعض شيوخه الشاميين، كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه" اهـ. وقال ابن حجر في "فتح الباري" (ص 215، ج 11، السلفية): "ليست العلة عند الشيخين [البخاري ومسلم] تفرد الوليد فقط بل الاختلاف فيه والاضطراب، وتدليسه، واحتمال الإدراج" اهـ "هذا كلّه يدلّ على أنّ الحديث لا يثبت بذكر تعيين الأسماء، إنّما الثابت منه القطعة الأولى: "إنّ الله تسعةٌ وتسعين اسماً، مئةٌ إلّا واحداً من أحصاها دخل الجنة".

قال المؤلف: "ولمّا لم يصحّ تعيينها عن النبي صلى الله عليه وسلم اختلف السلف فيه" أي: في تعيينها، "وروي عنهم في ذلك أنواع، وقد جمعتُ تسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" هكذا عندي، وهذه الظاهر فيها سقط "وقد جمعتُ تسعةً وتسعين" لأنّ هذا الذي جمعه الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، "وقد جمعتُ تسعةً وتسعين اسماً" النسخة التي عندي فيها سقط، وهذا سوء طبعات، أسوأ ما في طبعة الكتاب أن يكون فيها سقط وتحريف في الألفاظ، فهذا يفسد

المعاني، وهذا أسوأ ما يوجد في الطبقات لذلك ننصح طلبة العلم أن يقتنوا الطبقات الجيدة، والطبقات الجيدة لا تُعرف بأسماء المحققين، ربّما محقق يطبع لك كتاباً طبعة جيّدة وإذا حقق كتاباً آخر أفسده، هذا موجود خاصة في هذا الزمن الذي كثر فيه التجار في هذا الميدان، لذلك نحن ننصح أن يُسأل أهل العلم عن طبعة أي كتاب يريد طالب العلم أن يشتريه، يسأل أهل العلم فهم من خلال خبرتهم ومعرفتهم للكتب واطلاعهم عليها يعرفون الطبعة الجيدة من الطبعة الرديئة، لا تغتروا بالأسماء بارك الله فيكم خاصة أسماء المحققين التجار هؤلاء، قال: "وقد جمعتُ تسعة وتسعين اسماً مما ظهر لي من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم" ثم بدأ بذكرها فقال: "الله": هذا أخذه من قول الله تبارك وتعالى: "بسم الله"، و: "الله لا إله إلا هو" إلى آخره، آيات كثيرة، ومعناه: المعبود.

"الأحد": وهذا أخذه من قول الله تبارك وتعالى: "قل هو الله أحد"، ومعناه: المنفرد بجميع الكمالات، لا يشاركه فيها مشارك، فهو المعبود بحقّ وحده، وهو المتّصف بصفات الكمال وحده تبارك وتعالى.

"الأعلى": ودليله: "سبح اسم ربك الأعلى"، ومعناه: من العلوّ، فالله سبحانه وتعالى عالٍ في ذاته مستوٍ على عرشه وعالٍ في قدره ومكانته.

"الأكرم": ودليله: "اقرأ وربك الأكرم"، ومعناه: المتّصف بغاية الكرم.

"الإله": دليله: "والهكم إله واحد"، معناه: المعبود.

"الأول والآخر والظاهر والباطن": دليله قول الله تبارك وتعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن"، الأول: الذي ليس قبله شيء لأنّه كان ولا شيء موجود سواه، الآخر: الذي ليس بعده شيء وهو كائن بعد فناء الأشياء كلّها، كما قال جلّ ثناؤه: "كلّ شيء هالكٌ إلا وجهه"، والظاهر: العالي على كلّ شيء، والباطن: الذي ليس دونه شيء، أي: ليس أحدٌ يدبر دونه ولا أحدٌ ينفرد بشيء دونه ولا أحدٌ يخفى عليه، فهو محيط بكلّ شيء علماً وقهراً.

"البارئ": دليله: "هو الله الخالق البارئ"، ومعناه: الموجد من العدم.
"البرّ": "إنّه هو البرّ الرحيم"، معناه: اللطيف بعباده، الذي يحسن إليهم.
"البصير": دليله: "وهو السميع البصير"، معناه: الذي يرى كلّ شيء، الخبير بكلّ شيء.

"التواب": دليله: "إنّ الله هو التواب الرحيم"، معناه: كثير التوبة، يقبل توبة عباده.
"الجبار": دليله: "العزیز الجبار"، وهذا يأتي على عدة معانٍ: منها الإصلاح، فهو المصلح، ومنها القهّار، ومنها العليّ.

"الحافظ": دليله: "فالله خيرُ حافظاً"، معناه: الذي يحفظ الأشياء من الهلاك، والمعنى الآخر: المحصي الذي يحصي على العباد أعمالهم.

"الحسيب": دليله: "وكفى بالله حسيباً"، ومعناه: الكافي، ويأتي بمعنى المحصي أيضاً.
"الحفيظ": دليله: "إنّ ربّي على كلّ شيء حفيظ"، ومعناه: الحافظ، وتقدّم معنى الحافظ.

"الحفيّ": ودليله: "إنّه كان بي حفيّاً"، ومعناه: البرّ اللطيف.
"الحقّ"، "المبين": ودليلهما قوله تعالى: "ويعلمون أنّ الله هو الحقّ المبين"، والمعنى: الحقّ الذي لا شكّ فيه، الخالق الرازق المدبّر والمعبود بحقّ، لا شكّ في ذلك، وضدّه الباطل، والمبين: المظهر المبين.

"الحكيم": دليله: "وهو العزيز الحكيم"، والحكيم بمعنىين: بمعنى الذي له كمال الحكم، وبمعنى الموصوف بكمال الحكمة، فالحكيم تأتي بمعنى الحكمة وبمعنى الحاكم، من الحكم ومن الحكمة.

"الحليم": دليله: "غفورٌ حلیمٌ"، ومعناه: ذو أناة، أي: عدم العجلة.
"الحميد": دليله: "إلى صراط العزيز الحميد"، وهو من الحمد، بمعنى المحمود: أي الموصوف بصفات الكمال محبةً وتعظيماً، ويذكر بصفات الكمال محبةً وتعظيماً.
"الحيّ"، "القيوم": دليله: "الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم"، والحيّ من الحياة، هو واضح،

والقيوم: القائم بنفسه والقائم على غيره، فكلّ ما في هذا الوجود هو الذي يحفظه وهو الذي يرزقه وهو الذي يقوم على شأنه.

"الخبير": دليله: "وهو اللطيف الخبير"، ومعناه: العالم ببواطن الأمور.

"الخالق": دليله: "الخالق البارئ"، ومعناه: الذي يوجد من العدم.

"الخالق": دليله: "إنّ ربّك هو الخلاق العليم"، معناه: الخالق خالقاً بعد خلق.

"الرؤوف": دليله: "إنّه بهم رؤوف رحيم"، الرؤوف بمعنى الرحيم إلّا أنّ الرأفة أشدّ من الرحمة.

"الرحمن"، "الرحيم": دليله: "بسم الله الرحمن الرحيم"، "الرحمن" أوسع من "الرحيم"، فهو رحمن بكلّ شيء، بكلّ خلقه، ورحيم بالمؤمنين خاصة، "وكان بالمؤمنين رحيماً".

"الرزاق": "إنّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين"، ومعناه: أنّه كثير الرزق والعطاء.

"الرقيب": "وكان الله على كلّ شيء رقيباً"، ومعناه: الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء.

"السلام": ودليله: "السلام المؤمن"، ومعناه: ذو السلام، أي: الذي سلّم من كلّ عيبٍ وبرئ من كلّ آفة.

"السميع": ودليله: "إنّك أنت السميع العليم"، ومعناه: الذي يدرك الأصوات، فهو سميعٌ بسمع.

"الشاكِر": ودليله: "وكان الله شاكراً عليمًا"، ومعناه: الذي يشكر لعباده بمغفرته لهم وإعانتهم.

"الشكور": دليله: "إنّه غفور شكور"، ومعناه: بمعنى الشاكِر إلّا أنّها للمبالغة فتفيد الكثرة، شكور على وزن فعول، وهذا الوزن أشدّ كثرة من الشاكِر الذي هو على وزن فاعل.

"الشهيد": دليله: "والله على كلّ شيء شهيد"، ومعناه: المطلّع على جميع الأشياء.

"الصمد": دليله: "الله الصمد"، ومعناه: السيد الذي يلجأ إليه الخلق والذي تنزّه عن صفات المخلوقين كالأكل والشرب فلا جوف له.

"العالم": ودليله: "وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ"، ومعناه: من العلم، فهو صاحب العلم الكامل.
ونقف إلى هنا ونكمل في الدرس القادم بإذن الله تعالى.

الدرس السادس

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فمازلنا في ذكر الأسماء التي استخرجها الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله من
الكتاب والسنة.
قال رحمه الله:

"العزیز": ودليله: "وهو العزيز الحكيم" والمعنى من العزة، الرفعة والامتناع فله عزة القوة
والغلبة والامتناع فلا يُنال ولا يُغلب.
"العظيم": دليله: "وهو العليّ العظيم"، معناه: ذو العظمة والجلال.
"العفو": دليله: "وإنّ الله لعفو غفور"، ومعناه: كثير العفو والصفح عن الذنب وترك
المجازاة عليه.

"العليم": ودليله: "وما تفعلوا من خير فإنّ الله به عليم"، وهو بمعنى العالم إلّا أنّ العليم
أشدّ مبالغة من العالم.

"العليّ": ودليله: "وهو العليّ العظيم"، ومعناه: العالي في ذاته وفي قدره تبارك وتعالى.
"الغفار": ودليله: "وإنيّ لغفار لمن تاب"، وغفار على وزن فعّال وهذا الوزن يأتي
للكثرة، فمعناه كثير المغفرة، والمغفرة: هي ستر الذنوب وتغطيتها وعدم إظهارها وعدم
فضح أصحابها، هذا معنى المغفرة.

"الغفور": ودليله: "وهو الغفور الودود"، وهو من حيث المعنى مثل الذي قبله، والغفار
أشدّ مبالغة من الغفور، هي كلّها وزن فعّال وفِعُول من الأوزان التي تستعمل
للكثرة، لكن وزن الغفار الذي هو الفِعّال أكثر من وزن الغفور الذي هو وزن
الفِعُول.

"الغني": دليله: "هو الغني الحميد"، والمعنى الذي لا يحتاج إلى غيره لكمالهِ سبحانه وكمال
ملكهِ، فالغني معروف معناه.

"الفتاح": دليله: "وهو الفتّاح العليم"، ومعناه الحاكم الذي يحكم بين العباد بالحقّ، فالفتح بمعنى الحكم كما في قوله تبارك وتعالى: "ربّنا افتح بيننا وبين قومنا بالحقّ"، يعني: احكم بيننا وبين قومنا بالحقّ.

"القادر": دليله قوله تعالى: "فنعم القادرون"، ومعناه: من القدرة على الشيء، فهو قادر على كلّ شيء فلا يعجزه شيء.

"القاهر": دليله: "وهو القاهر فوق عباده"، والقهر هو الغلبة والأخذ من فوق، معنى الاسم: المذلّ المستعبد خلقه الغالب لعباده المذلّ لهم العالي عليهم بتدليله لهم وخلقهم إياهم، فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه.

"القدوس": دليله: "الملك القدوس"، ومعناه: المنزّه المطهر عن كلّ النقائص والعيوب. "القدير": دليله: "فإنّ الله كان عفواً قديراً"، وهو بمعنى القادر إلّا أنّ القدير أبلغ من القادر فهو تام القدرة.

"القريب": دليله: "فإنّي قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان"، والقرب معروف معناه، والله قريب من عباده بعلمه وقريب منهم بإجابته لدعواهم، فالقرب قرب العلم، قرب الإجابة، أمّا هو بذاته تبارك وتعالى فهو مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه.

"القوي": دليله: "وهو القوي العزيز"، القوة معناها معلوم فهي ضد الضعف، فعنى الاسم واضح فهو قوي لا يغلبه غالب.

"القهار": دليله: "هو الله الواحد القهار"، تقدم معنى اسم القاهر، والقهار بمعناه إلّا أنّ القهار أكثر مبالغة فهو كثير القهر.

"الكبير": دليله: "الكبير المتعال"، ومعناه: العظيم الذي كلّ شيء دونه ولا شيء أعظم منه، الموصوف بالجلال وكبر الشأن تبارك وتعالى.

"الكريم": دليله: "ما غرّك ربّك الكريم"، ومعناه معلوم فهو كثير الخير والجلود والعطاء.

"اللطيف": ودليله: "وهو اللطيف الخبير"، ومعناه: الذي لا تخفى عليه الأشياء وإنّ

دَقْتُ، فاللطيف العالم بدقائق الأمور ويأتي أيضاً بمعنى الرفيق الذي يرفق بعباده.
"المؤمن": ودليله: "السلام المؤمن"، ومعناه: المصدق أو المأمّن، فالاسم يأتي على المعنيين، إمّا من التصديق أو من الأمان الذي هو ضد الخوف، فإمّا أن يُقال معناه الذي يُصدّق أنبياءه أو الذي يؤمّن خلقه من الظلم.
"المتعال": دليله قوله تعالى: "الكبير المتعال"، ومعناه: المستعلي على كلّ شيء بقدرته تبارك وتعالى.

"المتكبر": ودليله: "العزیز الجبار المتكبر"، أصل التكبر التعظم، ومعنى الاسم: الذي تكبر برؤوسيته فلا شيء مثله، وقال قتادة: أي تكبر عن كلّ شيء، تعظم وتعالى وترفع، هذا المعنى.
"المتين": قال تبارك وتعالى: "ذو القوة المتين"، والمعنى شدة القوة، المتانة: شدة القوة، فالمتين شديد القوة.

"المجيب": دليله قوله تعالى: "إنّ ربّي قريب مجيب"، مجيب لدعاء من دعاه، فينجيه من الكرب أو يرزقه أو يفعل له ما دعا به إن شاء سبحانه وتعالى، نعم.
"المجيد": دليله قوله تعالى: "إنّه حميد مجيد"، وهو بمعنى ماجد، وهو كثير الشرف، الكبير العظيم الجليل تبارك وتعالى.

"المحيط": دليله قوله تعالى: "وكان الله بكلّ شيء محيطاً"، معناه: محيط بكلّ شيء من جميع جوانبه، علماً وقدرَةً ورحمةً وقهراً، كلّ هذا، الإحاطة: الإلمام بالشيء من جميع جوانبه، هذا معنى الإحاطة.

"المصور": دليله قوله تبارك وتعالى: "هو الله الخالق البارئ المصور" ومعناه: الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون، على الصورة التي أرادها سبحانه، فهو يخلق الأشياء على صورها التي يشاؤها، يخلق الشخص طويلاً، قصيراً، جميلاً، بشعاً، إلى آخره، الصورة التي شاءها يخلق العبد عليها.

"المقتدر": دليله قوله تعالى: "عند مليك مقتدر"، وهو بمعنى القادر إلّا أنّها أشدّ مبالغة

في الوصف بالقدرة، فالزيادة في المبنى تدلّ على الزيادة في المعنى عند العرب.
"المقيت": دليله قوله تبارك وتعالى: "وكان الله على كلّ شيء مقيتاً"، أي القدير هذا المعنى.

"الملك": دليله قوله تبارك وتعالى: "الملك القدوس"، والمعنى معلوم، الملك الذي يكون له الأمر والنهي فيتصرف في خلقه بقوله وفعله.

"المليك": دليله قوله تبارك وتعالى: "عند مليكٍ مقتدر"، وهذا المليك على وزن فعيل، أكثر مبالغة من الملك وأقوى في تأكيد الصفة.

"المولى": دليله قوله تعالى: "نعم المولى"، المولى معناه: الناصر والمعين والمحبّ كلّها تصح في هذا الموطن.

"المهيمن": دليله: "السلام المؤمن المهيمن"، معناه: القريب الشاهد على خلقه بأعمالهم.
"النصير": ودليله قوله تبارك وتعالى: "ونعم النصير"، أي: الناصر لعباده، الناصر لعباده الذي لا يترك نصرهم ويوثق به بأن لا يسلم وليّه ولا يخذله.
"الواحد": ودليله قوله تبارك وتعالى: "هو الله الواحد القهار"، ومعناه: الفرد الذي لا شريك له.

"الوارث": ودليله قوله تبارك وتعالى: "ونحن الوارثون"، ومعناه: الباقي بعد فناء الخلق، فتعود الأرض كما كانت قبل سكناها لا مالك لها إلا الله، الذي يرث الأرض ومن عليها.

"الواسع": دليله قوله تبارك وتعالى: "والله واسع عليم"، السعة ضد الضيق، فالواسع يسع خلقه كلّهم بالكفاية والإفضال، والجود والتدبير، فهو يشملهم جميعاً بقدرته عليهم وإعطائهم ورزقهم إلى آخره.

"الودود": ودليله قوله تبارك وتعالى: "وهو الغفور الودود"، بمعنى: المحبّ، فهو يحبّ عباده الصالحين، وبمعنى المحبوب، فعباده يحبونه.

"الوكيل": دليله قوله تبارك وتعالى: "وكفى بالله وكلاً"، ومعناه: الكافي الحافظ.

"الولي": دليله قوله تبارك وتعالى: "وهو الولي الحميد"، معناه: المحبّ الناصر المعين، بنفس معنى المولى الذي تقدم.

"الوهاب": دليله قوله تبارك وتعالى: "إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ"، أي المعطي عباده ما شاء من العطاء من ملك وسلطان وقوة ورزق ونبوة وغير ذلك. هذه هي الأسماء التي استخرجها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله من كتاب الله، ثم يذكر لنا تمة الأسماء التسعة والتسعين من السنة، فهذه التي ذكرها، ذكر إحدى وثمانين اسماً، وتتم الباقي من السنة.

قال المؤلف رحمه الله: "ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم:".
"الجميل": وهذا ورد في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ"، الحديث في صحيح مسلم، والجمال هو الحسن، ضد القبح.
"الجواد": هذا ورد في حديث عند الترمذي وأخرجه أحمد أيضاً، قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم: "يقول الله سبحانه وتعالى: أنا الجواد"، ولكن هذا الحديث ضعيف، ولا يصحّ حديث يُثبت هذا الاسم أبداً.

"الحكم": جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ"، في حديث أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما، ومعناه: الذي يحكم بالعدل، فالإله الحكم.
"الحي": وهذا ثبت في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ حَيٌّ كَرِيمٌ".
"الرب": وهذا جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أَمَّا الرُّكُوعُ فَعُظُمُوا فِيهِ الرَّبَّ" وهو عند مسلم، وفي حديث عائشة: "السَّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ".

"الرفيق": ودليله قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ" حديث متفق عليه، والرفيق كثير الرفق، والرفق اللين والتسهيل، وضده العنف والتشديد.

"السُّبُّوح": جاء في الحديث: "سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ" الحديث في صحيح مسلم، ومعناه: المنزه عن جميع النقائص والعيوب.

"السيد": جاء في حديث عند أبي داود، قال: "السيد الله تبارك و تعالى".
"الشافي": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "اشف و أنت الشافي" متفق عليه، الشافي لكل آفة و عاهة و مرض هو الله سبحانه و تعالى.
"الطيب": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنّ الله طيب لا يقبل إلّا طيباً" الحديث في الصحيح، ومعناه: المنزه عن النقائص، و هو خلاف الخبيث.
"القابض"، "الباسط": هذان جاءا في حديث واحد: "إنّ الله هو المسعر القابض الباسط"، و معناه: أنّه يقتر على من يشاء و يوسع على من يشاء، يضيق على من يشاء و يوسع على من يشاء في الرزق، و القبض: التقتير و التضيق، و البسط التوسعة في الرزق و الإثثار منه.

"المقدم"، "المؤخر": جاءا في حديث واحد في دعاء النبي صلى الله عليه و سلم: "أنت المقدم و أنت المؤخر"، و المقدم معناه الذي يقدم الأشياء و يضعها في مواضعها، فمن استحق التقديم قدّمه، و المؤخر الذي يؤخر الأشياء و يضعها في مواضعها، فمن استحق التأخير أخره، كما أنّ من استحق التقديم قدّمه.

"المحسن": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنّ الله عزّ و جل محسن كتب الإحسان على كلّ شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة"، و معناه: الذي يُحسن إلى عباده، يتفضل عليهم بنعمه، لكنّ هذا الاسم ورد في حديثين ضعيفين.
"المعطي": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنّما أنا قاسم و الله معطي"، فالعطاء يكون منه تبارك و تعالى، و معنى العطاء معلوم.

"المنان": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يا منان"، و هذا عند أبي داود و عند النسائي و غيرهم، ومعناه: المنعم المعطي.

"الوتر": جاء في قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنّ الله و تر يحبّ الوتر"، أي: الفرد الذي لا شريك له ولا نظير.

اسم الله الرّب لم نفسه، معناه: السيد المطاع و المالك و المصلح، ربّ الشيء إذا

أصلحه، و التربية من ذلك و هي: إنشاء الشيء مرحلة فمرحلة إلى حد التمام، فهو المربي و هو سيد الخلق و هو مالکهم و هو الذي يُصلح أمرهم و هو الذي يقوم على شأنهم تبارك و تعالى، أمّا السيد فعناه معلوم، لأنّ السؤدد حقيقة لله عزّ وجل، فالخلق كلّهم عبيد له و هو سيدهم.

هذه الأسماء التي ذكرها الشيخ رحمه الله و أوصلها إلى تسع و تسعين اسماً من الأسماء الثابتة لله سبحانه و تعالى أيضاً:

"الديان": ثبت في حديث صحيح، فبدل اسم الجواد نضع الديان، و أمّا اسم الله "الحنان" يعني: ذو الرحمة، هذا لا يصحّ، و "الستير" أي: الساتر: يستر على عباده كثيراً، و هذا أيضاً في صحته نظر، لعل الاسم الأخير يكون: "الهادي" فقد أثبتته غير واحد من العلماء المحققين اسماً لله تبارك و تعالى.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "هذا ما اخترناه بالتتبع واحد وثمانون اسماً في كتاب الله تعالى وثمانية عشر اسماً في سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان عندنا تردد في إدخال "الحفي" لأنّه إنّما ورد مقيداً في قوله تعالى عن إبراهيم: "إنّه كان بي حفياً"، وكذلك "المحسن" لأنّنا لم نطلع على رواته في الطبراني وقد ذكره شيخ الإسلام في الأسماء ثم وجدته في مصنف عبد الرزاق عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم" قد ذكرنا أنّه ضعيف لا يصحّ في ذلك شيء.

قال: "ومن أسماء الله تعالى ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك، ذو الجلال والإكرام"، قال: "وما اخترناه فهو حسب علمنا وفهمنا وفوق كلّ ذي علم عليم حتى يصل ذلك إلى عالم الغيب والشهادة ومن هو بكلّ شيء عليم"، يعلم بعض الناس ما يخفى على البعض الآخر وهكذا، وهذا علم الشريعة فوق كلّ ذي علم عليم، فيفتح الله سبحانه و تعالى على بعض عباده ما لا يفتحه على البعض الآخر.

وبهذا نكون قد انتهينا من القاعدة السادسة، هذه الأسماء جاء في الحديث: "من أحصاها دخل الجنة"، والإحصاء اختلفوا فيه ولعله ينال هذه الفضيلة التي ذكرت في

الحديث من حفظ هذه الأسماء وفهم معانيها وعمل بمقتضاها، فسيناله الأجر إن شاء الله تماماً، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لذلك وأن يجعلنا من المنتفعين بما تعلمنا، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس السابع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، اليوم معنا: "القاعدة السابعة": وهي آخر قواعد الأسماء.

قال المؤلف رحمه الله: "الإلحاد في أسماء الله تعالى هو الميل بها عما يجب فيها".

الإلحاد في أسماء الله تعالى هذا هو موضوعنا، القاعدة السابعة: لا يجوز الإلحاد في أسماء الله تعالى، يحرم الإلحاد في أسماء الله تعالى، أسماء الله تبارك وتعالى عرفناها، فما هو الإلحاد، وما دليل عدم جواز الإلحاد في أسمائه.

أمّا الإلحاد في اللغة فهو: الميل، الميل يسمى إلحاداً، كما يسمى القبر الذي في آخره انحراف إلى جهة اليمين أو جهة الشمال حسب اتجاه القبلة يسمى لحداً، لماذا؟ لأنّ فيه ميلاً، وكذلك يُسمى الرجل الملحد، لأنّه مال عن دين الله الحق إلى الباطل، فأصل مادة (لحد) تعني: الميل.

فالمراد هنا الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى هو الميل بها عما يجب فيها كما عرّفه المؤلف، هذا المعنى الشرعي للإلحاد في أسماء الله تعالى، أي: الميل بها عما يجب فيها شرعاً، بمعنى أنّه يجب أن تثبت لله اسم الرحمن، فإذا نفيت هذا الاسم فقد ملت به عما يجب شرعاً، يجب شرعاً أن تثبت هذا الاسم لله، أنت لم تثبته، فتكون قد ملت به عما يجب شرعاً، وهذا الميل له صور، هذه صورة من الصور التي مثلنا بها، وهي إنكار الاسم الثابت لله تبارك وتعالى في كتاب الله أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه صورة من صور الميل، الميل في أسماء الله تبارك وتعالى عما يجب فيها شرعاً، طيب، هذا معنى الإلحاد وله صور وسيدكر المؤلف هذه الصور، ما الدليل على تحريم الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى، الدليل على ذلك: أنّ الله تهذّب الملحدون بقوله تبارك وتعالى: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون"، سيجازيهم الله سبحانه وتعالى بعملهم، يعذبهم على ما فعلوا من الإلحاد في أسماء الله تبارك

وتعالى، ومن الإلحاد ما يكون شركاً وكفراً بالله تبارك وتعالى ومنه ما يكون ذنباً عظيماً يستحق صاحبه النار وحكمه إلى الله سبحانه وتعالى، هل سيعذبه أم يعفو عنه، أمره إلى الله تبارك وتعالى، أمّا الكافر الذي يموت على الكفر فهذا مَخْلَدٌ في نار جهنم كما هو معلوم التفصيل في هذه المسألة وقد ذكرناها سابقاً، فإذا قلنا الإلحاد كفر، ومات الشخص على الإلحاد فهذا مَخْلَدٌ في نار جهنم، وإذا قلنا ليس بكفر فهذا حكمه حكم العصاة الذين يموتون على المعصية، هذا هو الإلحاد وهذا هو حكمه الشرعي، الآن نبدأ بصور الإلحاد التي إن وقع الشخص في صورة منها، يصحّ أن يُقال بأنّه ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله: "وهو أنواع: أي: الإلحاد أنواع. "الأول: أي: النوع الأول من أنواع الإلحاد، "أن ينكر شيئاً منها" من أسماء الله تبارك وتعالى كما فعل المشركون عندما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم، قالوا ما ندري ما الرحمن، فأنكروا هذا الاسم من أصله، فلم يعترفوا بأنّ لله اسم الرحمن، هذا إلحاد في أسماء الله، فإذا أنكر شخص اسماً من أسماء الله الثابتة له في كتابه أو في سنة نبيه صلى الله عليه وسلم فيكون قد ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى، قال: "أن ينكر شيئاً منها"، يعني: أن ينكر شيئاً من أسماء الله تبارك وتعالى، ينكر اسم الرحمن أو ينكر اسم السميع أو ينكر اسم البصير، إلى آخره.

قال: "أو مما دلّت عليه من الصفات والأحكام، كما فعل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم"، يعني ربّما الشخص يثبت الاسم لله سبحانه وتعالى لكنه ينفي المعنى الذي دلّت عليه، سواء كان صفة أو حكماً، اسم الله "الرحمن" يدلّ على صفة الرحمة، فإذا أنكر شخص هذه الصفة لله تبارك وتعالى فقد ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى، لأنّ مما يجب في أسماء الله تبارك وتعالى أن تؤمن بالاسم وأن تؤمن بالصفة التي تضمنها الاسم والأثر الذي يترتب على ذلك، كما مرّ معنا في السابق، هذا كلّه يجب إثباته، فإذا نفى شخص شيئاً من ذلك فقد ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى، من أسماء الله: الحكيم، فله

الحكم تبارك وتعالى، فمن نفى أنّ الحكم لله تبارك وتعالى فقد ألحد في أسماء الله تبارك وتعالى، هذا معنى قول المؤلف: "أو مما دلّت عليه من الصفات والأحكام"، قال: "كما فعل أهل التعطيل"، أهل التعطيل: هم الذين عطّلوا أسماء الله تبارك وتعالى عن معانيها ومقتضياتها، الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلائية وغيرهم من المتكلمين، الذين قدّموا عقولهم الخربة على نصوص كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هؤلاء قد عطّلوا أسماء الله تبارك وتعالى فلم يثبتوها، البعض منهم، والبعض الآخر أثبت الاسم ولكنه عطّل الصفات، والبعض الآخر أثبت الاسم وأثبت بعض الصفات وعطّل البعض الآخر، يتفاوتون في الضلال، لكن يجمعهم الإلحاد بهذه الصورة التي ذكرها المؤلف هنا، إمّا أن يُنكر شيئاً من أسماء الله، أو أن يُنكر ما دلّت عليه الأسماء من الصفات أو الأحكام، فهم واقعون في هذا النوع من الإلحاد، ثم قال المؤلف: "وإنّما كان ذلك إلحاداً لوجوب الإيمان بها وبما دلّت عليه من الأحكام والصفات اللاتئة بالله، فإنكار شيء من ذلك ميلٌ بها عما يجب فيها"، الكلام واضح، لماذا سمينا إنكار اسم الله تبارك وتعالى من الأسماء الثابتة له أو إنكار ما دلّت عليه من الصفات والأحكام، لماذا سمينا ذلك إلحاداً، لأننا عرّفنا الإلحاد فيما سبق: هو الميل بها عما يجب فيها، ومما يجب فيها: الإيمان بها وبما دلّت عليه من الأحكام والصفات اللاتئة بالله تبارك وتعالى، هذا يُسمى: إلحاداً، هذا النوع الأول من الأنواع الأربعة التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

ثم قال المؤلف رحمه الله: "الثاني: أي: النوع الثاني من أنواع الإلحاد، "أن يجعلها" الضمير هنا عائداً على ماذا؟ على أسماء الله تبارك وتعالى، أنت في أثناء القراءة ينبغي أن تستحضر هذا الربط حتى لا تنقطع أفكارك، تسلسلك في فهم العبارات، والضمائر هذه بالذات أحياناً تتوه القارئ، فإذا استحضرت بهذه الطريقة أولاً بأول ستبقى العبارة مرتبطة مع بعضها في ذهنك، "أن يجعلها" الضمير عائداً إلى ماذا؟ مهم جداً أن تقف هنا قبل أن نستمر في القراءة، "أن يجعلها" أن يجعل ماذا؟ أن يجعل

أسماء الله سبحانه وتعالى، فإذا القضية صارت واضحة، "دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين"، أن يجعل أسماء الله سبحانه وتعالى متضمنة لصفات تشبه صفات المخلوقين، "كما فعل أهل التشبيه، وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدلّ عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها" أن يجعل أسماء الله تبارك وتعالى دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين، مثال ذلك: اسم الله السميع، يقول: ثبت لله اسم السميع وثبت له صفة السمع وهي صفة تشبه صفات المخلوقين، فصفة الله سبحانه وتعالى السمع؛ الله له سمع ونحن لنا سمع وسمعنا يشبه سمع الله سبحانه وتعالى وسمع الله يشبه سمعنا، فهذا من المشبهة، هؤلاء نوع آخر من أنواع المبتدعة الذين يقابلون المعطلة، المعطلة يُعطّلون الصفة فينفونها، المشبهة يثبتونها مع التشبيه، فيقولون: صفات الله تشبه صفات المخلوقين، ونعوذ بالله من هذا القول، هذا فيه تنقص لله تبارك وتعالى وإلحاد في أسماء الله، لأنك لم تثبت ما وجب فيها من تنزيه الله تبارك وتعالى لصفات المخلوقين، ثبت له صفات الكمال، لا صفات النقص، صفات المخلوقين صفات نقص وليست كصفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال، قال: "أن يجعلها دالة على صفات تشابه صفات المخلوقين كما فعل أهل التشبيه" المشبهة، وبين العلة المؤلف فقال: "وذلك لأن التشبيه معنى باطل لا يمكن أن تدلّ عليه النصوص، بل هي دالة على بطلانه فجعلها دالة عليه ميل بها عما يجب فيها" إثبات صفة السمع لله سبحانه وتعالى، كونها أضيفت لله سبحانه وتعالى دلّ ذلك على أنّها لا تشبه صفات المخلوقين، لأن صفات المخلوقين صفات تليق بهم، تليق بنقصهم، أمّا صفات الله سبحانه وتعالى فتليق به، تليق بكماله تبارك وتعالى، ف مجرد أن أضيفت الصفة لله سبحانه وتعالى فقد فارقت بها صفات المخلوقين، فإذا جعلت صفة الله سبحانه وتعالى كصفة المخلوق فقد أخللت فيما يجب في أسماء الله تبارك وتعالى، لذلك هذا يعتبر ميلاً بها عما يجب فيها، يجب أن تثبت لله الصفة، صفة الكمال، فإذا جعلت هذه الصفة مشابهة لصفة المخلوق فما أثبت لله تبارك وتعالى صفة الكمال التي

تضمنها الاسم، من هذا الوجه هي ميل عما يجب فيها.

النوع الثالث: قال المؤلف رحمه الله: "الثالث: أن يُسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: الأب، وتسمية الفلاسفة له: العلة الفاعلة" هذا النوع الآن بخلاف النوع الأول الذي هو إنكار اسم ثابت لله في الكتاب والسنة، هنا فيه ابتداء اسم جديد لله لم يسم به نفسه لا في الكتاب ولا في السنة، هذا أيضا نوع من أنواع الإلحاد في أسماء الله، لماذا هو نوع من أنواع الإلحاد؟ لأن الواجب في أسماء الله أن تسمى الله بما سمي به نفسه فقط، فإذا سمّيته بما لم يسم به نفسه فقد أُلحِدَ في أسماء الله تبارك وتعالى عما يجب فيها، هذا هو المعنى المقصود هنا، قال: "أن يسمى الله تعالى بما لم يسم به نفسه، كتسمية النصارى له: الأب" النصارى يسمون الله سبحانه وتعالى الأب، هذه تسمية لم ترد لا في كتاب ولا في سنة، هي من اختراعهم، كذلك الفلاسفة الذين يعتمدون على العقول في إثبات الكونيات والأمور الألوهية وما شابه، نوع من أنواع الملحدّين من كفرة اليونان وأخذ عنهم بعض من ينتمي إلى الإسلام وعندهم أنواع من الكفريات، يسمون الله سبحانه وتعالى: العلة الفاعلة، هذه تسمية محدثة من تلقائهم، من عندهم، من تلقاء أنفسهم أتوا بها، قال المؤلف: "وذلك" يعني لماذا سمينا هذا إلحاداً؟ اختراع اسم جديد لله سبحانه وتعالى لم يسم به نفسه ولم يسمه به نبيه صلى الله عليه وسلم، لماذا سميناه إلحاداً؟ قال: "وذلك لأن أسماء الله تعالى توقيفية" وقد تقدم معنا معنى التوقيفية، وهي موقوفة على إثباتها من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقط، قال: "فتسمية الله تعالى بما لم يسم به نفسه ميلٌ بها عما يجب فيها" لأن الواجب فيها أن نثبت ما أثبتته الله لنفسه فقط، لا أن نُحدث شيئاً من عندنا، قال: "كما أن هذه الأسماء التي سموه بها نفسها باطلة ينزه الله تعالى عنها" عداك عن أن هذه الأسماء أصلاً هي باطلة والله سبحانه وتعالى ينزه عن مثل هذه الأسماء، فربما يكون في الأسماء التي يسمون الله سبحانه وتعالى بها معاني فاسدة، فتزيد بطلانها.

ثم قال المؤلف رحمه الله: "الرابع: من أنواع الإلحاد، "أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام" هذا كما كان يفعله أهل الجاهلية، نعرف أنّ الله اسم العزيز فنأخذ من هذا الاسم اسماً لصنم نعبده ونسميه العزّي مثلاً، كما فعل أهل الجاهلية تماماً، هذا أيضاً إلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى، قال: "أن يشتق من أسمائه أسماء للأصنام، كما فعل المشركون في اشتقاق العزّي من العزيز، واشتقاق اللات من الإله، على أحد القولين" يعني: في تفسير هذا الاسم، "فسموا بها أصنامهم وذلك لأنّ أسماء الله تعالى مختصة به" لماذا كان هذا إلحاداً؟ قال: "لأنّ أسماء الله تعالى مختصة به" فهي أسماء تدلّ على الكمال الذي لا يليق إلّا بالله سبحانه وتعالى، "لقوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها"" لله الأسماء الحسنى يعني: خاصة به تبارك وتعالى "وقوله: "الله لا إله إلّا هو له الأسماء الحسنى" يعني: ليست لغيره، لأنّ هذا في لغة العرب التقديم والتأخير يفيد الحصر والقصر، فهي مقصورة على الله سبحانه وتعالى، "وقوله: "له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السماوات والأرض"" قال المؤلف: "فكما اختص بالعبادة والألوهية الحقّ وبأنّه يسبح له ما في السماوات والأرض فهو مختص بالأسماء الحسنى، فتسمية غيره بها على الوجه الذي يختص بالله عزّ وجلّ ميلٌ بها عما يجب فيها" إذاً فلا يجوز أن نسمي الأسماء الخاصة بالله سبحانه وتعالى بها غيره، أو أن نشق من أسمائه أسماءً لغيره، وكيف إذا كان هذا الغير مما يُعبد مع الله تبارك وتعالى، فنكون قد جعلناه سميّاً لله تبارك وتعالى ونداً لله تبارك وتعالى، هذا الأمر أعظم إلحاداً.

قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: "والإلحاد بجميع أنواعه مُحَرَّم"، الإلحاد في أسماء الله تبارك وتعالى كلّهُ مُحَرَّم، قال: "لأنّ الله تعالى هدد الملحدّين بقوله: "وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون""، قال: "ومنه ما يكون شركاً أو كفراً حسب ما تقتضيه الأدلة الشرعية" يعني: من الإلحاد ما يكون كفراً ومنه ما لا يصل إلى هذه الدرجة كما فصلنا في بداية كلامنا، ونكتفي بهذا القدر والحمد لله ربّ العالمين.

الدرس الثامن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فاليوم نبدأ بالفصل الثاني، انتهينا من الفصل الأول وهو القواعد التي تتعلق بأسماء الله سبحانه وتعالى واليوم نبدأ بالقواعد التي تتعلق بصفات الله تبارك وتعالى.
قال المؤلف رحمه الله: "الفصل الثاني: قواعد في صفات الله تعالى".

عرفنا نحن الفرق بين الاسم والصفة وما هو الاسم وما هي الصفة، الآن يبدأ بذكر القواعد التي تتعلق بصفات الله سبحانه وتعالى فقال: "القاعدة الأولى: صفات الله تبارك وتعالى كلّها صفات كمال، لا نقص فيها بوجه من الوجوه" يعني: أنّ صفات الله سبحانه وتعالى لا يتطرق إليها النقص أبداً، بأي وجه من الوجوه: يعني مهما تصورت أنت من احتمالية للنقص من جهة دون جهة فلا يمكن أن تصل إلى أنّ النقص يتطرق إلى صفات الله سبحانه وتعالى أبداً، كصفة السمع مثلاً، صفة الله تبارك وتعالى صفة لم تسبق بنفي لهذه الصفة عن الله سبحانه وتعالى ولا يلحقها ضعف ولا ذهاب أصلاً لكمالها، وهي صفة تامة كاملة فيسمع الله سبحانه وتعالى كلّ شيء، سواء كان الصوت مرتفعاً أو منخفضاً، يسمعه الله سبحانه وتعالى قريباً أم بعيداً، كلّها، فهذا معنى كونها صفة كمال، ومعنى كونها لا يتطرق إليها النقص بوجه من الوجوه، وكذلك جميع الصفات كصفة الحياة أيضاً، صفة الحياة صفة كمال لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء، حياة تامة كاملة، وهكذا جميع صفات الله سبحانه وتعالى، والمخلوق ربّما يتصف بصفات لكنّ هذه الصفات لا تكون صفات كمال، المخلوق يتصف بصفة السمع مثلاً لكنّ هذه الصفة قد سبق وأن لم تكن موجودة عنده ثم بعد ذلك يلحقها ضعف وربّما يلحقها أيضاً ذهاب، حتى تذهب صفة السمع ويصير صاحبها أصماً، كذلك هي ناقصة بحيث أنّه لا يستطيع أن يسمع كلّ شيء ولا يسمع إلاّ أشياء هي قريبة منه، صوت مرتفع، لا يسمع الصوت المنخفض، وهكذا، فصفة

الإنسان صفة نقص وليست صفة كمال بخلاف صفة الله سبحانه وتعالى، هذا معنى أن صفات الله تبارك وتعالى كلّها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

قال المؤلف رحمه الله: "كالحيّة، والعلم" أي: صفة الحيّة، وصفة العلم، "والقدرة، والسمع، والبصر، والرّحمة، والعزّة، والحكمة، والعلوّ، والعظمة، وغير ذلك، وقد دلّ على هذا السمع، والعقل، والفطرة" دلّ على أن صفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، ما الدليل على ذلك؟ قال: "دلّ على ذلك السمع" وعندما يقول السمع يعني به القرآن والسنة، سنة النبي صلى الله عليه وسلم، والعقل، والفطرة يعني: ما خلق الإنسان عليه من أمور يعلمها من بدايته، فطره الله سبحانه وتعالى على معرفة هذا الشيء فلا يحتاج إلى تعلمه، هذا معنى الفطرة.

قال المؤلف رحمه الله: "أمّا السمع: فمنه" الدليل من السمع على أن صفات الله سبحانه وتعالى صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، قال: "قوله تعالى: "للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم"" الشاهد قوله تبارك وتعالى: "ولله المثل الأعلى"، قال المؤلف رحمه الله: "والمثل الأعلى هو الوصف الأعلى" وصف أعلى: يعني وصف كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه، والمثل الأعلى هو الذي لا شيء فوقه، فالمثل الأعلى يعني: الوصف الأعلى، فكلّ صفة اتصف الله سبحانه وتعالى بها فهي أعلى ما تكون من صفات الكمال.

قال المؤلف: "وأمّا العقل: فوجهه أن كلّ موجود حقيقة، فلا بدّ أن تكون له صفة، إمّا صفة كمال وإمّا صفة نقص" كلّ موجود حقيقة واقعا هو موجود فلا بدّ أن تكون له صفة، والموجودات كلّها لها صفات، إمّا أن تكون هذه الصفة صفة كمال أو صفة نقص، قال: "والثاني باطل بالنسبة إلى الرّب الكامل المستحق للعبادة" بما أنه ربّ خالق رازق مدبر وأنه هو الذي يستحق العبادة إذاً فلا يليق به إلا الكمال، قال: "ولهذا أظهر الله تعالى بطلان ألوهية الأصنام باتصافها بالنقص والعجز" يعني: عندما الله سبحانه وتعالى بين أن الأصنام التي يعبدونها المشركون باطلة وليست آلهة، بين ذلك

بماذا؟ بأنها تتصف بصفة النقص فدلّ ذلك على أنّ الربّ تبارك وتعالى لا يتصف بصفة النقص، "قال الله تبارك وتعالى: "ومن أضلّ ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون"" من أضلّ ممن يدعو من دون الله؟ يعني: من أعظم ضللاً وأكثر ضللاً من شخص يذهب ويعبد غير الله تبارك وتعالى ممن لا يستطيع أن يجيب دعاءه، لو بقي يدعو إلى يوم القيامة ما استطاع هذا الشيء أن يجيب دعاءه، "وهم عن دعائهم غافلون": لا يدرون عنهم ولا عن دعائهم وهم في غفلة عن دعائهم، هذا نقص في آلهتهم أم لا؟ نقص، إذ إنّها غير قادرة على أن تستجيب دعاءهم، بل هم في غفلة عن دعائهم وهذا لا يكون في حقّ إله يُعبد وهو خالق السماوات والأرض، قال: "وقال تعالى: "والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلَقون"" إذاً هذه صفة نقص فيهم أنّهم غير قادرين على الإيجاد من العدم، بل هم في أنفسهم كانوا عدماً ثم أوجدوا فهذا نقص في حقّهم، "أمواتٌ غير أحياء وما يشعرون أياّن يعثون"" ولا يدرون عن أنفسهم متى سيبعثون، "وقال عن إبراهيم وهو يحتج على أبيه: "يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً"" يعني: لا يكون الإله الذي يستحق العبادة لا يسمع ولا يبصر، لا يراك ولا يسمعك عندما تدعوه كي يستجيب لك، هذا نقص في حقّه، والناقص لا يكون إلهاً، "ولا يغني عنك شيئاً": لا ينفعك ولا يضرك، "وعلى قومه" يعني: يحتج إبراهيم عليه السلام على قومه بقوله: "أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضرّكم أفّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون"" إذاً الإله لا بد أن يكون كاملاً في صفاته قادراً على النفع، قادراً على الضرّ، قادراً على أن يسمعك وأن يبصرك وأن يحفظك وأن يجيب دعاءك، هذا هو الإله الذي يستحق أن يُعبد، هو قادر على كلّ شيء، سميع بصير متصف بصفات الكمال، ها هنا يستدل الله تبارك وتعالى، واستدل إبراهيم عليه السلام على أنّ الآلهة هذه لا تصلح أن تكون آلهة بنقصها، لأنّها تتصف بصفات النقص لا بصفات الكمال، فدلّ ذلك على أنّ الربّ تبارك وتعالى يجب أن يتصف

بصفات الكمال، قال: "ثم إنّه قد ثبت بالحسّ والمشاهدة" المقصود بالحسّ: الرؤية أو السمع أو غير ذلك من أحاسيس الإنسان، "والمشاهدة أنّ للمخلوق صفات كمال وهي من الله تعالى، فمعطي الكمال أولى به" يعني: قد رأينا أنّ المخلوق قد يتصف بصفات الكمال، من أين له صفات الكمال؟ الله سبحانه وتعالى أعطاه إياها، فإذا كان الله سبحانه وتعالى هو الذي أعطى الكمال فهو أحقّ بالكمال، قال المؤلف: "وأما الفطرة: فلأنّ النفوس السليمة مجبولة مفطورة على محبة الله وتعظيمه وعبادته، وهل تحبّ وتعظم وتعبّد إلّا من علمت أنّه متصف بصفات الكمال اللاتئة بربوبيته وألوهيته؟" أصلاً هي حتى فطرة الإنسان، ما جُبِل عليه الإنسان، يعلم الإنسان من خلاله أنّ الذي يُعبّد لا بد أن يكون متصفاً بصفة الكمال، وهو مجبول على محبة الله وعلى تعظيمه وعلى عبادته، وهو لا يحب ولا يعظم إلّا من اتصف بصفات الكمال، هذا معنى كلام المؤلف.

قال المؤلف رحمه الله: "وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى: كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها"، يعني من خلال ما قررنا في القاعدة أنّ الله سبحانه وتعالى يستحق صفات الكمال وأنّ صفاته التي أثبتّها لنفسه في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم صفات كمال كلّها لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وبناء على ذلك تعلم أنّ أيّ صفة نقصٍ فلا تثبت لله، لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلّا صفات الكمال، فصفة العجز مثلاً لا تثبت لله لأنّها صفة نقص، صفة النوم لا تثبت لله لأنّها صفة نقص، السّنة كذلك لا تثبت لله لأنّها صفة نقص، الجهل، الموت، النسيان، إلى آخره، كلّ هذه الصفات لا تثبت لله لأنّها صفات نقص لا كمال فيها البتّة، لذلك تنفى عن الله سبحانه وتعالى، هذه القاعدة مهمة جداً، لكن مهمّ معها أيضاً أن تفهم قاعدة ستأتي بعدها إن شاء الله وأنّ ما أثبتّه الله لنفسه في الكتاب والسّنة فكّله صفات كمال لا نقص فيه البتّة، وإنّ توهم عقلك أنّها صفات نقص فالوهم من أين؟ من عقلك، الخطأ من أين؟ من عقلك،

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، خلافاً للعقلانيين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والكلابية والماتريدية، كلهم أصلهم واحد، عندهم هم أن العقل هو الذي يحكم على الصفة أنها صفة كمال أو صفة نقص، فإذا جاء في القرآن إثبات صفة ترى عقولهم أنها صفة نقص يحرفونها ولا يقبلونها، لا يثبتونها أيضاً، العقل مقدّم في حكمه على النقل، هذه قاعدة اشترك فيها المتكلمون جميعاً، وهي كانت أصل ضلالهم، العقل عندهم هو الذي يحكم على صفات الله أي صفات كمال أم صفات نقص، فإذا حكم عليها العقل بعد ذلك ينظرون في القرآن، إن جاءت في القرآن أو في السنة مثبتة لله كفروا بها، جحدوها، أنكروها، ردوها، بعضهم ردّها صراحة، كفر بذلك، وبعضهم ردّها تأويلاً، والصواب أن يُسمى تحريفاً حقيقةً، حَرَفَ دليلها كي لا يثبتها، المهم أن تفهم الآن أن هذا فارق وفاصل عظيم بين أهل السنة وبين المتكلمين، هم الآن في هذه القاعدة التي معنا يقرّون لنا أن صفات الله سبحانه وتعالى كلّها صفات كمال، يُسلّمون لنا بهذا، وأن صفات النقص لا تليق بالله سبحانه وتعالى، لكننا نفترق معهم فيما سيأتي إن شاء الله من أنه من الذي يحدد الصفة هل هي صفة كمال أم صفة نقص، العقول السليمة لا يمكن أن تتعارض مع النصوص الصحيحة، لكن هناك عقول خربة، والدليل على ذلك أن أصحاب العقول الذين يدّعون أنهم أصحاب عقول وأنهم يحكمون على الله بعقولهم يضطربون، فالأشاعرة يُثبتون صفات لله سبحانه وتعالى لا يثبتها المعتزلة، والمعتزلة يُثبتون أشياء كأسماء الله سبحانه وتعالى لا يثبتها الجهمية، وهكذا، الماتريدية يُثبتون ما لا يثبتته الأشاعرة، وهم في تخبط وفي ضياع ومتاهة، الأشاعرة أنفسهم تجد منهم من يثبت صفات ينفيها غيره، ثم يقول لك العقل هو الحاكم، والعقل دلالة يقينية، أين اليقين في هذا؟! وهذا حال كلّ من ابتعد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا بد أن يقع في الاضطراب وفي التخبط وفي الضياع والمتاهة، منهج السلف منهج واضح صريح، طريق مستقيم لا اعوجاج فيه أبداً، ومن سلكه عن علم لا يشكّ في أن هذا الطريق هو الطريق الحقّ،

ولا يتخبط ولا يضطرب، نرجع إلى ما قاله المؤلف رحمه الله، قال: "وإذا كانت الصفة نقصاً لا كمال فيها فهي ممتنعة في حق الله تعالى، كالموت، والجهل، والنسيان، والعجز، والعمى، والصمم، ونحوها، لقوله تعالى: "وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ" فقد نفى عن نفسه الموت وأثبت لنفسه الحياة، وقوله عن موسى: "فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى"، فنفى عن نفسه الضلال ونفى عن نفسه النسيان، هذه صفات منفية، "وقوله: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ"، لماذا؟ لكمال قدرته، نفى عن نفسه العجز، العجز صفة نقص لا كمال فيها بوجه من الوجوه، فلذلك نفاها عن نفسه، وكل صفة ينفيها الله سبحانه وتعالى عن نفسه فيثبت له كمال الضد، العجز ضده ماذا؟ القدرة، فلما نفى عن نفسه العجز فنثبت له كمال القدرة تبارك وتعالى، نفى عن نفسه الموت لكمال حياته تبارك وتعالى، وسيأتي إن شاء الله الحديث عن هذه القاعدة، وهي أن كل صفة منفية فيثبت كمال ضدها، قال: "وقوله: "أَمْ يَحْسُبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ" نفى عن نفسه عدم السماع لكمال سمعه تبارك وتعالى، "وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الدجال: "إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور" العور: ذهاب إحدى العينين، نقص، كيف يكون رب وأعور؟! لا يستطيع أن يصلح عينه، هذا الدجال لماذا ذكر له النبي صلى الله عليه وسلم هذه الصفة؟ لأنه يدعي الربوبية، فلو كنت رباً بحق فلماذا لا تصلح عينك العوراء، نقص فيه لا يستطيع أن يكمله، ثم كيف هذا النقص تطرق إليك وأنت تدعي الربوبية، الرب لا نقص فيه أبداً، "وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً"، الأصم: الذي لا يسمع، فنفى عن نفسه الصمم لكمال سمعه تبارك وتعالى، ولا غائباً: فهو حاضر دائماً لا يغيب.

قال المؤلف رحمه الله: "و قد عاقب الله تعالى الواصفين له بالنقص"، لماذا؟ لأنَّ النقص لا يليق به، ومن وصفه بالنقص فهذا لم يعطِ الله تبارك وتعالى قدره، فلم

يُقدّر الله حقّ قدره، فارتكب إثماً عظيماً، فلذلك عاقبه الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف: "كما في قوله تعالى: "وقالت اليهود يد الله مغلولة" كناية عن البخل"، يد الله مغلولة (مغلقة) لا يعطي، "فقال الله سبحانه وتعالى: "غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا"" لأنهم قالوا على الله الكذب، وصفوه بصفة النقص، وصفوه بالبخل، "بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء" أثبت لنفسه الكرم والعطاء وكثرته، فبدل أن يستعمل اليد التي استعملوها يستعمل اليدين، فباليدين يكون العطاء أكثر، ولو كان له أكثر من يدين لاستعمل ذلك، هذا يدلّ على أنّ الله تبارك وتعالى يدين اثنتين، فالمقام مقام تكثير، كي يبين أنّه كثير العطاء، فلها لم يستعمل إلاّ اليدين دلّ ذلك على أنّه ليس له إلاّ يدين اثنتان، وأنّه كثير العطاء تبارك وتعالى، وأنّه عظيم الكرم، الشاهد أنّه قال: "غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ" لذلك الآن الله سبحانه وتعالى قال فيهم هذا و الآن تجد الشحّ و البخل في اليهود أعظم ما يكون، فهذا من ربّ العزّة تبارك وتعالى القول لا من غيره، فتجد عندهم شحّ و بخل لا تجده عند غيرهم، "غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا" طردهم الله تبارك وتعالى من رحمته، "بل يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء"، فلعنهم الله سبحانه وتعالى وجعلهم أهل شحّ و بخل، عاقبهم لأنهم وصفوه بالنقص، وأثبت لنفسه الكمال تبارك وتعالى، "وقوله: "لقد سمع الله قول الذين قالوا إنّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء"، وصفوا الله تعالى بماذا؟ بالنقص، بالفقر، ما عنده شيء يعطيه، فقير هذا معنى الفقير، وهم أغنياء، سبحان الله ما أدري كيف بشر يتكلم بمثل هذا الكلام؟! والله ما أدري يا أخي؟ أين عقولهم هؤلاء؟ كلّ ما أنت فيه من خير و نعيم من الله سبحانه وتعالى ثم تدّعي الغنى لنفسك و الفقر لله سبحانه وتعالى، سبحانه وتعالى عمّا يصفون، قال: "سنكتب ما قالوا و قتلهم الأنبياء بغير حقّ و نقول ذوقوا عذاب الحريق"، فسيعذبهم الله تبارك وتعالى على قولهم هذا و على قتلهم للأنبياء، من الذين كانوا يقتلون الأنبياء؟ اليهود، فهم الذين وصفوا الله بالفقر و وصفوه بالبخل، ما بال القوم هؤلاء؟! عجيب أمرهم، سبحان الله.

قال المؤلف: "و نزه نفسه عما يصفونه به من النقائص، فقال سبحانه: "سبحان ربك"" سبحانه: كلمة تنزيه، ينزه الله سبحانه و تعالى نفسه عن كل نقص، "سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين" سلم على المرسلين لأن المرسلين يصفونه بالكمال، فلذلك سلم عليهم، فقال: "سلام على المرسلين" بينما نزه نفسه عما يصفه به المبطلون قال: ""والحمد لله رب العالمين"، وقال تعالى: "ما اتخذ الله من ولد و ما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق و لعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون" فنزه نفسه أيضاً عما يصفه به الكافرون من الولد و غيره.

قال المؤلف: "وإذا كانت الصفة كمالاً في حال و نقصاً في حال" الآن انتهينا من الجزء الأول وهو أن تكون الصفة صفة كمال و هذه ثبت لله تبارك و تعالى، و الجزء الثاني أن تكون الصفة صفة نقص و هذه تنفي عن الله سبحانه و تعالى، بقي عندنا النوع الثالث و هو أن تكون الصفة كمال في حال و نقص في حال آخر.

قال المؤلف رحمه الله: "وإذا كانت الصفة كمال في حال و نقصاً في حال، لم تكن جائزة في حق الله و لا ممتنعة على سبيل الإطلاق"، يعني لا تجوز لله مطلقاً و لا تُنفي عنه مطلقاً، إنما ثبت له في حال و تنفي عنه في حال آخر، كما سيأتي التمثيل به إن شاء الله، قال: "فلا ثبت له إثباتاً مطلقاً و لا تنفي عنه نفياً مطلقاً" فلا تقول مثلاً: الله سبحانه و تعالى ماكر، و لا تنفي المكر عن الله مطلقاً، فلا تقل الله لا يمكر، لا تقل الله ماكر هكذا و تسكت خلاص مطلقاً، و لا تقل الله لا يمكر هكذا مطلقاً، لا، لا بد من تقييد، بماذا تقييد؟ اسمع ما يقول المؤلف، قال: "بل لا بد من التفصيل، فتجوز في الحال التي تكون كمالاً و تمتنع في الحال التي تكون نقصاً، و ذلك كالكيد و المكر و الخداع ونحوها، فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها" يعني: "ويمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين" صفة المكر وحدها هكذا مطلقاً نقص، عندما تقول في شخص مثلاً فلان ماكر، هذا نقص، لكن إذا قلت فلان يمكر بمن يمكر به، فهنا لا تكون نقصاً، لماذا؟ لأنها تدلّ على الكمال، تدلّ على

كمال القدرة، فهو قادر على أن يردّ مكر الماكر و أن يمكر به كما مكر، فهذه تدلّ على كماله، إذاً إذا وصفته بالمكر مطلقاً وقلت: فلان ماكر فقد وصفته بالنقص، أمّا إذا قلت: فلان يمكر بمن يمكر به فتكون صفة كمال، تدلّ على كمال قدرته، و هذا في حقّ الله سبحانه و تعالى من باب أولى، تقول الله سبحانه و تعالى يمكر بمن يمكر، يكيد بمن يكيد، يخدع من يخدع، هذا معنى التفصيل الذي ذكره المؤلف هنا، فإذا لا تطلق، تقول الله يخادع، أو يمكر أو يكيد، هذا إطلاق لا يصح، ولا تطلق النفي أيضاً، فلا تقل الله لا يمكر لا يكيد لا يخدع، هكذا مطلقاً لا، لا بدّ من التفصيل على ما ذكر المؤلف هنا، قال: "فهذه الصفات تكون كمالاً إذا كانت في مقابلة من يعاملون الفاعل بمثلها" يعني: فاعل المكر إذا قابل الماكر الذي أراد أن يمكر به بالمكر، ففعله هذا كمال وليس نقصاً، يمكر بمن يمكر به، فكان مكره في مقابلة مكر الماكرين به، و هذا المكر كمال و ليس نقصاً، أمّا إذا كان ابتداءً منه، فهذا يكون نقصاً، قال: "لأنّها حينئذٍ تدلّ على أنّ فاعلها قادرٌ على مقابلة عدوه بمثل فعله أو أشدّ" تدلّ على كمال القدرة، "و تكون نقصاً في غير هذه الحال، و لهذا لم يذكرها الله تعالى من صفاته على سبيل الإطلاق"، ما ذكر الله تعالى يمكر أو ماكر مطلقاً هكذا، "و إنّما ذكرها في مقابلة من يعاملونه و رسله بمثلها، كقوله تعالى: "و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين"، و قوله: "إنّهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً"، و قوله: "والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و أملي لهم إنّ كيدي متين""، يحاولون أن يكيدوا و يمكروا و يخادعوا أنبياءه و رسله، فالله سبحانه و تعالى يردّ عليهم ذلك، "وقوله: "إنّ المنافقين يخادعون الله و هو خادعهم""، يحاولون أن يمكروا و يكيدوا بالله تعالى و يخدعوه فهو يمكر بهم و يخدعهم و يكيد بهم، "وقوله: "قالوا إنّنا معكم إنّما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم"" صفة الاستهزاء الآن، فلا يُقال بأنّ الله يستهزئ ببعض خلقه، لكن من استهزأ استهزأ الله به، و هذا كمال، قال المؤلف: "ولهذا لم يذكر الله أنّه خان من خانوه" لماذا؟ لأنّ الخيانة نقص في جميع الأحوال، "فقال تعالى: "وإن يريدوا خيانتك

فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم و الله عليم حكيم"" فما قال الله سبحانه و تعالى
خانهم لأنّ الخيانة نقص دائماً حتى لو كانت في مقابلة خيانة، "فقال: "فأمكن منهم"
و لم يقل: نخانهم لأنّ الخيانة خدعة في مقام الائتمان، و هي صفة ذمّ مطلقاً، قال:
"وبذا عُرِفَ أنَّ قول بعض العوام: (خان الله من يخون) منكرٌ فاحشٌ يجب النهي
عنه"، فصفة الخيانة لا تثبت لله مطلقاً بدون تفصيل لأنّها نقص دائماً، بخلاف المكر
و الكيد و الخداع و الاستهزاء فهذه في مقابلة الفاعل لهذا الشيء هي كمال، أمّا عند
الإطلاق فلا، لا تجوز في حقّ الله سبحانه و تعالى، فصار عندنا الصفات ثلاث
أقسام:

• القسم الأول: صفات كمال مطلقاً و هذه تثبت لله.

• القسم الثاني: صفات نقص مطلقاً و هذه تنفي عن الله سبحانه و تعالى.

• القسم الثالث: صفات نقص في حال و صفات كمال في حال، هي نفس الصفة
تكون نقصاً في حال و تكون كمالاً في حال، فهذه يُفصّل القول فيها على ما ذكرنا
سابقاً.

والله أعلم و نكتفي بهذا القدر و الحمد لله ربّ العالمين.

الدرس التاسع

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فوصلنا عند قول المؤلف: "القاعدة الثانية" أي من قواعد الصفات، كما قد بدأنا في الدرس الماضي في الفصل الثاني وهي قواعد في صفات الله تعالى وشرحنا القاعدة الأولى من قواعد الصفات، واليوم معنا القاعدة الثانية، قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الثانية: باب الصفات أوسع من باب الأسماء".

يعني بأننا نصف الله سبحانه وتعالى بصفات كثيرة وذلك لأن الصفات تؤخذ من أفعال الله سبحانه وتعالى وتؤخذ من أسمائه، الأسماء توقيفية، وكل اسم يتضمن صفة، ويزيد باب الصفات بأنك تأخذها أيضاً من أفعال الله سبحانه وتعالى، فتقول: الله يجيء، والله سبحانه وتعالى ينزل ويأتي وما شابه، فتصفه بالجيء وبالإنزال وبالإتيان وبالنزول وبالإستواء وغير ذلك من الصفات التي وردت في أفعاله تبارك وتعالى، فأفعاله هذه تدل على صفات، فتؤخذ الصفات من الأفعال، وتؤخذ الصفات من الأسماء، كل اسم معه صفة، ويزيد باب الصفات بأنه يؤخذ من أفعال الله تبارك وتعالى كما سيأتي في كلام المؤلف، فالصفات الفعلية التي تؤخذ من الأفعال كثيرة، وأما الصفات التي تؤخذ من الأسماء فهي متعلقة بالأسماء، فالأسماء توقيفية، ما ورد فيها من الكتاب والسنة، كل اسم من هذه الأسماء معه صفة ويزيد على ذلك الصفات التي تؤخذ من الأفعال، قال المؤلف رحمه الله: "وذلك" يعني لماذا الصفات بابها أوسع من باب الأسماء؟ "لأن كل اسم يتضمن صفة" كل اسم نأخذ منه صفة كما مر معنا في قواعد الأسماء، كل اسم يتضمن لصفة، يعني كل اسم نستفيد منه صفة، مثل اسم الرحمن مثلاً نستفيد منه صفة الرحمة، اسم السميع نستفيد منه صفة السمع، وهكذا، "كما سبق في القاعدة الثالثة من قواعد الأسماء، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى" رأيت؟ الآن الصفات تؤخذ من الأسماء وتؤخذ أيضاً من أفعال الله تبارك وتعالى،

لذلك تكون الصفات أوسع من الأسماء، قال: "وأفعاله لا منتهى لها" أفعال الله تبارك وتعالى كثيرة لا منتهى لها، "كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: "وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" فكلما كانت كثيرة، وكلامه فعل له تبارك وتعالى، فهو يتكلم، فكلامه من فعله، فكلامه يعني لا منتهى له، فأفعاله كذلك لا منتهى لها، قال: "ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى: المجيء، والإتيان، والأخذ، والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات التي لا تُحصى، كما قال تعالى: "وَجَاءَ رَبُّكَ" لاحظ هنا، مجيء الله هذا فعل فأخذنا منه صفة المجيء، فنصف الله سبحانه وتعالى بأنه يجيء، وقال: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ" هنا من فعل الله تبارك وتعالى أنه يأتي، فنصفه بالإتيان، وقال: "فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ" الله سبحانه وتعالى يأخذ بالذنوب، فنصفه بصفة الأخذ، وقال: "وَيُمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ" فنصفه بصفة الإمساك، لأن من أفعاله أنه يمسك الأرض، وقال: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ" فهنا نصفه بصفة البطش، لأن من أفعاله بطشه الشديد، وقال: "يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ" فنصفه بصفة الإرادة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا" فنصفه بصفة النزول، قال المؤلف: "فنصف الله تعالى بهذه الصفات على الوجه الوارد" يعني: كما وردت في كتاب الله تبارك وتعالى، "ولا نسميه بها، فلا نقول أن من أسمائه الجائي، والآتي، والأخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك" يعني: لا نشق الأسماء من الأفعال، ومن فعل ذلك فهو مخطئ، أسماء الله توقيفية، ما سمي به نفسه في الكتاب أو في السنة سميناه به وما لم يسم به لم نسمه به، هذا الذي عليه المحققون من أهل العلم، قال: "وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به" فنحن نخبر عن الله سبحانه وتعالى بأنه يأتي، وأنه يجيء، وأنه موجود أيضاً، لكننا لا نسميه بذلك، فهذه ليست أسماء له، وإنما هي صفات نصفه بها ونخبر عنه بذلك أيضاً، لكن التسمية شيء آخر موقوف على ثبوت

الدليل بأنه اسم لله تبارك وتعالى، يثبت به الدليل في الكتاب أو في السنة، إذاً عندنا هذه القاعدة تفيدنا أن صفات الله كثيرة، وأنها تؤخذ من أسماء الله وتؤخذ من أفعال الله تبارك وتعالى، أما الأسماء فتوقيفية، كما وردت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والصفة تؤخذ من الاسم وتؤخذ أيضاً من الفعل، هذه خلاصة هذه القاعدة.

قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الثالثة: صفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ثبوتية وسلبية".

ما معنى الثبوتية؟ يعني بالثبوتية ما أثبتته الله تعالى لنفسه كما سيأتي شرحه من كلام المؤلف نفسه، ما أثبتته الله لنفسه من الصفات في الكتاب أو في السنة، هذه تسمى صفة ثبوتية لأن الله أثبتها لنفسه، كصفة العلم مثلاً أو صفة الحياة، هذه صفة ثبوتية لأن الله أثبتها لنفسه، أما الصفة السلبية فهي الصفة المنفية التي نفاه الله تبارك وتعالى عن نفسه، كصفة الجهل مثلاً أو صفة الموت، هذه صفات منفية، هذا الفرق بين الصفة الثبوتية والصفة السلبية، الصفات عند أهل السنة والجماعة الكلام فيها بل في العقائد كلها مرجعه إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الكلام في صفات الله سبحانه وتعالى كلام في أمر غيبي، غائب عنا، لا نعلم منه إلا ما علمنا الله سبحانه وتعالى، فالأمر الغيبي لا يمكننا إدراكه بالرؤية لأنه غائب، ولا بالقياس، بالتمثيل، لأن الله سبحانه وتعالى لا مثل له، فكيف ندركه؟ ندركه بالخبر، بما أخبر الله سبحانه وتعالى به، ممكن العقل أن يدرك الشيء بالجملة، لكن على وجه التفصيل لا يمكن، لا بد من الأخبار الثابتة عن الله تبارك وتعالى حتى نثبت له الصفة أو ننفيها عنه، فإذا أخبرنا بصفة آمنة بها وأثبتناها بأنها مثبتة له، وإذا أخبرنا بصفة بأنها منفية نفيناها عنه، وما سكت عنه سكتنا عنه، هذه هي طريقة أهل السنة والجماعة في صفات الله سبحانه وتعالى، صفات الله منها مثبت ومنها منفي في الكتاب وفي السنة، أثبت الله لنفسه صفات في كتابه وفي سنته نثبتها، ونفي الله عن

نفسه صفات في الكتاب والسنة فننفيها، وما سكت عنه نسكت عنه.

قال المؤلف رحمه الله: "فالثبوتية" يعني الصفات الثبوتية ما هي؟ قال: "ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه" لأن الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلا الكمال، وما أثبتته لنفسه فهو كمال لا شك في ذلك عندنا، حتى وإن كانت عقولنا لا تدرك هذا ودخلت عليها شبهة، فلا نُسلم لعقولنا، ونعرف أن عقولنا قاصرة، وفيها نقص كبير، بل نُسلم لأمر الله سبحانه وتعالى، فإذا أثبتها الله لنفسه فهي صفة كمال وإن ظننت أنت أن فيها نقصاً، فظنك باطل فاسد، هذه النقطة هي موضع الخلاف بيننا وبين المتكلمين، المتكلمون يقولون: بأن الله سبحانه وتعالى يمكن أن يذكر لنفسه صفة في الكتاب أو في السنة وهي نقص في حقه فيجب أن ننفيها، هكذا يقولون، لذلك يقولون هذه الصفة ليست ثابتة لله فينفونها عن الله، مع أن الله سبحانه وتعالى أثبتها لنفسه في الكتاب أو في السنة، لكنهم لا يسلمون بذلك، ويحرفون دلالة الكتاب والسنة من أجل أن يتخلصوا من الصفة التي أثبتها الله لنفسه بزعمهم أنها صفة نقص وليست صفة كمال، نقول لهم: بما أن الله أثبتها لنفسه فهي صفة كمال، ولو لم يردها الله سبحانه وتعالى لذكر لنا أن هذه الصفة لا أريد أن أثبتها لنفسي بأي طريقة من طرق الذكر، يذكر لنا ذلك ويخبرنا به، لا يمكن لكتاب وصفه الله سبحانه وتعالى بأنه كتاب مبين، وبأنه كتاب محكم، وبأنه كتاب فصل يفصل بين الحق والباطل، ظاهر، بين، حجة، دليل شرعي، لا يمكن أن يأتي بأدلة كثيرة تدل على صفات الله سبحانه وتعالى وتكون هذه الصفات صفات نقص في حقه ولا يخبرنا أنها صفات نقص ولا أريد أن أثبتها لنفسي، لا يمكن هذا أبداً، هذا لا يمكن أن يكون، والني صلى الله عليه وسلم ناصح لنا وجاء مبيناً لشريعة الله سبحانه وتعالى، وبين لنا حتى الخراءة، فكيف لا يبين لنا أمراً عظيماً كهذا، صفات وردت في الكتاب والسنة والله سبحانه وتعالى لا يريد أن يثبتها لنفسه، كيف لا يبينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم، هذا لا يكون أبداً، فالنبي

صلى الله عليه وسلم قد أمره الله بالبلاغ والبيان وترك شريعته على البيضاء ليلها
كنهارها، أمرها واضح جلي، ثم تأتي أنت وتقول لي أكثر الصفات التي وردت في
الكتاب وفي السنة هي من المتشابه والتي يجب أن تُنفى عن الله؟ هذا كلام باطل،
وهذا ما يدندن به المتكلمون، أمّا أهل السنّة فلا، أهل السنّة يقولون: الله سبحانه
وتعالى لا يليق في حقّه إلا صفات الكمال، وما أثبتته لنفسه في الكتاب أو في السنّة
فهو صفة كمال، وإن توهمت بعض العقول بأنّها صفة نقص فهي عقول فارغة، عقول
قد دخلت عليها الشبه، شبهات الفلاسفة، شبهات المتكلمين، شبهات المرضى، لذلك
حاربوا دين الله وشريعة الله وعقيدة أهل السنّة والجماعة، لأنّ قلوبهم مريضة، ربّما
يقول البعض: لكن هناك بعض من عُرِف بالخير والفضل من أهل العلم من قرّر
هذه المسائل، نقول لهم: نعم، ألم يقل الله سبحانه وتعالى في من يسمع للمنافقين:
"وفيكم سمّاعون لهم" القلوب ضعيفة والشبه خطّافة، فعندما قرّر هؤلاء المتكلمون الذين
في قلوبهم مرض عقيدتهم، التبس الأمر على بعض من فيه خير من أهل العلم،
ودخل في هذه المتاهة، نسأل الله أن يغفر لنا ولهم، لكن الضلال ضلال، القول
ضلال باطل، ويجب التحذير منه ومن أهله، قال رحمه الله: "فالثبوتية: ما أثبتته الله
تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلّها صفات كمال لا
نقص فيها بوجه من الوجوه" انتبه لهذه النقطة مهمة جداً، "وكلّها صفات كمال لا
نقص فيها بوجه من الوجوه" الصفات التي أثبتتها لنفسه في كتابه أو في سنّة رسوله
صلى الله عليه وسلم، فإن جاءك متكلم يلبّس عليك، ويقول لك: ما أثبتته الله لنفسه
هنا فيه نقص، العقل أدرك هذا، نقول له: عقلك مريض، عقلك خرب، وقبلك
مريض، لذلك قلت هذا، وإلا كتاب الله سبحانه وتعالى لا يأتي بالباطل، ولا يكون
فيه باطلاً، أثبت الله لنفسه الصفة إذاً فهي صفة كمال في حقّه تبارك وتعالى، قال:
"كالحيّة، والعلم، والقدرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا،
والوجه، واليدين، ونحو ذلك..." كلّ هذا نثبت له لأنّ الله أثبتته لنفسه، وأثبتته له نبيه

صلى الله عليه وسلم، هذه النقطة فارقة بيننا وبين المتكلمين، قال: "فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل" يعني: يجب أن نثبت هذه الصفة التي أثبتها الله لنفسه على حقيقتها، يعني: لا نقول والله هي مجاز، ما معنى مجاز؟ يعني: حقيقتها غير مرادة، إنما المراد بها شيء آخر، كأن يقولوا مثلاً في اليد: حقيقة اليد غير مرادة، "بل يداه مبسوطتان" يقول لك: لا، هنا اليدان غير مقصودتان، إنما المقصود القوة، أو المقصود النعمة، هذا باطل، هذا الذي يسمونه بالمعنى المجازي، المعنى البعيد للفظ، استعمال اللفظ في غير ما وضع له، هكذا يعرفون المجاز، نحن عندنا ما فيه مجاز في صفات الله سبحانه وتعالى، آيات الصفات لا مجاز فيها، كلها على حقيقتها التي وردت عليها، عند أهل السنة والجماعة لا مجاز في آيات الصفات، بل لا مجاز في القرآن كله على الصحيح، واستعمال طريقة المجاز هذه لصرف الألفاظ عن حقيقتها، استعمالها المتكلمون، واتخذوا هذه الطريقة كي يتخلصوا من صفات الله سبحانه وتعالى، فعندهم طريقتان للتخلص من الأدلة الشرعية: الطريقة الأولى: التضعيف إذا أمكنهم ذلك، فلذلك يقولون لك: الحديث ضعيف، إذا كان ثبتت الصفة في حديث فيه مجال أن يقولوا صحيح أو ضعيف، فيقول لك: الحديث ضعيف.

الطريقة الثانية: التحريف الذي يسمونه تأويلاً، وذلك بحمل الألفاظ على مجازها لا على حقيقتها، فيُحرّفون الكلام عن حقيقته، مثل أن يقولوا: في استوى استولى، من أين لكم هذا؟ اليدان: النعمتان أو القدرة أو ما شابه، وهكذا، فيُحرّفون الكلام عن حقيقته كي يتخلصوا من الأدلة الشرعية، إذا لم يمكنهم تضعيف الدليل، كأن يكون الحديث متواتراً مثلاً أو أن تكون آية في كتاب الله، فيسلكون المسلك الثاني وهو مسلك التحريف، الذي يسمونه تأويلاً، وهو ليس بتأويل هو تحريف؛ لأنه غير مبني على دليل، لا يُبنى على دليل صحيح، إنما هي أدلة عقلية متوهمة، لكن ما عندهم دليل من كتاب ولا سنة، هذا يسمى تحريفاً، التأويل الصحيح: هو صرف اللفظ عن

ظاهره لدليل شرعي صحيح، عندئذ يُقال هذا تأويل، لكن إذا لم يوجد دليل شرعي صحيح عندئذ يُقال هذا تحريف.

هم يتخلصون من الأدلة بهاتين الطريقتين، إمّا التضعيف أو التحريف، وعندهم قاعدة ثلاثة أيضاً أسندوا فيها طريقتهم في ردّ الأحاديث النبوية، فقالوا: خبر الآحاد لا يؤخذ به في العقائد، وبذلك تخلصوا من كثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو هدفهم، غايتهم التخلص من الأدلة الشرعية، لأنّ عندهم قاعدة: أنّ العقل مُقدّم على النقل، بعد هذه القاعدة يثبتون لله ما ركب على عقولهم وينفون عنه ما لم يركب على عقولهم، هذه طريقتهم، تقول: طيب الدليل الشرعي، يقول لك: لا، الدليل الشرعي هذا إذا تعارض مع العقل فلا مكان له، ماذا نفعل بالأدلة الشرعية؟ يقول لك: إذا كان حديث آحاد فأحاديث الآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، ماذا بقي؟ بقيت معنا الأحاديث المتواترة أو الآيات الشرعية، وهذه دلالتها أضعف من دليل العقل، دليل العقل أقوى منها، طيب فنُحرّفها، هم يقولون: نؤولها من أجل تتماشى مع الدليل العقلي، هذه أصولهم، ويأتي مخرف ويقول الأشاعرة من أهل السنّة، أي سنّة هذه، هذه أصول الأشاعرة، كما أنّها أصول المعتزلة، كما أنّها أصول الجهمية، كلّهم اتفقوا على هذه الأصول، وإن كان اختلافوا في تطبيقاتها، هل هذه الصفة يثبتها العقل أو لا يثبتها العقل؟ حصل خلاف بينهم في هذا، لكنّ الأصل واحد، أنّ الصفة إذا ركبت على العقل قبلوها، وإذا لم تركب على العقل نفوها، وحرفوا الدليل الشرعي لأجل ذلك، أي سنّة هؤلاء يعظمونها؟ السنّي هو الذي يُعظم كتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقدمهما على هواه، ويقدمهما على عقله، هذا هو السنّي، هذا السلفي، الذي يعظم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعظم ما أمره الله تبارك وتعالى به، هذا هو المؤمن بحق، وهو السنّي، أمّا ذاك فبتدع ولا كرامة، أشعري، معتزلي، ماتريدي، لا يُقال في مثل هذا سنّي، ما يقول فيه سنّي إلا جاهل، أو أنّه صاحب هوى.

قال المؤلف: "فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به بدليل السمع والعقل" يعني: عندنا أدلة سمعية، وأدلة عقلية تدلّ على وجوب إثبات هذه الصفات التي وردت في الكتاب والسنة لله تبارك وتعالى، ما هي الأدلة؟ يبدأ بذكرها المؤلف.

قال المؤلف رحمه الله: "أمّا السمع" يعني الدليل السمعي، وهو دليل الكتاب أو السنة، "فمنه قوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله و الكتاب الذي نزل على رسوله و الكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضلّ ضلالاً بعيداً"، فالإيمان بالله يتضمن: الأيمان بصفاته و الأيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله يتضمن الأيمان بكلّ ما جاء فيه من صفات الله، و كون محمد صلى الله عليه و سلم رسوله يتضمن: الأيمان بكلّ ما أخبر به عن مُرسله وهو الله عزّ و جلّ" إذاً المعنى: الإيمان بالله، منه : الإيمان بصفات الله، الإيمان بكتاب الله الذي أنزله على رسوله، منه: الإيمان بكلّ ما جاء فيه من صفات الله، و كون محمد صلى الله عليه و سلم رسوله فالإيمان بكلّ ما أخبر به عن الله تبارك و تعالى واجب، هذا معنى الكلام، إذاً من هنا نأخذ أنّه يجب علينا أن نؤمن بصفات الله التي وردت في الكتاب و في السنة.

قال المؤلف رحمه الله: "و أمّا العقل فلأنّ الله تعالى أخبر بها عن نفسه" الدليل العقلي، قال: "لأنّ الله تعالى أخبر بها عن نفسه و هو أعلم بها من غيره" من الذي أعلم بصفات الله؟ أهو أعلم بصفاته اللائقة به أم العقل البشري أعلم بصفات الله اللائقة به؟ الله سبحانه و تعالى أعلم بما يليق به و ما لا يليق به، قال: "و أصدق قيلاً" يعني: الخطأ ممكن يرد من خلال الخبر أو من خلال جهل الشخص الناقل للخبر، وهذا منتفٍ في حقّ الله سبحانه و تعالى الأول و الثاني، الله سبحانه و تعالى صادق في قوله و من حيث العلم هو أعلم بما يليق به مما لا يليق به من غيره من الخلق، قال: "و أحسن حديثاً من غيره" من حيث البيان و كيفية البيان ممكن أن يرد الخطأ من هذه الجهة؟ فهو أحسن حديثاً من غيره، فهو قادر على أن يبين ما يريد بيانه بأفصح الكلام

و أوضحه، قال: "فوجب إثباتها له كما أخبر بها من غير تردد فإنَّ التردد في الخبر إنما يتأتى حينما يكون الخبر صادراً ممن يجوز عليه الجهل" يعني: متى نتردد في الخبر الذي ينقله لنا ناقل، نتردد فيه إذا كان الناقل هذا ممن يجهل مثل هذه المسائل التي يخبر بها، أو ممكن أن يكذب، أو ممكن أنه غير قادر عن الإفصاح عما يريد، هذه ثلاث احتمالات تجعلنا نتردد في قبول الخبر، وهذه كلها منتفية في حق الله سبحانه وتعالى، قال: "أو الكذب أو العي بحيث لا يفصح بما يريد" يعني: عدم القدرة عن الإفصاح، وهذا العي، "وكل هذه العيوب الثلاثة ممتنعة في حق الله عز وجل فوجب قبول خبره على ما أخبر به"، قال المؤلف رحمه الله: "وهكذا نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى" يعني نفس ما قلنا فيما أخبر الله تعالى به عن نفسه نقول فيما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم عن الله، "فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه وأصدقهم خبراً وأنصحهم إرادةً وأفصحهم بياناً فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه" يعني: أيضاً التردد في كلام النبي صلى الله عليه وسلم يأتي من أين؟ يأتي من الجهل: النبي صلى الله عليه وسلم أعلم الناس بربه، يأتي من الكذب: النبي صلى الله عليه وسلم أصدق الناس خبراً، يأتي أيضاً من الغش: النبي صلى الله عليه وسلم أنصح الناس إرادةً، يعني أنه يريد النصح لعباد الله سبحانه وتعالى و بيان الحق، يأتي من العي و عدم القدرة على الإفصاح وعدم القدرة على البيان: النبي صلى الله عليه وسلم أفصح من تكلم باللغة العربية، قال: "فوجب قبول ما أخبر به على ما هو عليه" لأنه لا مجال بعد ذلك للتردد، احتمالات التردد منفية عن النبي صلى الله عليه وسلم فلماذا نتردد في صفة ثابتة أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم لله تبارك وتعالى، ولماذا نقدّم العقل بعد ذلك على ما أخبر به الله أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعلم أن العقل أصلاً يخطئ في نواحي كثيرة، و دليل ذلك أنهم هم أصحاب العقول الذين يقولون نقدّم العقل على النقل يختلفون في إثبات بعض الصفات و في نفيها، إذاً فكيف نقول بأن العقل دلالة يقينية و النقل

دلالتة ظنيّة، قاعدة فاسدة هدموا بها أصول أهل السنّة و الجماعة في باب الأسماء و الصفات.

قال المؤلف رحمه الله: "و الصفات السلبية" يعني: المنفية، "ما نفاه الله سبحانه و تعالى عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم و كلّها صفات نقص في حقّه" يعني: لما نفاه الله سبحانه و تعالى، لماذا نفاه؟ لأنها صفات نقص لا تليق به، فلذلك لا نثبتها لله سبحانه و تعالى، قال: "كالموت و النوم و النسيان و الجهل و العجز و التعب" يعني: هذه نفاه الله سبحانه و تعالى عن نفسه لأنها صفات نقص في حقّه فلا يجوز إثباتها، كما قال الله سبحانه و تعالى في كتابه الكريم: "لا تأخذه سنة ولا نوم"، السنّة مقدمات النوم، بداياته، هذه لا تليق بحقّ الله سبحانه و تعالى فنفاها عن نفسه، كذلك النوم لا يليق بالله سبحانه و تعالى، صفة نقص في حقّه، فلذلك نفاه، كما في قوله أيضاً: "وما مسّنا من لغوب" يعني: من تعب لكّال قدرته تبارك و تعالى و كمال قوته، فلا يمسه تعب من فعل يفعله تبارك و تعالى، قال: "فيجب نفيها عن الله تعالى لما سبق" لما تقدم أيضاً مما ذكرناه في نفي الصفات التي ورد نفيها في كتاب الله تبارك و تعالى، "مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل" و هذا أمر ضروري جداً يجب أن تنتبه له، النفي المحض ليس كمالاً: أن تقول الله سبحانه و تعالى لا يموت هذا ليس بكمال، سيأتي السبب في ذلك، و الله سبحانه و تعالى لما نفى صفات النقص عن نفسه ماذا أراد من ذلك؟ أراد أن يثبت لنفسه الكمال، لذلك عندما تنفي صفة من الصفات لا بد أن تثبت كمال ضدها، فعندما تقول: الله سبحانه و تعالى لا يموت، لماذا؟ لكمال حياته، و تقول: الله سبحانه و تعالى: لا يجهل، لماذا؟ لكمال علمه، لا بد أن تثبت هذا الضد، كمال العلم كمال الحياة، هذه لا بد إثباتها حتى يصبح النفي كمالاً، وإلّا النفي وحده من غير أن تثبت الضد هذا لا يُعتبر كمالاً ولا تكون قد أثبت ما أراد الله سبحانه و تعالى به من وراء النفي، قال: "و ذلك لأنّ ما نفاه الله تعالى عن نفسه فالمراد به بيان انتفائه لثبوت كمال ضده" هذا مراد الله

سبحانه و تعالى من النفي الذي نفاه، كي يثبت لنفسه كمال الضد، يعني: العكس، "لا مجرد نفيه لأنّ النفي ليس بكمال" النفي المحض هكذا ليس بكمال حتى ثبت كمال الضد، قال: "إلا أن يتضمن ما يدلّ على الكمال" يعني: النفي وحده هكذا لا يعتبر كمالاً إلا إذا كان معه ما يدلّ على الكمال، عندئذ يصير كمالاً، فإثبات الضد يصير كمالاً وإلا فلا، قال: "وذلك" يعني: لماذا النفي المحض ليس كمالاً؟ قال: "وذلك لأنّ النفي عدم" عدم: ليس بشيء، "وعدم ليس بشيء فضلاً عن أن يكون كمالاً" يعني: هو ليس بشيء فكيف يكون كمالاً، فلا يكون كمالاً أصلاً، قال: "ولأنّ النفي قد يكون لعدم قابلية المحل له" النفي يكون لاحتمالات: إمّا أن تنفي الصفة لتثبت كمال ضدها وهذا يكون كمالاً، لكن فيه عندنا أيضاً نفي لأمر آخر لذلك قلنا النفي لا يدلّ على الكمال مباشرة، يقول المؤلف: "قد يكون لعدم قابلية المحل له" يعني: مثلاً الشيء الجماد، هل يصحّ أن تقول أنّه ظالم أو عادل؟ لا يصحّ، الحجر لا يصحّ أن تقول أنّ الحجر ظالم أو عادل، لماذا؟ لأنّه لا يقع منه ظلم ولا عدل، ولا يفعل الشيء بإرادته، حتى يُقال ظالم أو عادل، فليس هو محلّ لقابلية هذه الصفة، صفة الظلم أو صفة العدل، إذاً هو لا يقبل هذا الوصف أصلاً لأنّه ليس محلاً له، هذا معنى كلام المؤلف، قال: "فلا يكون كمالاً كما لو قلت: الجدار لا يظلم" لماذا الجدار لا يظلم؟ لأنّه ليس محلاً للظلم و العدل أصلاً، هو لا يفعل الشيء بإرادته حتى يُقال هذا، يعني لا يفعل الظلم أو العدل بإرادته حتى يُقال عادل أو ظالم، قال: "و قد يكون للعجز عن القيام به، فيكون نقصاً، كما في قول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ *** وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

هذا سبب ثالث الآن في النفي، إمّا النفي يكون لإثبات كمال الضد وهذا كمال، أو أن يكون النفي لأنّ المحل غير قابل للصفة التي نفيناها وهذا لا يدلّ على الكمال، و كذلك أيضاً ربّما يكون النفي للعجز لا لإثبات كمال الضد كما في قول الشاعر:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ *** وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ

أنظر بماذا وصف القبيلة هذه، قَبِيلَةٌ تُصَغِّرُ قَبِيلَةَ، قبيلة صغيرة، ما وصفها؟ قال: لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةٍ، يعني أَنَّهُمْ لَا يَنْقُضُونَ عَهْدًا، إِذَا عَاهَدُوا عَهْدًا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ قَوْمٍ فَلَا يَنْقُضُونَهُ، ووصف آخر أَنَّهُمْ لَا يَظْلُمُونَ النَّاسَ، لكن لماذا لَا يفعلون ذلك؟ لعدم قدرتهم، يعني لو قدروا على الظلم لظلموا، لو استطاعوا على نقض العهد لنقضوا، إِذَا عدم فعلهم لذلك ليس كمالًا، ليس لكمالهم ولكن لعجزهم، إِذَا النفي لَا يكون كمالًا دائمًا.

"و قول الآخر:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي حَسَبٍ *** لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانْ

يعني: قومي وَإِنْ كَانُوا أَصْحَابَ حَسَبٍ، يعني: أَصْحَابَ شَرَفٍ وَ مَكَانَةٍ فِي النَّسَبِ، إِلَّا أَنَّهُمْ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّرِّ لَا يَفْعَلُونَ الشَّرَّ، وَإِنْ كَانَ الشَّرُّ هَذَا شَيْئًا يَسِيرًا، لَكِنَّهُمْ لَا يَفْعَلُونَهُ، لماذا؟ لعجزهم، فلما كَانَ ذَلِكَ لعجزهم لم يكن كمالًا فِي حَقِّهِمْ.

قال المؤلف: "مثال ذلك قوله تعالى: "و توكل على الحي الذي لا يموت" فنفي الموت عنه يتضمن كمال حياته" أنظر كيف الآن؟ نفى الموت لكن أثبت كمال الحياة معه. قال: "مثال آخر: قوله تعالى: "ولا يظلم ربك أحداً"" لماذا لَا يظلم ربك أحداً؟ لَأَنَّهُ غَيْرَ قَادِرٍ عَلَى الظلم؟ لَا، ليس هذا ولكن لكمال عدله، إِذَا لَا بَدَّ مِنْ إِثْبَاتِ كَمَالِ الضد، "فنفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله".

"مثال ثالث: قوله تعالى: "وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض" فنفي العجز عنه يتضمن كمال علمه و قدرته ولهذا قال بعده: "إنه كان عليماً قديراً" يعني: لكمال علمه و قدرته لَا يعجزه شيء، قال: "لَأَنَّ العجز سببه إمَّا الجهل بأسباب الإيجاد"، عدم قدرته على الفعل لماذا؟ لَأَنَّهُ يَجْهَلُ طَرِيقَةَ إِيجَادِ هَذَا الشَّيْءِ، "أو قصور القدرة عنه" يعني: أَنَّكَ عِنْدَمَا تَأْتِي تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ مِثْلًا صَارُوخًا مَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ صَنْعِ الصَّارُوخِ؟ إمَّا الجهل بكيفية صنعه أو عدم القدرة على صنعه، فإذا توفر العلم و توفرت القدرة تصنعه، قال: "لَأَنَّ العجز سببه إمَّا الجهل بأسباب الإيجاد

وإمّا قصور القدرة عنه، "فلكمال علم الله تعالى و قدرته لم يكن ليعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، وبهذا المثال علمنا أنّ الصفة السلبية قد تتضمن أكثر من كمال" يعني: مثل هذه نفى عن نفسه العجز، لماذا؟ لكمال علمه و كمال قدرته، إذاً أثبت لنفسه كمالين و ليس كمالاً واحداً، كمال العلم و كمال القدرة، إذاً أحياناً بعض النفي يثبت منه كمال أكثر من صفة واحدة، والله أعلم و نكتفي بهذا القدر.

الدرس العاشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فمعنا اليوم القاعدة الرابعة. قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الرابعة: الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال".

الصفات الثبوتية صفات مدح وكمال، لا شك في ذلك أن الصفات التي يثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه (هذا معنى الصفة الثبوتية) التي أثبتها الله لنفسه في الكتاب والسنة هي صفات كمال، لأن الله سبحانه وتعالى لا يليق به إلا صفات الكمال، فأى صفة يثبتها لنفسه في الكتاب والسنة فهي صفة كمال وصفة مدح، يعني: يُمدح بها من وُصف بصفات الكمال، قال: "فكلما كثرت وتنوعت دلالتها ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر" أي: هذه الصفات الثبوتية "كلما كثرت وتنوعت دلالتها" يعني: ما تدل عليه من معنى "ظهر من كمال الموصوف بها ما هو أكثر" يعني: لأن ما تدل عليه الصفات كثرت لأنها هي صفات ثبوتية صفات كمال إذا كثرت دلت على عظم كمال من وُصف بها، قال: "ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم" لا شك، من تأمل كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيجد تفصيلاً كثيراً في وصف الله سبحانه وتعالى لنفسه بالصفات الثبوتية على وجه التفصيل، لأن هذه الصفات إثباتها له تبارك وتعالى تدل على المدح وعلى كماله سبحانه وتعالى، وهذا بخلاف الصفات السلبية، الصفات السلبية تجد طريقة القرآن فيها أن يذكر السلب بطريقة مجملة وليس طريقة مفصلة بخلاف الصفات الثبوتية، الصفات الثبوتية يأتي الإثبات فيها بطريقة مفصلة، يثبت العلم، يثبت الحياة، يثبت القدرة إلى آخره من صفات، لأن إثبات هذه التفاصيل هو كمال لله تبارك وتعالى، فالصفات الثبوتية التي تليق بالله سبحانه وتعالى كلها تدل على كماله سبحانه وتعالى، بينما الصفات السلبية فهذه في الغالب يأتي إجمال مثل قوله تبارك وتعالى: "ليس كمثله شيء" ما يفصل الصفات تفصيلاً إلا الحاجة سيأتي ذكر

بعضها، يعني: عندما تكون هناك تهمة مثلاً، يُتهم ربنا سبحانه وتعالى بها فالله سبحانه وتعالى يزيلها بالتفصيل بذكر نفي تلك الصفة، كما وصفه اليهود بالبخل مثلاً جاء بتفصيل نفي هذا الأمر، كذلك ينفي عن نفسه التعب لدعوى اليهود وهكذا، يعني: الصفة السلبية لا يُفصل الله سبحانه وتعالى بنفي الصفات السلبية إلا لحكمة معينة، وإلا الغالب عندما يريد أن ينفي ينفي بشكل مجمل، كما سيأتي الكلام إن شاء الله.

قال المؤلف: "ولهذا كانت الصفات الثبوتية التي أخبر الله بها عن نفسه أكثر بكثير من الصفات السلبية، كما هو معلوم، أما الصفات السلبية فلم تُذكر غالباً إلا في الأحوال التالية" يعني: الأصل عندنا إذا تأملنا أدلة الكتاب والسنة أن نجد لها كلها نتحدث عن ماذا؟ عن الصفات الثبوتية، أحياناً تُذكر الصفات السلبية، متى؟ يقول المؤلف: "في الأحوال التالية: الأولى: بيان عموم كماله كما في قوله تعالى: "ليس كمثله شيء"، وقوله: "ولم يكن له كفواً أحد" يعني: إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يبين أنه كامل بشكل عام تام يذكر هذه الصفات السلبية وينفيها، ينفي عن نفسه ما فيه نقص، فيقول: "ليس كمثله شيء" هو نفي للماثلة، فلا يماثله أحد لكماله تبارك وتعالى، وقال: "ولم يكن له كفواً أحد" هذا نفي مجمل عام تام، ما هو يتحدث عن صفة معينة دون صفة، لا، يتحدث بشكل عام أنه ليس كمثله شيء، فليس هناك مماثل له، وليس له كفؤ: مكافئ له، بنفس المعنى: أنه ليس له مثل وليس له مساو أبداً، هذا متى يذكره؟ لبيان عموم كماله، هذا السبب الأول الذي يجعله يأتي بنفي الصفات السلبية، أما الأمر الثاني، فقال المؤلف: "الثانية: نفي ما ادعاه في حقّه الكاذبون" في مثل هذا الموطن يأتي بنفي مفصل وليس مجملاً، المجمل يذكره لبيان عموم كماله، هنا الآن إذا أراد نفي ما ادعاه في حقّه الكاذبون كاليهود وغيرهم يأتي بنفي مفصل، قال: "كما في قوله: "أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً"" فهنا نفي عن نفسه الولد، صفة خاصة نفاها عن نفسه وهي صفة سلبية، لماذا نفاها خصوصاً هذه الصفة؟ لأن بعض اليهود والنصارى وغيرهم ادعوا أن الله سبحانه وتعالى له

ولد، فأراد أن يرد عليهم أكاذيبهم هذه فذكر هذا النفي المفصل، قال المؤلف رحمه الله: "الثالثة: دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، كما في قوله: "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين"" دفع توهم نقص من كماله فيما يتعلق بهذا الأمر المعين، يعني: ربّما يخطر على بال شخص أمراً فيه نقص لكمال الله تبارك وتعالى، فكي يزِيل الله سبحانه وتعالى هذا التوهم يأتي بالنفي المفصل، كما في قوله تعالى: "وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين" يعني: لا تظن أن الله سبحانه وتعالى يخلق السماوات والأرض من مجرد اللعب، لا، الله سبحانه وتعالى يخلقهما لحكمة وحكمة عظيمة، فهو لا يفعل شيئاً إلا لحكمة، لا يفعل شيئاً عبثاً، هذا الذي أراد أن يثبته، فنفي عن نفسه الفعل للعب، "وقوله: "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب"" يعني: من تعب، فنفي عن نفسه الآن التعب والإعياء مع عظم خلق السماوات والأرض ولكن الله سبحانه وتعالى لا يتعب لكمال قوته وقدرته تبارك وتعالى، وهذا نفي مفصل أراد الله سبحانه وتعالى أن يزِيل به توهم النقص من كماله تبارك وتعالى، وفيه ردّ أيضاً على بعض الكذابين كاليهود وغيرهم، لذلك يأتي النفي المفصل، وإلا الأصل عندنا الغالب الأعظم هو أن تأتي الصفات ثبوتية، وأحياناً تأتي سلبية، وأكثر الصفات السلبية تأتي مجملة لا مفصلة، وتأتي أحياناً مفصلة لما ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الخامسة: الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين ذاتية و فعلية".

هذه قاعدة مهمة وهي تقسيمات لتقريب الفهم، الصفة الثبوتية التي أثبتها الله سبحانه وتعالى لنفسه في الكتاب والسنة قسّمها العلماء إلى قسمين: ذاتية و فعلية، ثم عرّفها المؤلف فقال: "فالذاتية: هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها" ما معنى لم يزل ولا يزال؟ يعني لم يزل في الماضي، الله سبحانه وتعالى يتصف بها في الماضي، كالعالم مثلاً ما جاء وقت ماضٍ الله سبحانه وتعالى لا يعلم فيه شيئاً أو لا يعلم بعض الشيء، وكذلك لا

يزال في الحال و في المستقبل أيضاً، دائماً الله سبحانه وتعالى متصف بصفة العلم، فهذه الصفة، صفة العلم ملازمة للذات، لا تنفك عنها في الماضي و في الحال و في المستقبل، هي موجودة بوجود الله سبحانه وتعالى والله سبحانه وتعالى دائماً موجود، وهذه الصفة أيضاً دائماً موجودة مع الله سبحانه وتعالى لا إله إلا هو، "فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة"، كلها تسمى صفات ذاتية، قال: "ومنها الصفات الخبرية: كالوجه واليدين والعينين" الصفة الذاتية يقسمها العلماء إلى قسمين أيضاً، إذاً عندنا الصفات الثبوتية تنقسم إلى قسمين، ممكن أن ترسمون لها شجرة كي تسهل عليكم الفهم، ضع عندك في الأعلى كلمة صفات ثبوتية، ثم أنزل خطين الخط الأول اكتب عنده صفات ذاتية و عند الخط الثاني اكتب فعلية، ثم الذاتية هذه أيضاً تنزل من عندها خطين كذلك، فتكتب عند الخط الأول معنوية و عند الخط الثاني خبرية، لأنّ الصفة الثبوتية الذاتية تنقسم إلى قسمين، معنوية و خبرية، هذ التقسيم الذي عندنا هو الذي ذكره أهل العلم، فإذا المؤلف عندنا في المتن ذكر تقسيماً أولاً فقال: "الصفة الثبوتية تنقسم إلى ذاتية و فعلية" وأخر الكلام عن الفعلية، فقال: "فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة" هذا التمثيل الذي ذكره إلى كلمة "والعظمة"، هذا التمثيل هو تمثيل على الصفة الذاتية المعنوية، لذلك لما بدأ يمثل على الخبرية قال: "ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين والعينين" إذاً صار عندنا الصفة الذاتية تنقسم إلى قسمين: معنوية و خبرية، و مثل على المعنوية بالعلم والقدرة والسمع والبصر والعزة والحكمة والعلو والعظمة، و مثل على الخبرية بالوجه واليدين والعينين، إذاً من خلال الأمثلة يتبين لنا أنّ الصفة الذاتية المعنوية هي التي تدلّ على معنى كالعلم مثلاً: معنى من المعاني: العلم، القدرة، السمع، البصر، هذا كله معنى، أمّا إذا كان نظيره (مثله) مثل مسماه، يعني اسم اليد الآن، يد الله، اسم اليد هو نظير اسم اليد للإنسان، كإسم فقط، هذه اليد بالنسبة للإنسان هي جزء و

بعض منه، مثل هذا يُقال لها صفة ثبوتية ذاتية خبرية، هذا ضابطها: ما كان نظير مسماه أبعاضاً لنا، ما كان نظير مسماه، اسم اليد مثل اسم اليد التي عندنا، وهذه اليد التي عندنا هي أبعاض وأجزاء بالنسبة لنا، هذا التعبير لا يجوز في حق الله لذلك قربنا المعلومة بهذا الضابط، هي أبعاض وأجزاء بالنسبة لنا، فمثل هذه يسمونها صفة ذاتية خبرية لأنها موقوفة على الخبر، لا يمكن أن تثبتها وتعرفها إلا بالخبر فقط، بينما المعنوية ربّما يدركها العقل بالآثار التي يراها أمامه، يعني عندما يرى خلق السماوات والأرض هذا يعلم أنّ الله سبحانه وتعالى عليم، أنّ الله سبحانه وتعالى قوي، أنّ الله سبحانه وتعالى قدير، من خلال ما يرى من آثار أمامه، فربّما يدركها بعقله، هذه المعنوية، لذلك سميت معنوية، أمّا الخبرية فهذه لا تدركها إلا بالخبر فقط، لله يد، له وجه، له عينان، لا يمكن أن تدرك هذا إلا بالأخبار، فإذا جاء الخبر بها آمنت وصدّقت بها، وكذلك المعنوية أيضاً لا تثبتها إلا بالإخبار، مع أن العقل يدركها، هذا معنى ما ذكره المؤلف هنا في الصفات الذاتية، إذاً عندنا الصفات الثبوتية الذاتية تنقسم إلى معنوية وخبرية، و ذكر المؤلف أمثلة على المعنوية وأمثلة على الخبرية، و ذكرنا لكم الضابط الذي به تعرف المعنوية من الخبرية.

قال المؤلف رحمه الله: "والفعلية" الآن المؤلف انتقل إلى الصفات الثبوتية الفعلية، قال: "والفعلية: هي التي تتعلق بمشيئته" مشيئة من؟ مشيئة الله سبحانه وتعالى، "إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا" الاستواء والنزول والمجيء والإتيان، هذه كلّها صفات فعلية يفعلها الله سبحانه وتعالى متى شاء، ويترك فعلها متى شاء، هذا هو ضابط الصفة الفعلية، كالاستواء على العرش، "الرحمن على العرش استوى" ففعل هذا الفعل متى شاء، كذلك النزول إلى السماء الدنيا، ينزل الله سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل، لأنّه أراد أن ينزل في هذا الوقت فنزل سبحانه وتعالى، إذاً هذه تسمى صفة فعلية، قال: "وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين" أي بالنظر إلى أمرين، تكون من جهة ذاتية ومن جهة

أخرى فعلية، متى هذا؟ قال: "كالكلام" هذا مثال، ككلام الله سبحانه وتعالى، قال: "فإنه باعتبار أصله صفة ذاتية" يعني إذا نظرت إلى أصل الكلام، لا تنظر إلى آحاده، ولكن تنظر إلى أصله، أصل الصفة، الله سبحانه وتعالى قادر على الكلام متى شاء ويتكلم بما شاء، طيب، أصل القدرة على هذا الفعل الذي هو الكلام، صفة ذاتية من هذا الاعتبار، من هذا الجانب، "لأنّ الله تعالى لم يزل ولا يزال متكلماً"، أليس هذا هو الضابط؟ أنّه لم يزل ولا يزال فاعلاً، متكلماً، لم يزل ولا يزال متصفاً بهذه الصفة، "وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية" يعني إذا نظرنا إلى آحاد، ما معنى آحاد الكلام؟ كلام معين، مثل تكليمه لموسى عليه السلام عند الطور، فكلامه لموسى في ذاك الوقت هذا يسمى آحاد الكلام، مثل تكلم الله سبحانه وتعالى بالقرآن، الآيات آية آية، هذه آحاد الكلام، إذا نظرنا إلى هذا لا إلى أصل الصفة، قال: "وباعتبار آحاد الكلام صفة فعلية" لماذا؟ لأنّه يتكلم متى شاء، ويترك الكلام متى شاء، إذاً بهذا الضابط هو صفة فعلية، لأنّ ضابط الصفة الفعلية ينطبق على آحاد الكلام، وضابط الصفة الذاتية ينطبق على أصل الكلام، على الصفة، قال: "لأنّ الكلام يتعلق بمشيئته، يتكلم متى شاء بما شاء، كما في قوله تعالى: "إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ"، وكلّ صفة تعلقت بمشيئته تعالى فإنّها تابعة لحكمته" يعني الله سبحانه وتعالى عندما يفعل الفعل يفعلُه لحكمة، لا يفعل الشيء عبثاً، كما جاء في خلق السماوات والأرض الذي تقدم، خلق السماوات والأرض لكن لا لعباً، لا عبثاً، وإنّما خلق السماوات والأرض لحكمة، كذلك خلق الإنسان ولم يتركه سدى، لأنّه لم يخلقه عبثاً وإنّما خلقه لحكمة، وهكذا أفعال الله، عندما يتكلم الله سبحانه وتعالى يتكلم لحكمة، عندما ينزل ينزل لحكمة، عندما يستوي على عرشه يستوي لحكمة، وهكذا، هذا مقصود كلام المؤلف، قال: "وقد تكون الحكمة معلومة لنا، وقد نعجز عن إدراكها" يعني لا يشترط كي نثبت الحكمة أن نعلمها، نحن نثبت أن الله سبحانه وتعالى لا يفعل شيئاً إلاّ لحكمة لكن هل هذه الحكمة ظاهرة لنا؟ ربّما تظهر في بعض

الأحيان وأحياناً لا تظهر لنا، قال: "وقد نعجز عن إدراكها، ولكننا نعلم علم اليقين أنّه سبحانه لا يشاء شيئاً إلّا وهو موافق للحكمة" عندنا يقين بهذا ما عندنا شك فيه، "كما يشير إليه قوله تعالى: "وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا" يعني كلّ شيء يمضي بمشيئة الله سبحانه وتعالى، ومشيئته على حسب علمه وحكمته تبارك وتعالى وليس عبثاً، وهذا فيه ردّ على الأشاعرة الذين يقولون: الله سبحانه وتعالى يفعل لغير حكمة، لمجرد أنّه أراد، هكذا يقولون، يقولون مجرد أنّه يريد الشيء يفعله فقط، ما عندهم أنّ الله سبحانه وتعالى يفعل الأشياء لحكمة.

نكتفي بهذا القدر والله أعلم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

الدرس الحادي عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فاليوم معنا القاعدة السادسة من قواعد الصفات، وهي قاعدة مهمة جداً فيجب التنبه لما سيُقال فيها.

قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة السادسة: يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين".

يعني: عندما ثبتت الصفة لا بدّ أن تحذر من الوقوع في أمرين، فالوقوع فيهما محرم، ما هما؟ قال المؤلف: "أحدهما: التمثيل، والثاني: التكييف" إذاً عندنا التمثيل مُحَرَّم والتكييف مُحَرَّم، ما معنى التمثيل والتكييف؟ تمثيل صفات الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين، أو تكييف صفة الله سبحانه وتعالى بأن تقول بأنّ صفة الله لها كيفية كذا وكذا كما سيأتي إن شاء الله، التمثيل والتكييف مُحَرَّمان، عند إثباتك للصفة يجب عليك أن تحذر من التمثيل والتكييف، فأنت مع إثبات الصفة تنفي التمثيل وتنفي التكييف، لماذا؟ لأنّ بعض أهل البدع وقع في هذا المحذور، لذلك أنت تنفيه فتقول: ثبت لله سبحانه وتعالى اليد من غير تكييف ولا تمثيل، لأنّ التكييف والتمثيل مُحَرَّمان، فما هما التمثيل والتكييف؟ قال المؤلف رحمه الله: "فأما التمثيل: فهو اعتقاد المثبت أنّ ما أثبتته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل" إذاً عرّف المؤلف التمثيل ثم سيأتي بالأدلة التي تدلّ على تحريمه، فما هو التمثيل؟ التمثيل: أن يعتقد المثبت للصفات، أنت ثبتت صفة اليد لله سبحانه وتعالى، تمام، إذا اعتقدت أنّ يد الله سبحانه وتعالى مثل أيدينا أو كأيدينا، هذا معنى التمثيل، عندئذ تكون وقعت في المحذور، وقعت في المحرّم، وهو أنّك شَبَّهت صفات الله بصفات المخلوقين الناقصة، شَبَّهت صفات الله الكاملة بصفات المخلوقين الناقصة وهذا مشكل، وهذا محذور، مُحَرَّم، وإن كان هناك اشتراك في الاسم

واشتراك في أصل المعنى لكن عند الإضافة، عندما تقول: يد الله وتقول: يد المخلوق يحصل انفصال كبير وعظيم بين الصفتين، فلا يصحّ أن تقول: يد الله كأيدينا، هذا هو الذي ينبغي أن تحذر منه بارك الله فيكم، قال: "فهو اعتقاد المثبت أنّ ما أثبتته من صفات الله تعالى مماثل لصفات المخلوقين" فيقول: يد الله مثل أيدينا، سمع الله كسمعنا، بصر الله كبصرنا، عين الله كأعيننا وهكذا، هذا معنى التمثيل، يشرحه لنا أئمة السلف رضي الله عنهم، نحن عقيدتنا عقيدة من؟ عقيدة السلف رضي الله عنهم، فهذا الكلام لا يأتي به من عندنا، يأتي به من كلام سلفنا رضي الله عنهم وأرضاهم الذين أثنى عليهم ربنا تبارك وتعالى وأثنى عليهم نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ماذا قال إسحاق بن راهويه رحمه الله؟ طبعاً كلام مثله موجود في كلام الإمام أحمد وكلام أبي زرعة الرازي وكذلك موجود أيضاً في كلام نعيم بن حماد الرازي وغيرهم، قال إسحاق بن راهويه: إنّما التشبيه (ويعنون بالتشبيه التمثيل) قال: "إنّما التشبيه إذا قال يد كيد"، لاحظ هنا يد كيد أو مثل يد، هكذا يكون التشبيه لا كما يقول أهل البدع، أهل البدع من المتكلمين يقولون: إذا أثبت أصل اليد لله سبحانه وتعالى وأثبت اليد للمخلوق فقد شبهت الله بخلقه، نقول: باطل، لا يلزم هذا تشبيهاً، الآن أنت إذا قلت: للنملة يد وللفيل يد، هل يلزم من ذلك تشبيه بين اليد واليد؟ ما يلزم، إذاً مجرد الإثبات لا يدلّ على التشبيه أو التمثيل، هناك فرق، وإن كان الاشتراك يكون موجوداً في الاسم وفي أصل المعنى؛ لكن لا يلزم من ذلك أن تكون هذه كهذه، هناك اختلاف كبير بين الصفتين، صفة الحياة: الله سبحانه وتعالى موجود، حتى المتكلمين لا يستطيعون أن ينكروا هذا لأنّ من أنكر هذا كفر، وكفره واضح جلي، لأنّه يصبح ملحداً من الملحدين الذين ينكرون وجود الله سبحانه وتعالى، طيب، الله سبحانه وتعالى موجود ونحن موجودون، يستطيع أحد يقول نحن معدومون؟ نحن موجودون، وما عندنا، إمّا وجود وإمّا عدم، طيب نقول الله سبحانه وتعالى موجود ونحن موجودون، الاسم واحد وأصل المعنى واحد، لكن هل وجود

الله كوجودنا؟ لا، وجود الله ليس كوجودنا، وجود الله سبحانه وتعالى لم يسبق بعدم ولا يلحقه فناء، أمّا نحن وجودنا فمُسبوق بعدم، نحن ما كنا في فترة من الفترات، حتى أوجدنا الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن نفنى، الله سبحانه وتعالى قادر على إفناءنا كما يفنى الحيوانات، فيقول لها: كوني تراباً فتكون تراباً فتفنى الحيوانات، كذلك هو قادر على أن يفنينا لو أراد ذلك سبحانه وتعالى، هل وجود كهذا هو وجود كوجود الله سبحانه وتعالى؟ بينهما فرق، كذلك حياة الله سبحانه وتعالى وسمع الله وبصره، كلّ بنفس المعنى، هذا هو، بهذا نتضح لك الأمور، بهذا المثال يتضح لك الأمر، نحن نثبت لله سبحانه وتعالى أنه موجود، ونثبت أن المخلوق أيضاً موجود، لكن مع ذلك وجود الله سبحانه وتعالى ليس كوجودنا، إذاً ما يدعيه المتكلمون من أن إثبات الصفات يلزم منه التشبيه (التمثيل) نقول: باطل، هذا اللازم ليس بلازم، هذا اللازم ليس بلازم، لأن معنى التشبيه والتمثيل كما قال السلف رضي الله عنهم، قالوا: أن تقول: يد مثل يد، أو يد كيد، هذا الفارق بين أهل السنة وأهل البدع، تنبهوا هنا، التمثيل عندنا يختلف عن التمثيل عندهم، نحن متفقون على أن التمثيل محرم، لكن نختلف معهم في معنى التمثيل، هم يقولون: أنك إذا أثبت صفة لله موجودة عند المخلوق أصلها كصفة اليد والسمع والبصر إذاً فهذا تمثيل، مجرد الإثبات، نقول: هذا باطل، التمثيل: أن تقول: صفة الله مثل صفة المخلوق كما قال ربنا في كتابه: "ليس كمثله شيء" لذلك جاء التفسير عن السلف أنهم قالوا: التمثيل (التشبيه) هو أن تقول: يد كيد أو مثل يد، نكمل كلام إسحاق بن راهويه لأنّ كلامه هذا هو ردّ على المتكلمين وبيان لعقيدة أهل السنة التي كان عليها السلف رضي الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن اتبعهم بإحسان، قال: "إنما التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فهذا التشبيه" الكلام لإسحاق بن راهويه كلّ، قال أيضاً: "وأما إذا قال كما قال تعالى يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً"، ردّ على من؟ على المتكلمين، ثم قال: "وهو كما قال

الله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية قد نفى عن نفسه التمثيل وأثبت لنفسه صفة السمع والبصر، أهل البدع المفارقون لأهل السنة قسمان: قسم ينفي الصفات تماماً ويقول: إذا أثبتناها فقد شبهنا الله سبحانه وتعالى بخلقه وهذا محذور، فهؤلاء يؤمنون بالجزء الأول من الآية: "ليس كمثله شيء" ولكنهم يكفرون بالجزء الثاني: "وهو السميع البصير"، طائفة ثانية: ثبت لله السمع والبصر وتجعلها مماثلة لسمع وبصر المخلوقين فهؤلاء أهل التمثيل، وهؤلاء يؤمنون بالجزء الثاني من الآية ويكفرون بالجزء الأول، وأسعد الناس بكتاب الله هم أهل السنة والجماعة الذين لا يتركون شيئاً من كتاب الله إلا ويؤمنون به "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" فهم يؤمنون أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير وأن سمعه وبصره ليس كسمع المخلوقين وبصرهم، بهذا تجتمع الآيات وعلى هذا كان السلف الصالح رضي الله عنهم، كلام إسحاق بن راهويه ذكره الترمذي رحمه الله في سننه عند الحديث رقم (662)، طبعاً كما ذكرنا لنعيم بن حماد كلام مشابه ولأبي زرعة الرازي كذلك كلام مشابه وللإمام أحمد أيضاً كلام مشابه لما ذكره إسحاق بن راهويه.

طيب المؤلف الآن فسر لنا معنى التمثيل و عرفنا نحن معنى التمثيل وهذا الذي حصل عند أهل البدع من المتكلمين، يعني تفسيرهم للتمثيل بالمعنى الذي ذكرناه هو سبب انحرافهم في نفي صفات الله تبارك وتعالى عنه، فقالوا: إذا أثبتنا الصفات لله سبحانه وتعالى لزم من ذلك التمثيل، و التمثيل مُحَرَّم، إذاً يجب أن ننفي الصفات عن الله تبارك وتعالى، فعقولهم عند إثبات الصفات لا تدرك إلا التمثيل بصفات المخلوقين، فلذلك أرادوا أن ينفوا صفات الله سبحانه وتعالى عنه، لكن التمثيل حقيقة عند أهل السنة والجماعة، وهو الذي أراده الله سبحانه وتعالى في كتابه بدليل تمة الآية: "ليس كمثله شيء" وهو السميع البصير هو التمثيل أن تقول يدٌ مثل يد أو يد كيد، الآن ما الدليل على تحريم التمثيل؟ قال المؤلف: "وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل" يعني عنده أدلة سمعية وأدلة عقلية، المقصود بالأدلة العقلية القرآن والسنة و

الدليل العقلي هو الذي يدرك بالعقل.

قال: "أما السمع فإنه قوله تعالى: "ليس كمثله شيء"" وهذه الكاف الموجودة في: "كمثله" أشكلت على أهل العلم، وهذا الإشكال أنك لو قلت الكاف هنا للتشبيه، فيكون تقدير الكلام ليس مثل مثله شيء، فالنفي حقيقةً عائد على مثل المثل، فكأنك ثبتت لله مثل ولكنك تنفي أن يكون لهذا المثل مثل، هذا معنى الآية إذا كان أثبتت أن الكاف للتشبيه، فذلك اختلفت كلمات أهل العلم في توجيه هذه الآية و أوضح ما قيل في ذلك أنها لتأكيد النفي، كأن الله سبحانه وتعالى كرر الآية وقال: ليس كهو شيء و ليس مثله شيء، هذا معنى التوكيد، كأنها جاءت مرتين، ليس كهو شيء و ليس مثله شيء، فتكون تأكيد لنفي المثل عن الله تبارك وتعالى، وهذا هو الحق إن شاء الله في معنى هذه الآية، فلا إشكال إذاً عند الجميع، حتى عند المتكلمين، و عند أهل السنة و كذا، أن الآية لا تدلّ على إثبات، لأنهم متفقون أن الآية جاءت لنفي المثل عن الله سبحانه وتعالى، لكن أشكل عليهم حرف الكاف هذا و التوجيه الذي ذكرناه هو الصواب إن شاء الله في ذلك، إذاً الآية دليل على نفي التمثيل و هذا محل اتفاق، ما فيه خلاف إن شاء الله بين أهل السنة و الجماعة حتى عند المتكلمين أيضاً، قال: "وقوله: "أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ"" يعني: لا يمكن أن يكون الخالق مثل المخلوق، لا يمكن ذلك لا في ذاته ولا في صفاته تبارك وتعالى، إذاً المثلية منفية فهي محرمة، "وقوله: "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا"" يعني: هل تعلم له كفواً ومماثلاً؟ لا يوجد مماثل لله سبحانه وتعالى، إذاً صفات الله ليست كصفات المخلوقين، "وقوله: "وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ"" لم يكن له مكافئ ومماثل ومساوي أحد، لذلك لا يصح أن يمثل الله سبحانه وتعالى بشيء من خلقه، هذه الأدلة السمعية تدلّ على أن الله سبحانه وتعالى لا يماثله شيء.

قال المؤلف: "وأما العقل فمن وجوه: الأول: أنه قد علم بالضرورة أن بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات" يعني: اختلافاً في الذات، فذات الله سبحانه وتعالى ليست

كذات المخلوقين، قال: "وهذا يستلزم أن يكون بينهما تباين في الصفات" بما أن الذات قد اختلفت إذاً فالصفات كذلك تختلف، "لأنّ صفة كلّ موصوف تليق به، كما هو ظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات" يعني: كما أننا نرى مثلاً ذات النملة تختلف عن ذات الفيل، فإذا اختلفت ذات النملة عن ذات الفيل اختلفت الصفات كذلك، فصفات النملة تختلف عن صفات الفيل، قال: كما أنّ الذوات بين المخلوقين إذا اختلفت اختلفت صفاتهم، كذلك أيضاً ذات الله سبحانه وتعالى إذا اختلفت مع ذوات المخلوقين تختلف صفاته عن صفات المخلوقين، هذه أدلة عقلية كلّها، نحن بحمد الله في إيماننا لا نحتاج كلّ هذا، نحن يكفينّا أن يقول الله سبحانه وتعالى لنا: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" ونكتفي بهذا، هذه الأدلة العقلية ربّما يحتاجها بعض أهل الاختصاص من المتمكنين في هذا العلم وواجهه أحد الحائرين الذين يحتاجون أن يعرفوا الحقّ من الباطل فيحتاج أن يناقشه بمثل هذه الطريقة، لكن نحن بحمد الله لسنا بحاجة إليها، نحن يكفينّا أن يقول الله سبحانه وتعالى لنا: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"، وهذا المعنى هو الذي كان الصحابة رضي الله عنهم يعلمونه، فيوجهون ويبينون لنا أنّه إذا جاءت الأدلة من الكتاب والسنة لسنا بحاجة إلى أعمال العقل ولا إلى البحث في هذا الأمر، خلاص انتهى الأمر جاء قال الله قال رسول الله انتهى الأمر في ذلك، هكذا كان السلف رضي الله عنهم في ذلك؛ لذلك لما جاءت إحدى النساء إلى عائشة رضي الله عنها فقالت لها: ما بالنا نقضي الصوم ولا نقضي الصلاة، يعني الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، باشرت عائشة وقالت لها: أحرورية أنت؟ أنظر كيف، يعني من الخوارج أنت، الخوارج الذين يعتقدون أنّه يجب على الحائض أن تقضي الصوم وتقضي الصلاة، لأنّهم عارضوا ذلك بعقولهم، عارضوا شريعة الله بعقولهم، وهذه مصيبة قديمة ليست باليوم أو بالأمس، فقالت لها: أحرورية أنت؟ تعارضين شرع الله سبحانه وتعالى بعقلك كما عارضت الخوارج، قالت: أعوذ بالله، إنّما أسأل، فقالت هكذا أمرنا الله سبحانه وتعالى أن نقضي الصوم ولا

نقضي الصلاة، أنظر كيف ردّتها مع أنّها تعلم ما هو السبب، وكانت قادرة على أن تبين لها، ولكنها ماذا أرادت؟ أرادت أن تبين لها أنّ شريعة الله تبارك وتعالى يجب أن تؤخذ بالتسليم، إذا قال الله كذا قال رسوله كذا انتهى الأمر، لا تعمل عقلك في الأمر، جاءك النص من عند الله انتهت القضية، هكذا ما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، التسليم لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبهذا يمتاز أهل الإيمان، يؤمنون بالغيب بمجرد أن جاءهم الخبر بالغيب من عند الله تبارك وتعالى يؤمنون به، "آلم، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب" إذاً أهل الإيمان وصفهم الله سبحانه وتعالى بالإيمان بالغيب، هذه صفتهم، فيكفي أن يأتي الدليل من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه الأدلة العقلية التي يذكرها المؤلف هنا يذكرها لإقامة الحجّة على بعض الحائرين من الذين نعلم منهم أنّهم يريدون الحقّ لكنهم تائهون، واحتاجوا أن يفهموا بعض الشبهات التي أدخلها عليهم بعض المتكلمين ممكن أن نستعمل معهم مثل هذه الطريقة، وإلاّ الأصل خلاف هذا.

قال المؤلف: "أنّه قد علّم بالضرورة أنّ بين الخالق والمخلوق تبايناً في الذات، وهذا يستلزم أن يكون بينهما تبايناً في الصفات" يعني: كما أنّ فيه اختلاف بين ذات الخالق وذات المخلوق كذلك يوجد اختلاف في صفات الخالق وصفات المخلوق، "لأنّ صفة كلّ موصوف تليق به كما هو الظاهر في صفات المخلوقات المتباينة في الذوات" المختلفة في الذوات، كذات الفيل وذات النملة مثلاً، هذه الذات مختلفة عن الذات الأخرى، "فقوة البعير مثلاً غير قوة الذرة" الذرة التي هي النملة، "فإذا ظهر التباين بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث" يعني: أنّ المخلوقات كلّها ممكنة الوجود لا واجبة الوجود وقد تطرقنا لذلك في السابق، وهذه من الألفاظ المستعملة عند المتكلمين، ممكن الوجود هي المخلوقات كلّها وواجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، يعني: الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يأتي وقت من الأوقات لا

يكون موجوداً، أبداً، لا يمكن هذا، أمّا المخلوق ممكن أن يكون موجوداً وممكن أن يكون مفنياً، والحدوث يعني: حادث، حدث بعد أن لم يكن، هذا بالنسبة للمخلوق، أمّا الله عزّ وجلّ فلا يمكن أن يحدث بعد أن لم يكن لأنّه ما جاءت فترة من الفترات ما كان الله سبحانه وتعالى غير موجود فيها، فالمخلوق يُطلق عليه الإمكان والحدوث، قال هنا: "فإذا ظهر التباين" يعني: الاختلاف، "بين المخلوقات مع اشتراكها في الإمكان والحدوث" يعني: كلّها مشتركة في كونها ممكنة وحادثة ومع ذلك بينها اختلاف كبير، قال: "فظهر التباين بينها وبين الخالق أجلى وأقوى" لأنّها غير مشتركة مع الله سبحانه وتعالى في مسألة الإمكان والحدوث، فالمخلوقات ممكنة وحادثة لكنّ الله سبحانه وتعالى واجب الوجود وليس حادثاً، هذا معنى كلام المصنف، يعني كما أننا نرى التفاوت في الصفات بين المخلوقين وكذلك تفاوت في الذات فمن باب أولى أن يكون التفاوت بين المخلوقين والخالق في الذات وفي الصفات.

قال: "الثاني: أن يُقال كيف يكون الرّب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابهاً في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله، و هل اعتقاد ذلك إلّا تنقص لحقّ الخالق" يعني: لا يمكن أن يماثل الكامل الناقص، وإذا اعتقدت ذلك فقد أدخلت النقص على الكامل، قال: "فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً" وهذا واضح، نعم هذا المعنى.

قال المؤلف رحمه الله: "الثالث" من الأدلة العقلية: "أننا نشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء و يختلف في الحقيقة و الكيفية" هذا في المخلوقات أنفسها، تجد الاسم متفق لكن في الحقيقة و في الكيفية مختلف تماماً، "فنشاهد أنّ للإنسان يداً ليست كيد الفيل" لاحظ الفرق الآن، هذه تسمى يد و هذه تسمى يد، فمن حيث التسمية واحدة، وأصل المعنى واحد لكن هل يد الإنسان كيد الفيل؟ لا، "وله قوة ليست كقوة الجمل مع الاتفاق في الاسم، فهذه يد و هذه يد، و هذه قوة و هذه قوة، و

بينهما تباينٌ في الكيفية و الصفات " كيفية اليد تختلف عن كيفية اليد، صفة اليد تختلف عن صفة اليد، "فَعُلِمَ بذلك أن الاتفاق في الاسم لا يلزم منه الاتفاق في الحقيقة" فكَذلك إذاً اتفاق اسم صفة الله سبحانه و تعالى اليد مع اتفاق اسم صفة المخلوق يد، لا يلزم أن تكون هذه اليد مثل هذه اليد كما يقوله المتكلمون، هذا ما يتعلق في مسألة التمثيل، إذاً فالتمثيل محرم و يجب نفيه، فنحن نقول نثبت الصفات لله سبحانه و تعالى من غير تمثيل، ننفي التمثيل عن الله سبحانه و تعالى لقول الله تبارك و تعالى: "ليس كمثله شيء".

قال المؤلف: "وأما التكييف" الآن انتقلنا إلى المحذور الثاني وهو التكييف، ما معنى التكييف؟ قال: "فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يُقيدها بمماثل، وهذا اعتقاد باطل بدليل السمع والعقل" ما هو التكييف؟ التكييف: حكاية كيفية الصفة، لله يد مثلاً، نتصور في ذهنك أن يد الله سبحانه و تعالى طولها كذا، عرضها كذا، مربعة، مثلثة، إلى آخره، مدورة، إلى آخر التمثيلات أو التصورات التي نتصورها في ذهنك، هنا تكون قد رسمت لها كيفية معينة في ذهنك، أو نطقت بذلك فقلت هي على صورة كذا وكذا، عندئذ تكون قد وضعت لها كيفية معينة، وهذا كله مُحَرَّم، لماذا؟ لأن الله سبحانه و تعالى أخبرنا بأن له يد، له هذه الصفة، لكنه لم يخبرنا بكيفية هذه الصفة، نحن نعتقد بأن لها كيفية، لا نقول بأن صفات الله لا كيفية لها، لأنه الشيء الذي لا كيفية له لا وجود له، ليس موجوداً، كل شيء موجود له كيفية، فصفات الله لها كيفية نحن نعلم هذا، لكننا نجهلها، لذلك لا يجوز لنا أن نقول والله كيفيتها كذا وكذا، لأنه إذا قلنا هذا كما تكلمنا بجهل بغير علم، وأثبتنا لله سبحانه و تعالى شيئاً هو لم يخبرنا عنه، فهنا نكون قد وقعنا في المحذور، أخبرنا الله سبحانه و تعالى بيده، أخبرنا بأن له عيناً، لكنه لم يخبرنا بكيفيتها، ونحن لا يمكننا أن ندرك الكيفية من عندنا، يد الله أمر غيبي عنا لم نره، ولا رأينا شيئاً يشبهه ويمثله، لأنه لا مثل له، ولا أخبرنا هو تبارك و تعالى عن

كيفية، ولا أخبرنا نبيه صلى الله عليه وسلم عن كيفية، بهذا تدرك الأشياء، بهذه الأمور: إما أن تراها، أو أن ترى مثيلاً لها وتعلم أن هذا مثل هذا، أو أن تخبر بها، وهذه الثلاثة منفية عن كيفية صفات الله سبحانه وتعالى، لذلك نحن نثبت الكيفية لله سبحانه وتعالى، فلما نقول من غير تمثيل ولا تكييف فليس معنى ذلك أن ليس لها كيفية، لا، هي لها كيفية، لكننا نجعلها، لا نعلمها، لذلك نفوض أمرها إلى الله سبحانه وتعالى، هذا معنى من غير تكييف، فقال: "فهو أن يعتقد المثبت أن كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا، من غير أن يقيدها بمماثل" لأنه إذا قيدها بمماثل يكون تمثيلاً، وحققة كل مثل فقد كيّف، كل مثل مُكيّف؛ لأنه أنت عندما تقول هذه اليد مثل هذه فقد جعلت كيفية كاليد الأخرى، لكن المؤلف أراد أن يفرق بينهما الآن، فالتكييف أن تقول كيفية كذا وكذا من غير أن نثبت لها مماثل، وهذا اعتقاد باطل محرّم للأسباب التي ذكرناها، "بدليل السمع والعقل".

قال: "أما السمع: فنه قوله تعالى: "وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا" لا يحيطون به علماً، لا يمكنهم أن يعلموا عن الله تبارك وتعالى إلا ما أعلمهم الله تبارك وتعالى عن نفسه، أما يحيطون به علماً كاملاً بكل شيء لا يمكن هذا، "وقوله: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" لا نتكلم فيما تجهل، فأنت مسؤول عن كل كلمة تخرج من فمك، هذا معنى الآية، ونحن نجعل الكيفية فلا علم لنا بها فالكلام في هذا الأمر محرّم، قال: "ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا، لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفية، فيكون تكييفنا قفوا لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به".

قال: "وأما العقل: فلأن الشيء لا تُعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته" يعني: إما أن تعلمه هو نفسه بأن تراه مثلاً، "أو العلم بنظيره المساوي له" يعني: بمساو ومماثل له، "أو الخبر الصادق عنه" هذه الثلاث لا رابع لها، "وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عز وجل، فوجب بطلان تكييفها".

يقول المؤلف: "وأيضاً فإننا نقول: أيّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى؟" يعني: تريد أن تقدر كيفية لصفة الله تعالى، فأَيّ كيفية من الكيفيات تريد أن تقدرها لله سبحانه وتعالى، قال: "إنّ أيّ كيفية تقدرها في ذهنك فالله أعظم وأجلّ من ذلك" لا تستطيع أن تكيف أصلاً من عندك، لأنك مهما حاولت تصور هذه الكيفية فلن تصب، لأنّ الله سبحانه وتعالى أعظم وأجلّ من الصورة التي سترسمها في ذهنك، أو ستنتطق بها، "وأيّ كيفية تقدرها لصفات الله تعالى فإنّك ستكون كاذباً فيها، لأنّه لا علم لك بذلك، وحينئذ يجب الكفّ عن التكييف تقديراً بالجنان، أو تقريراً باللسان أو تحريراً بالبنان" يعني: لا يجوز لك أن تقدر كيفية معينة، أو أن تثبت كيفية معينة لصفات الله سبحانه وتعالى، لا بقلبك، بالجنان يعني: بالقلب، لا لتصورها في ذهنك وتعتقد هذا، ولا تقرر ذلك بلسانك، تنطق به، ولا تكتبه بينانك يعني: بأصابعك، قال: "ولهذا لما سئل مالك رحمه الله تعالى "إمام دار الهجرة مالك بن أنس"، عن قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" انظر الإجابة العظيمة هذه، "كيف استوى؟" أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرضاء (العرق) ثم قال: "الاستواء غير مجهول" يعني: معلوم كما جاء في رواية ثانية، الاستواء معلوم معناه في اللغة العربية، الاستواء بمعنى: العلوّ والارتفاع كما صحّ عن أبي العالية الرياحي الذي أخذ عن سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، "والكيف غير معقول" لا نستطيع أن ندرك الكيفية بعقولنا، ولم يخبرنا الله سبحانه وتعالى بها، كما جاء في رواية ثانية: والكيف مجهول، لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بها، "والإيمان به واجب" الإيمان بالاستواء واجب لأنّ الله سبحانه وتعالى قال: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"، "والسؤال عنه بدعة" يعني: السؤال عن الكيفية بدعة، ضلالة، أمر محدث، ما كانوا يسألون عن الكيفية، وكانوا يثبتون لله سبحانه وتعالى الصفات التي هي مثبتة في كتاب الله وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كانوا على دلالة اللغة العربية، وما كانوا يتكفون، قال: "وروي عن شيخه ربيعة أيضاً" يعني نفس الكلام، شيخ الإمام مالك: ربيعة بن

عبدالرحمن أحد فقهاء المدينة، "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وقد مشى أهل العلم بعدهما على هذا الميزان. وإذا كان الكيف غير معقول ولم يرد به الشرع، فقد انتفى عنه الدليلان العقلي والشرعي، فوجب الكف عنه"، قال: "فالحذر الحذر من التكييف أو محاولته، فإنك إن فعلت وقعت في مفاوز لا تستطيع الخلاص منها" المفاوز: الصحارى الواسعة، "وإن ألقاه الشيطان في قلبك فاعلم أنه من نزغاته" فاستعد بالله من الشيطان الرجيم وكُفَّ عن ذلك، "فالجأ إلى ربك فإنه معاذك، وافعل ما أمرك به فإنه طبيبك، قال الله تعالى: "وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"" نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته، إذاً عند هذا نقول: ثبت الصفات لله سبحانه وتعالى من غير تمثيل ولا تكييف، هذا هو. والله أعلم، وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

الدرس الثاني عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فاليوم معنا القاعدة السابعة من قواعد صفات الله تبارك وتعالى.
قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة السابعة: صفات الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها".

وهذا كما تقرر في الأسماء، فيما تقدّم من دروس كذلك نقرره هنا، لذلك المؤلف رحمه الله قد ردّنا إلى القاعدة الخامسة في أسماء الله تبارك وتعالى لأنّ القول في الصفات في ذلك كالقول في الأسماء، القاعدة الخامسة التي قال فيها: "أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها"، قال: "وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يُزاد فيها ولا يُنقص، لأنّ العقل لا يمكنه إدراك ما يستحق الله تعالى من الأسماء" وكذلك نقول في الصفات، "فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"... إلى آخر ما ذكر في هذه القاعدة، قال: "فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلّا ما دلّ الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: "لا يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه"" الإمام أحمد أحد أئمة السلف رضي الله عنه وأرضاه، كانت له مواقف عظيمة في الدفاع عن السنة وحرب البدعة وأهلها، يقول: "لا يوصف الله إلّا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث" هذا هو الحق، فالله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم ما يليق به من الصفات وما لا يليق به، فما أثبتته نثبتته وما نفاه عن نفسه ننفيه، وكذلك ما جاء في سنة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك مثبتاً نثبتته وما جاء منفيّاً ننفيه، ونحن تبع لسلفنا الصالح رضي الله عنهم في ذلك، وكتب أهل العلم من السلف طائفة بالكلام عن هذه المسألة وتقرير هذا الأصل وقد توسّع الحافظ أبو بكر ابن خزيمة رحمه الله في كتابه

التوحيد في ذكر الصفات التي تليق بالله سبحانه وتعالى، التي ثبتت له في الكتاب وفي السنة.

قال المؤلف رحمه الله: "ولدلالة الكتاب والسنة على ثبوت الصفة ثلاث أوجه: يعني: الكتاب والسنة تستطيع أن تستفيد منهما الصفة الثابتة لله تبارك وتعالى من أوجه ثلاث، كيف تستخرج الصفة الثابتة لله سبحانه وتعالى من الكتاب والسنة؟ بأوجه ثلاث:

"الأول: التصريح بالصفة كالعزة والقوة والرحمة والبطش والوجه واليدين ونحوها" صرح الله سبحانه وتعالى بهذه الصفات، قال في صفة العزة: "فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" فأثبت لنفسه هذه الصفة، وقال في القوة: "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" فأثبت لنفسه القوة، والرحمة قال فيها: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ"، والبطش قال فيه: "إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ"، والوجه قال: "وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ"، واليدين قال تبارك وتعالى: "بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ"، فأثبت لنفسه الوجه وأثبت لنفسه اليدين، وهكذا، إذاً التصريح بالصفة من الطرق التي ثبت بها صفات الله سبحانه وتعالى من الكتاب والسنة.

قال المؤلف رحمه الله: "الثاني: تضمن الاسم لها" لأننا كما قررنا فيما تقدم أن كل اسم يتضمن صفة، إذاً نحن بحاجة فقط إلى أن نثبت أن الاسم ثابت لله سبحانه وتعالى في الكتاب والسنة، ثم بعد ذلك نأخذ منه مباشرة الصفة، قال: "مثل: الغفور" ونأخذ منه صفة المغفرة، قال: "متضمن للمغفرة، والسميع: متضمن للسمع" يعني نأخذ منه صفة السمع، فنثبت لله سبحانه وتعالى صفة السمع لأنه سمي نفسه السميع، وكل اسم يتضمن صفة، قال: "ونحو ذلك، انظر القاعدة الثالثة في الأسماء"، قال في القاعدة الثالثة في الأسماء: "إن دلت على وصف متعدٍ تضمنت ثلاثة أمور: وقد أحالنا على ذلك لنعرف ماذا يتضمن الاسم من الصفات، وقررنا سابقاً أن كل اسم يتضمن صفة.

قال المؤلف رحمه الله: "الثالث: من الطرق التي نأخذ منها الصفة من كتاب الله ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم: "التصريح بفعل أو وصف دال عليها" التصريح بفعل وهذا الفعل يدل على الصفة كقول الله تبارك وتعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" ففعل الله سبحانه وتعالى هنا الاستواء، هذا يدل على ماذا؟ على صفة الاستواء، قال: "أو وصف دال عليها" وصف يدل على الصفة، قال: "كلاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء للفصل بين العباد يوم القيامة والانتقام من المجرمين، الدال عليها على الترتيب قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" [طه:5]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا .." الحديث، وقول الله تعالى: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا" [الفجر:22]، وقوله: "إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ" [السجدة:22]، إذاً يدل على صفة الاستواء قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"، وكذلك يدل على صفة النزول قول النبي صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء الدنيا .."، وهذا فعل من الله سبحانه وتعالى، هذا الفعل يدلنا على صفة، وهي صفة النزول، ينزل الله سبحانه وتعالى نزولاً إلى الدنيا، ينزل الله سبحانه وتعالى إلى الدنيا كما ذكر، والمجيء، صفة المجيء يدل عليها قوله تعالى: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"، وصفة الانتقام يدل عليها قوله تعالى: "إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ"، هذا ما ذكره المؤلف هنا، وهذه فائدة طيبة، كيف تعرف الصفة الثابتة لله سبحانه وتعالى؟ بإحدى هذه الطرق الثلاث التي ذكرها المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف رحمه الله بعد ذلك: "الفصل الثالث" بعد أن انتهى الآن من تقرير قواعد الصفات، وبذلك نكون قد انتهينا من قواعد الأسماء وقواعد الصفات، الآن يريد أن يذكر لنا المؤلف من أين تؤخذ أسماء الله وصفاته، ما هي الأدلة المعتبرة في إثبات الأسماء والصفات، وما هو الدليل الغير معتبر؟ يريد المؤلف من هذه القاعدة التي يذكرها الآن أن يرد على المتكلمين من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلابية وغيرهم من الذين يقررون ما يجوز لله من أسماء وصفات وما لا يجوز

بالعقل، فيجعلون العقل هو الدليل والمرجع في ذلك، أمّا أهل السنّة والجماعة فيعتقدون أنّ المرجع في ذلك والدليل هو الكتاب والسنّة فقط. لذلك قال المؤلف هنا:

"الفصل الثالث: قواعد في أدلة الأسماء والصفات"

"القاعدة الأولى: الأدلة التي ثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما".

هذا أصل من أصول أهل السنّة والجماعة، الدليل الذي ثبت به الاسم أو الصفة لله سبحانه وتعالى هو الكتاب والسنّة فقط، لأننا كما ذكرنا سابقاً هذه الأمور غيبية عنا، لا نعلم منها إلّا ما علّمنا الله سبحانه وتعالى، لذلك نحن نرجع فيها إلى الخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، الخبر الصادق، وهذا الخبر الصادق جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من طريقه عليه الصلاة والسلام، أخذه عن جبريل وجبريل عن ربّ العالمين تبارك وتعالى، ثم رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ثقات هذه الأمة وأفاضلها من الذين أثنى الله سبحانه وتعالى عليهم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعهم بإحسان، فلذلك نحن نؤمن بما ثبت في كتاب الله وفي سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك ولا نُحْكِمُ عقولنا على الله تبارك وتعالى، لأننا لم نرّ الله سبحانه وتعالى، وكذلك أيضاً لم نرّ ما يشبهه ويمثله لأنّه لا مثيل له، فلم يبق عندنا إلّا الخبر فقط، فلذلك ثبت الأسماء والصفات بالأخبار، الطاغوت الأعظم عند المتكلمين: إثبات أسماء الله وصفاته بالعقل، ثم إذا تعارض عندهم العقل مع النقل، مع أدلة الكتاب والسنّة يقدمون العقل، ويقولون: دلالة العقل أقوى من دلالة النقل، ويقولون بأنّ دلالة العقل يقينية ودلالة النقل ظنية، فلذلك إذا تعارض اليقيني مع الظني قدّم اليقيني، هذه قاعدتهم وهذا طاغوتهم الأعظم الذي جعلهم يردون أدلة الكتاب والسنّة لأجل عقولهم، أدلة كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم كلّها ظنية نعوذ بالله من الخذلان، نعوذ بالله من الضلال، وعقولهم الخربة العفنة يقينية،

ثم بعد ذلك تجدهم يتحاربون فيما بينهم ويختلفون ويضطربون في إثبات بعض الصفات ونفيها، أين اليقين في هذا؟ أيّ يقين يتحدثون عنه؟ طبعاً عندهم هم شبهات حول هذه القاعدة التي يقررونها، وقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ردّها ردوداً علمية قوية قاصمة لظهورهم، وكذلك تلميذه ابن القيم في كتابه النافع الفذّ كتاب: "الصواعق المرسلّة" فعلاً كانت صواعق مرسلّة فخرقت شبهاتهم حرقاً، فرضي الله عنهما وجزاها الله خيراً، شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وابن القيم لم يأتيا بشيء جديد من عندهما، قررا ما كان عليه السلف رضي الله عنهم، لكنهم نشروا عقيدة السلف وحثوا الناس على اتباعها وردوا على أهل الباطل وتصدوا لهذا الأمر، لذلك اشتهروا أكثر بكثير من غيرهم من أهل العلم، هذا الذي فعلوه، فلم يأتيوا بشيء جديد ولا دين جديد إنّما هم تبع لمن قبلهم، إنّما كان لهم النشر والدعوة وكان لهم التصدي لأهل البدع والردّ على خرافاتهم وضلالتهم، هذا ما كان لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ولتلميذه ابن القيم رحمهم الله وجزاها الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فلا يأتي متفلسف يتفلسف عليكم بأنّ هذا منهج ابن تيمية ودين ابن تيمية، هذا كلام باطل، كما أنّ الرازي من الذين تبنا منهج أبي الحسن الأشعري القديم ونشره ودعا إليه وناظر عليه وردّ على مخالفيه، كذلك كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأهل السنّة في زمنه رحمه الله فكما أنّهم يقولون ليس المنهج الأشعري للرازي، كذلك المنهج السلفي ليس لابن تيمية رحمه الله، هذا هو، والله أعلم، المهم هنا الآن، هذه القاعدة التي ذكرها المؤلف المقصود منها هو الردّ على أصل هؤلاء القوم، ثم يأتيك بعض المتفلسفين الفاسدين منهجياً ويقول لك: الأشاعرة من أهل السنّة، أي سنّة هذه؟ أي سنّة؟ أعظم أصل عند أهل السنّة تعظيم كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم وتقديمهما على كلّ دليل آخر، هذا أعظم أصل عند أهل السنّة والجماعة، فهم هدموا أعظم أصل ثم تأتي وتقول لي: هم من أهل السنّة، ماهذه الفلسفة الفارغة؟ ولا يأتيني أحد يقول: والله إذا خالفوا في مسألة أو مسألتين أو ثلاثة، هذه فلسفة فارغة

أيضاً أخرى، النبي صلى الله عليه وسلم حذّر من الخوارج بمسألة واحدة، عبد الله بن عمر رضي الله عنه حذّر من القدرية وتبرّأ منهم بمسألة واحدة، وهذا ما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم، المسألة ليست عدد، المسألة ليست في العدد، المسألة في صفة المسألة، حقيقة المسألة ما هي؟ المسألة إذا كانت منصوص عليها في أدلة الكتاب والسنة نصوص واضحة وصريحة، نصوص محكمة، ويأتي شخص ويخالفها هذا يشنّ عليه خاصة إذا كانت مسألة من المسائل العقائدية التي حارب عليها السلف رضي الله عنهم ووالوا وعادوا عليها، مثل هذا لا يُسكت عنه ولا يُقال فيه بأنّه من أهل السنة والجماعة، بل من دافع عنه وذبّ عنه وطعن في أهل السنة لأجل هذا، هذا الذي يحذر منه.

قال المؤلف رحمه الله: "وعلى هذا فما ورد إثباته لله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته" لا شكّ في ذلك، هذا هو ديننا، "وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه، مع إثبات كمال ضده" كما تقرر في السابق تماماً، ما أثبتّه الله نثبتّه من أسماء وصفات، ما نفاه الله عزّ وجل عن نفسه من أسماء أو صفات ننفيها عن الله تبارك وتعالى، مع إثبات الضد، فإذا قلنا بأنّ الله سبحانه وتعالى لا يجهل لكمال علمه، لا يموت لكمال حياته وهكذا.

قال: "وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيه" هذه الصورة الثالثة، الأمر الثالث الذي ذكره المؤلف، قال: "وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا ينفي لعدم ورود الإثبات والنفي فيه، وأمّا معناه فيُفصل فيه: فإنّ أريد به حقّ يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإنّ أريد به معنى لا يليق بالله عز وجل وجب ردّه" نوضح الأمر هذا بمثال، نمثّل لكم بلفظ الجهة ومثله لفظ المكان، الآن المتكلمون ينفون الجهة عن الله سبحانه وتعالى، أنت كسني سلفي لا تبادر هنا لا بالنفي ولا بالإثبات، تأتي أول أمر تفعله تبحث في الكتاب والسنة هل ورد لفظ الجهة مثبتاً أو منفيّاً عن الله

سبحانه وتعالى؟ لن تجد شيئاً من ذلك، تمام، هذه الخطوة الأولى، الخطوة الثانية: نقول لهم: لفظ الجهة في الكتاب والسنة لم يرد مثبتاً ولا منفيّاً عن الله فنحن نتوقف فيه، لا ننفيه ولا نثبتته، لكن المعنى نقول لكم: ماذا تريدون بلفظ الجهة؟ حتى نوافقكم أو نخالفكم، فإذا تريدون بلفظ الجهة؟ إن قال المتكلم الذي يتكلم معك: أريد بالجهة شيءٌ موجودٌ مخلوق، نقول له: نحن معك، الجهة منفية عن الله سبحانه وتعالى بهذا المعنى، فهذا المعنى منفي عن الله، الله سبحانه وتعالى ليس في شيء من مخلوقاته، ليس داخلياً في المخلوقات، فننفي عن الله الجهة بهذا المعنى، اللفظ كما قلنا نتوقف فيه، لكن نقول له من حيث المعنى الله سبحانه وتعالى ليس في شيء من مخلوقاته، الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه كلّهم، فليس في شيءٍ منهم، أمّا إن قال: أريد بلفظ الجهة أنّ الله سبحانه وتعالى فوق العالم عالٍ على عرشه فأنا أنفي هذه الجهة، فيقول المتكلم: أنا أنفي الجهة عن الله بهذا المعنى، أي معنى؟ أنّ الله سبحانه وتعالى فوق العالم مستوٍ على عرشه، نقول له: نفيك لهذا المعنى باطل، بل "الرحمن على العرش استوى"، فإذاً قوله هنا الله ليس في جهة باطل بهذا المعنى اللفظ نتوقف فيه كما ذكرنا، لكنّ المعنى هذا نبطله وننفيه عن الله، إذاً يُقال له: إن أردت بالجهة شيءٌ مخلوق فالله ليس في شيء من مخلوقاته، وإن أردت بالجهة أنّ الله فوق العالم، فوق جميع خلقه، فنقول: نعم "الرحمن على العرش استوى"، هذا من خلال ما تعلّمنا من أدلة الكتاب والسنة؛ لأنّ هذا المعنى علوّ الله على خلقه مثبت بأدلة الكتاب والسنة فنثبتته، هكذا نتعامل مع الألفاظ التي يتكلم بها المتكلمون ولم ترد في الكتاب والسنة، أيّ صفة تُثبت لله سبحانه وتعالى تُعرض على الكتاب والسنة فإن أثبتنا أثبتناها وإن نفاهنا نفيناها وإن سكت عنها نتوقف في لفظها ونبحث عن معناها، هل ورد في الكتاب والسنة ما يثبت المعنى المراد أو ينفيه؟ فإن ورد أثبتنا أو نفينا وإلاّ توقفنا، هذا هو ديننا.

قال المؤلف رحمه الله: "فما ورد إثباته لله تعالى الآن يريد أن يُمثّل على الأنواع الثلاثة التي ذكرها، ما أثبتته الله، ما نفاه الله، ما سكت عنه، "كلّ صفة دلّ عليها اسم

من أسماء الله تعالى دلالة مطابقة أو تضمن أو التزام، ومنه كلّ صفة دلّ عليها فعل من أفعاله، كالاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء للفصل بين عباده يوم القيامة، ونحو ذلك من أفعاله التي لا تحصى أنواعها، فضلاً عن أفرادها "وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ" المقصود بأنواعها وأفرادها: مثلاً: فعل الخلق، يخلق الله سبحانه وتعالى الخلق، هذا نوع الفعل، نوع الفعل الخلق، يخلق الله سبحانه وتعالى، خلق زيد: هذا فرد من أفراد الخلق، خلق عمرو فرد آخر من أفراد الخلق، هذا معنى الأفراد والأنواع، الباقي الذي سبق كلّ قد تقدم: دلالة التضمن والمطابقة والالتزام وأخذ الصفة من الفعل كلّ قد تقدم معنا.

قال: "ومنه الوجه والعينان واليدان ونحوها" هذه كلّها نثبتها لأنّ الله سبحانه وتعالى أثبتها لنفسه، "ومنه: الكلام والمشیئة والإرادة بقسميها الكوني والشرعي" الإرادة إرادتان: إرادة كونية، وإرادة شرعية، الإرادة يعني إرادة الله سبحانه وتعالى، نتحدث عن إرادة الله سبحانه وتعالى، الإرادة الكونية: هذه لا بدّ أن تقع، كلّ ما أرادّه الله تعالى كوناً فهذا واقع لا بدّ، إيمان المؤمن أرادّه الله سبحانه وتعالى فوق، كفر الكافر أرادّه الله سبحانه وتعالى كوناً فوق، كلّ ما يقع فهو مراد لله سبحانه وتعالى كوناً لا شرعاً، لأنّه لا يقع شيء في هذا الكون إلّا بمشيئة الله سبحانه وتعالى، والإرادة الكونية هذه هي معنى مشیئة الله سبحانه وتعالى، هي المشیئة نفسها، "وما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين"، أمّا الإرادة الشرعية: فهذه التي يحبّها الله ويرضاها، يعني الإرادة الكونية كلّ ما يقع فهو مريده الله سبحانه وتعالى، سواء مما يحبه أو لا يحبه أو يكرهه، أمّا الإرادة الشرعية: فلا تكون إلّا فيما يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه، كإيمان المؤمن، أمر الله سبحانه وتعالى بالإيمان في شرعه فهي إرادة شرعية، كفر الكافر يبغضه الله سبحانه وتعالى شرعاً ولا يريده ولم يأمر به شرعاً لكن كوناً أرادّه، فالإرادة الكونية والشرعية تجتمعان في المؤمن ولكن تفرقان في الكافر، الكافر كفره أرادّه الله كوناً لكنّه لم يردّه شرعاً، لأنّه نهى عن الكفر في شرعه، في دينه، في كتابه

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، هذا الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية. قال: "ومنه: الكلام والمشية والإرادة بقسميها الكوني والشرعي. فالكونية: بمعنى المشية، والشرعية: بمعنى المحبة" هذا الفرق بين الإرادة الكونية والإرادة الشرعية، يعني الإرادة الكونية بمعنى المشية، يعني كل ما شاءه الله سبحانه وتعالى وقع وحصل، وكل ما يشاؤه الله سبحانه وتعالى يحصل ولا بدّ، أما الإرادة الشرعية بمعنى المحبة: أي ما يحبه الله ويرضاه، وهذا الذي وضعه لنا في كتابه وفي سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، الذي أمرنا به كله يحبه ويرضاه، هذا معنى الإرادة الشرعية.

قال: "ومنه: الرضا والمحبة والغضب والكراهة ونحوها، ومما ورد نفيه عن الله سبحانه لانتفائه وثبوت كمال ضده" هذا النوع الثاني، "الموت والنوم والسنة" السنة: مقدمات النوم، "والعجز والإعياء" التعب، "والظلم والغفلة عن أعمال العباد، وأن يكون له مثل أو كفؤ، أو نحو ذلك"، قال: "ومما لم يرد إثباته ولا نفيه لفظ: (الجهة)، فلو سأل سائل: هل ثبت لله تعالى جهة؟ قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتا ولا نفيا، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أنّ الله تعالى في السماء" مامعنى في السماء؟ ليس معناه أنّ السماء تحيط به، لا، معنى في السماء يعني: في العلو، أي: أنّ الله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه، "وأما معناه فإمّا أن يُراد به جهة سفلى أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به" الآن المؤلف أتى لنا بثلاثة معاني للجهة، قال: إمّا أن يُراد به جهة سفلى، ضدّ العلو، يعني، أو جهة علو تحيط بالله، يعني: مكان مخلوق يحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به.

قال: "فالأول: باطل، لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، والثاني: باطل أيضا، لأنّ الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، والثالث: حقّ، لأنّ الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته".

قال المؤلف: "ودليل هذه القاعدة السمع والعقل" دليل أي قاعدة؟ التي افتتح بها

الكلام: الأدلة التي ثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلا ثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما، دليل هذه القاعدة: قال: "السمع والعقل" يعني: أدلة الكتاب والسنة، والدليل العقلي.

"فَأَمَّا السَّمْعُ: فَمنه قوله تعالى: "وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" الشاهد قوله: "فاتبعوه"، هذا أمرٌ من الله سبحانه وتعالى باتباع ما جاء في كتاب الله تبارك وتعالى في كل شيء، ومن خص شيئاً دون شيء فيلزمه الدليل، وإلا فهذا عام في كل شيء مأمور نحن باتباعه، "وقوله: "فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" الشاهد قوله: "واتبعوه"، فهذا أمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به صلى الله عليه وسلم، "وقوله: "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا" هذا أمرٌ أيضاً بالأخذ بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبترك ما نهانا عنه، "وقوله: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا" هذه أدلة عامة كلها، أدلة عامة تدل على وجوب اتباع كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في كل شيء، ومن ادعى أنها في جانب دون جانب فيلزمه إقامة الدليل على التخصيص، الأصل عندنا العموم، "وقوله: "فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا" فما قال الله سبحانه وتعالى إذا تنازعتم في شيء فردوه إلى العقل، وقال: ولا قال الكتاب والسنة دلالتها ظنية والعقل دلالة يقينية فردوه إلى العقل، هذا باطل كله، "وقوله: "وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ" قال المؤلف: "إلى غير ذلك من النصوص الدالة على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن والسنة، وكل نص يدل على وجوب الإيمان بما جاء في القرآن فهو دال على وجوب الإيمان بما جاء في السنة، لأن مما جاء في القرآن الأمر باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والرد إليه عند التنازع. والرد إليه يكون إليه نفسه في حياته وإلى سنته بعد وفاته" وهذا حق، كل ما جاء في الكتاب والسنة من الأمر

بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وجوب الإيمان بما جاء في القرآن ففيه أمر باتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، كلّ ما جاء فيه وجوب الإيمان بالقرآن ففيه دلالة على وجوب الإيمان بالسنة أيضاً، السنة مكّلة للقرآن لا ينفك أحدهما عن الآخر أبداً، لأنّ الله سبحانه وتعالى في كتابه أمرٌ بالأخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم وبعدم تركها، قال: "فأين الإيمان بالقرآن لمن استكبر عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور به في القرآن؟" يعني: حقيقةً ما آمنوا بالقرآن هؤلاء المتكلمون الذي حكموا عقولهم وتركوا كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعندما تنازعنا معهم في ذلك، ونازعونا فيما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، ما ردّوا إلى الكتاب والسنة كما أمرهم الله سبحانه وتعالى، قال: "وأين الإيمان بالرسول صلى الله عليه وسلم الذي أمر به القرآن لمن لم يقبل ما جاء في سنته؟ ولقد قال الله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" ففيه بيان لكلّ شيء، ومن أعظم الأمور أسماء الله تعالى وصفاته، فكيف لا يبينها؟ وقد بين ما هو أدقّ من ذلك وأصغر، قال: "ومن المعلوم أنّ كثيراً من أمور الشريعة العلمية والعملية العلمية يعني: العقائدية، جاء بيانها بالسنة فيكون بيانها بالسنة من تبيان القرآن".

قال المؤلف: "وأما العقل فنقول: إنّ تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حقّ الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة فالرجوع إلى العقل في أمور كهذه مخالف لما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم ولما كان عليه أصحابه الكرام، ومخالف لهذه الأدلة العامة التي ذكرها المؤلف مما يثبت عندنا يقيناً أنّ القوم ضلّال قد انحرّف بهم الشيطان عن جادة الصواب، فنسأل الله لنا ولكم الثبات على الحقّ، ونحمده تبارك وتعالى أن وفقنا إلى هذا المنهج، ونسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا عليه ويميتنا عليه، وأن يحشرنا مع من اتبعناهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام.

وسبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

الدرس الثالث عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: فقال المؤلف رحمه الله:

"القاعدة الثانية: الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها". كلام المؤلف هنا فيه بعض الاصطلاحات كاصطلاح الظاهر واصطلاح التحريف، وكما نفهم هذا المبحث بشكل جيد لا بدّ أن نعرف بعض الاصطلاحات التي هي من اصطلاحات الأصوليين وتُعرف في دروس أصول الفقه، لكن هنا نحن الآن بحاجة إليها، البعض منكم لم يدرس أصول الفقه بعد، فلذلك نذكر بعض الاصطلاحات ونفسرها كي يتضح كلام المؤلف بشكل جيد، لو مررنا عليها هكذا وشرحنا بشكل سريع سيبقى الأمر فيه شيء من الغموض عند الذين لا يعرفون معاني هذه الاصطلاحات، نحن الآن في الفصل الثالث: "قواعد في أدلة الأسماء والصفات"، القاعدة الأولى ذكرها المؤلف، الآن قاعدة ثانية في أدلة الأسماء والصفات، كيف نتصرف مع الدليل عندما يأتي في مسألة الأسماء والصفات؟ يعني: عندما جاءنا "الرحمن على العرش استوى" هذا دليل شرعي، كيف نتصرف الآن مع هذه الصفة ودلالة هذا الدليل عليها، كما ذكرنا قبل أن نبدأ بذلك الآن نبدأ ببعض الاصطلاحات عند الأصوليين، الاصطلاح الأول الذي نحن بحاجة إلى معرفته هو الظاهر، كما قال المؤلف: "إجراؤها على ظاهرها دون تحريف" فنحن بحاجة إلى معرفة الظاهر ومعرفة معنى التحريف، وإتماماً للفائدة وحتى نتضح الاصطلاحات بشكل كامل نوضح الاصطلاحات عند الأصوليين المستعملة في مثل ذلك، عندنا: النص، والظاهر، والمؤول، والمحرف، هذا ما نحن بحاجة إلى معرفته كي تتم الفائدة وترتسم الصورة في الأذهان بشكل تام ومستقيم.

• النص: فقالوا في تعريفه: ما لا يحتمل إلا معنى واحداً.

• الظاهر: ما احتمال أمرين أحدهما أظهر من الآخر، يعني: أحد المعنيين أقوى من المعنى الثاني.

• المؤول: فهو المعنى الأضعف إلا أنه جعل أقوى بالدليل، هذا يُسمى مؤولاً.

• المحرّف: فهو حمل المعنى على المعنى الأضعف لغير دليل.

وسياقي تفصيل ذلك بالأمثلة إن شاء الله، الأمر الأول عندنا: الدليل الشرعي عندما يأتي إما أن يدلّ على معنى واحد أو على أكثر من معنى، فإن دلّ على معنى واحد فهو الذي يُسمى عند الأصوليين بالنّص، يقول لك: هذا نص في المسألة، يعني انتهى الأمر، ما تحتاج إلى مجادلة وإلى كلام، لأنّه نص في المسألة، يعني: جاء فيها دليل لا يفهم منه إلا معنى واحداً، مثال ذلك: "تلك عشرة كاملة" هل يمكن أن تظنّ أنّ العدد تسعة أو أحد عشر؟ مستحيل، "تلك عشرة كاملة" هذا اللفظ لا يحتمل عندي إلا معنى واحداً، كقول الله تبارك وتعالى: "إني أنا الله لا إله إلا أنا" هذا النّص يعطي معنى واحداً، أنّ الله سبحانه وتعالى هو المعبود بحقّ ولا معبود بحقّ معه أحد، هذا المعنى، فمثل هذا يسمى نصاً، لماذا؟ لأنّ المعنى الذي دلّ عليه واحد لا أكثر، لا يمكن أن تفهم معنى آخر لهذه الجملة، هذا النص، أمّا الظاهر: فيأتيك دليل شرعي يدلّ على معنيين أو أكثر لكنّ أحد المعاني أقوى من المعاني الأخرى، فالمعنى الأقوى يُسمى الظاهر، كقول الله تبارك وتعالى: "أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح"، من الذي بيده عقد النكاح وفكّه؟ الزوج، لكن هذا يحتمل معنى آخر وهو أن يكون الولي أيضاً، لكنّه معنى أضعف، فالسياق يدلّ على أنّه الزوج، وهذا المعنى أقوى، فهذا الآن الدليل "أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح" نقول: الظاهر أنّ المراد منه ماذا؟ الزوج، هذا ما يظهر من الدليل معناه، طيب يحتمل معنى آخر؟ نعم، يحتمل، هل يجوز أن تفهمه على المعنى المرجوح؟ المعنى الأضعف؟ لا يجوز إلا إذا وُجد دليل يُرّجح المعنى الأضعف ويقويه على المعنى الأقوى ويصير أقوى منه، بماذا؟ بالدليل، فيسمى مؤولاً، وهذا الفعل، تقوية المعنى الأضعف على المعنى الأقوى بالدليل يُسمى

تأويلاً عند الأصوليين، يسمى تأويلاً، يُقال: تأول المعنى، تأول الدليل، فالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يدلّ على ذلك، صرف اللفظ عن ظاهره، يعني: عن المعنى الأقوى، وحمله على المعنى الأضعف، لماذا؟ لوجود دليل قوى المعنى الأضعف على المعنى الأقوى، ويسمى تأويلاً، هذا في اصطلاح الأصوليين، التأويل له معاني أخرى ليس موضوعنا الآن، نحن موضوعنا هذا الذي نريده الآن، فالتأويل: صرف اللفظ عن ظاهره لدليل، مثل: قول الله تبارك وتعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" ظاهر الآية، انظر ماذا أقول الآن؟ ظاهر الآية وجوب الوضوء عند كلّ صلاة، لماذا؟ لأنّه قال: "إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا" فأمر بالوضوء عند ماذا؟ القيام إلى الصلاة، هذا ظاهر الآية، وتحتّم أن يكون المراد من ذلك إذا كنتم محدّثين خاصة، لأنّ الوضوء مطلوب منك وأنت محدّث، هذا احتمال لكنّه احتمال ضعيف، يحتاج إلى دليل لحمل الآية على هذا المعنى الثاني لأنّه ضعيف، لأن الأصل عندنا في الأمر الوجوب، وما في عندنا تفصيل في الآية، أنت فصلت الآن، قلت الوجوب على المحدث، وعلى غير المحدث ليس بواجب أن يتوضأ، نلزمك بالدليل لأنّه خلاف ظاهر الآية، الآية ما فيها تفصيل، قال: "يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا": خطاب لجميع المؤمنين المحدثين وغير المحدثين، طيب ماذا نفعل الآن؟ الآن المقرر عندكم في أذهانكم أنّه لا يجب على أحد أن يتوضأ إلّا إذا كان محدّثاً، وهو فقه صحيح، لكن يلزمكم الدليل لحمل الآية على هذا المعنى، ما هو الدليل؟ أنّه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه صلى الصلوات الخمس بوضوء واحد، هذا الدليل جعل المعنى الأضعف وهو الأمر بالوضوء خاص بالمحدثين جعل هذا المعنى أقوى من عموم الوجوب الذي هو ظاهر الآية، واضح؟ هذه المسألة مهمة جداً فهمها، وهي من مباحث أصول الفقه، إذا صار عندنا، نص: وهذا إذا كان الدليل لا يحتمل إلّا معنى واحد، ظاهر: إذا كان الدليل يحتمل معنيين أو أكثر إلّا أن أحد المعاني أقوى من

الآخر فيُسمى القوي ظاهراً، والأضعف يسمى: مرجوحاً ويكون ظاهراً بالدليل، يسمى مؤولاً، ونؤوله، لكن لا بد من دليل لحمل المعنى عليه، لحمل اللفظ عليه لا بد من وجود دليل، إن حملت المعنى على المعنى الأضعف ولم تُوجد دليلاً على ذلك؛ ماذا يسمى هذا؟ يسمى تحريفاً، أنت ممكن تسميه تأويلاً، أنا لا أسلم لك بهذا، لأنني أنا أُلزمك بالدليل الشرعي الصحيح، فإذا ما أتيت بدليل شرعي صحيح فأنت مُحَرَّف ولست مؤولاً، وهذا معنى التحريف، إذاً التحريف هو: صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل، الفرق بينه وبين التأويل، التأويل: صرف اللفظ عن ظاهره لدليل، التحريف: صرف اللفظ عن ظاهره لغير دليل شرعي صحيح، هذا الفرق بين هذه الاصطلاحات، نرجع الآن إلى ما قاله المؤلف رحمه الله.

قال المؤلف: "الواجب في نصوص القرآن و السّنة" النص يأتي على معنيين، على المعنى الذي قدمناه سابقاً وهو أنّ الدليل لا يحتمل من المعنى إلا معنى واحداً، وعلى المعنى الآخر وهو بمعنى الدليل، وهنا بمعنى أدلة القرآن و السّنة، فالواجب في نصوص القرآن و السّنة، أي: في أدلة القرآن و السّنة، "إجراؤها على ظاهرها" يعني: حملها على ظاهرها في المعنى، فإذا جاءنا دليل من القرآن و السّنة، فالأصل أن تفهم الدليل بناءً على ظاهر اللفظ دون تحريفٍ، يعني: دون أن تصرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى آخر إلا إن وجد عندك دليل، إذا لم يوجد عندك دليل فقد حرّفت، وهذا معنى التحريف، قال: "لا سيما نصوص الصفات" يعني لا سيما أدلة الصفات، يعني: أدلة الصفات أولى بذلك وأهمّ في أن تأخذها على ظاهرها، قال: "لا سيما نصوص الصفات حيث لا مجال للرأي فيها" يعني: لماذا أدلة الصفات بالذات هي أهمّ من غيرها في تقرير هذه القاعدة؟ قال: "لأنّه لا مجال للعقل فيها" أمر غيبي، نحن نقف فيها مع ما ورد في الدليل، فلا يمكننا أن نُعمل عقولنا في ذلك، لذلك الواجب إجراؤها على ظاهرها وعدم التلاعب بها، هذا معنى هذه القاعدة، وهي مهمة جداً في الردّ على أهل البدع، فعندما نقول إنّ ظاهر قوله تعالى: "بل يدها مبسوطتان" أن

تكون له يدان لا تماثلان أيدي المخلوقين، فإن قال لك المبتدع: ظاهر هذه الآية التمثيل، إذا أثبت أن لله يدين معنى ذلك أنك تمثل يده بيد المخلوق، نقول له: هذا باطل وأنا لا أسلم لك أن هذا ظاهر ولا يمكن أن يكون ظاهراً، فنصوص الصفات وأدلة الكتاب و السنة لا يمكن أن يكون ظاهرها باطلاً، إلا عند العقول الفاسدة، لأنّ هنا قلنا: "بل يده مبسوطتان" أضفنا اليدين لمن؟ أضفنا اليدين لله، فإذا أضفنا اليدين لله علمنا الفارق بين اليدين اللتين لله تبارك وتعالى و اليدين اللتين للمخلوقين، كما أنك تقول: أمسكت يد الكوب بيدي، هل يلزم من ذلك أن تكون يد الكوب مثل يدك؟ لا والفارق بينهما كبير، كيف حصل الفارق؟ بالإضافة، لما قلت: يد الكوب، إذا علمنا مباشرة الفرق بينها وبين يد الإنسان، فيد الكوب تليق بالكوب، ويد الإنسان تليق بالإنسان، ويد النملة تليق بالنملة، ويد الفيل تليق بالفيل وهكذا، فإذا أضفت اليد إلى شيء صارت مفارقة للشيء الآخر ولا بدّ، إذاً لا يصحّ أن نقول والله ظاهر الدليل التمثيل، أبداً، هذا باطل، لا أسلم معك بأنّ هذا ظاهر، بل ظاهر الدليل إثبات يد لله حقيقة تليق بجلاله وعظمته، هذا هو ظاهر الدليل، لذلك قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" تقول لي والله يلزم من ذلك أن سمعه وبصره كسمع المخلوقين، مستحيل، الآية أولها يرد عليك في هذا "ليس كمثله شيء" و آخرها يثبت الصفة لله سبحانه وتعالى، إذاً أنت تقول هو سميع و بصير و ليس كمثله شيء في سمعه وبصره، فلما أضفت السمع إلى الله سبحانه وتعالى صار مفارق لسمع المخلوقين، مجرد بالإضافة تكفي خلاص انتهى الأمر و ثبت الفارق، فلا يصحّ أن تقول ظاهر أدلة الصفات التمثيل، هذا الفهم السقيم كان سبباً من أسباب ضلال المتكلمين، فهذه القاعدة ردُّ على هؤلاء، فنقول لهم: ظاهر الآية ثبت اليدين لله سبحانه وتعالى، يقول لك: لا، اليدان هنا ليس معناها المعنى الحقيقي، ولكن المراد منهما القدرة أو النعمة، معنى مجازي، نقول له: هل هذا المعنى المجازي الذي ادعيت، هل هو الظاهر من الدليل أم هو من تحريفك؟

فيقول هو ليس ظاهر، قل له: ما هو الدليل إذاً على صرفك للمعنى إلى المعنى الذي ذهبت إليه، لا يوجد عنده دليل شرعي، إنما دليله الأدلة العقلية فقط، يقول لك: العقل لا يفهم يداً إلاّ مثل يد المخلوق وهذا يلزم منه التمثيل، إذاً وجب التحريف، يسميه التأويل، وهذا باطل، هذه طريقتهم في الاستدلال، لذلك الآن أنت بكل سهولة عندما يمرّ معك رجل من الأشاعرة يفسر القرآن و يفسر السنة مباشرة سيحرّف آيات الصفات و أحاديث الصفات إلى معاني هي لوازم للمعنى المراد، هي لوازم و ليست حقائق، يعني عندما تمرّ به بصفة الغضب، يغضب الله سبحانه و تعالى، يقول لك: إرادة الانتقام، معنى الغضب إرادة الانتقام أو الانتقام نفسه، الآن قل له: دعنا من تحريفاتك، هل الغضب هو الانتقام في لغة العرب؟ لا، هو يقرّ بهذا، يقول لك الغضب ليس الانتقام، لكن يلزم من الغضب الانتقام، نحن قلنا لا نتحدث عن اللازم، نتحدث عن الغضب نفسه، معروف هو ماذا في لغة العرب، لأنّه يقول أنا إذا أثبت الغضب الذي هو ظاهر الآية يلزم من ذلك التمثيل، نقول هذا اللازم باطل ليس بلازم، غضب الله سبحانه وتعالى يليق به، وغضب المخلوق يليق به وانتهى الأمر، والواجب حمل الآية على ظاهرها، وهذا أنت تسلم به، هذا الأصل هم أنفسهم يسلمون به فنلزمهم به، يحاول أن يقول لي: أنا حرفته بالدليل، نقول: ما فيه دليل، عقلك هذا ليس بدليل، عقل خربان.

قال المؤلف: "ودليل ذلك" أي دليل هذه القاعدة، "السمع والعقل" أي: أدلة سمعية التي هي أدلة القرآن والسنة، ودليل العقل، "أمّا السمع: فقوله تعالى: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" الشاهد قوله: "بلسان عربي مبين" واللسان العربي يقتضي هذا: حمل اللفظ على ظاهره، "وقوله: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، وقوله: "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ" قال: "وهذا يدلّ على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلاّ أن يمنع منه دليل شرعي" المعنى واضح، يعني: هذه الأدلة تدلّنا على أنّ الواجب هو فهم النصوص بناءً على ما

تدلّ عليه اللغة العربية، ومن طريقة العرب حمل الألفاظ على ظاهرها، قال: "وقد ذمّ الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبين أنّهم بتحريفهم من أبعد الناس عن الإيمان، فقال: "أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" فذمّ الله سبحانه وتعالى اليهود على تحريفهم، فالتحريف مُحَرَّمٌ، والواجب حمل اللفظ على ظاهره، "وقال تعالى: "مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" قال المؤلف: "وأما العقل فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره" يعني: الله سبحانه وتعالى الذي تكلم بهذه النصوص أعلم بمراده، يعني: أعلم بالذي أراده منها، "وقد خاطبنا باللسان العربي المبين" يعني: الواضح البين، "فوجب قبوله على ظاهره، وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة" ويأتي محرف ويدعي أنّ نصوص الصفات ظاهرها كفر، ولا يجوز أخذها على ظاهرها، وهي كثيرة جداً مع ما وصف الله تعالى كتابه بأنه مبين، وبأنّه واضح وظاهر، وبأنّه حقّ، كلّ هذه الأوصاف تناقض ما يدعونه هم من أنّ ظاهر القرآن كفر، ظاهر أدلة النصوص كفر، نعوذ بالله، يقولون ظاهر أدلة الصفات تمثيل، والتمثيل كفر، فكلّ أدلة الصفات التي وردت معنا في الكتاب والسنة ظاهرها كفر! أصبح بعد ذلك إن كان ذلك حقّ أصبح بأن يوصف الكتاب بأنه مبين، بأنه ظاهر، بأنه واضح، بأنه بين، هؤلاء في عقولهم لوثة، والله أعلم.

الدرس الرابع عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فاليوم معنا القاعدة الثالثة من قواعد أدلة الأسماء والصفات، نحن كما بدأنا قبل درسين تقريباً بالفصل الثالث وذكرنا أن هذا الفصل هو معقود لبيان أدلة الأسماء والصفات، فذكر المؤلف القاعدة الأولى، ثم القاعدة الثانية، واليوم معنا القاعدة الثالثة وهي من القواعد المهمة، فهي قاعدة تبيّن لنا الفرق بين أهل السنة والجماعة في فهم صفات الله تبارك وتعالى وما الذي يجب أن نفهمه منها، وما الذي يجب أن نتوقف عنه منها، فبيّن لنا المؤلف ذلك بياناً واضحاً بهذه القاعدة التي معنا اليوم، قال المؤلف رحمه الله:

"القاعدة الثالثة: ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار ومجهولة لنا باعتبار آخر".
بعد أن قرّر المؤلف أن الواجب في نصوص الصفات إمرارها على ظاهرها والإيمان بها بناءً على ذلك، يذكر الآن لنا ما الذي يجب أن يكون معلوماً لنا ونؤمن به، وما الذي يجب أن يكون مجهولاً لأنه مجهول، فيجب أن نعتقد أنه لا علم لنا به ونكلّ عليه إلى الله تبارك وتعالى، هما أمران: قال المؤلف رحمه الله مبيناً لذلك: "فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة" يعني: عندما تقول مثلاً: "الرحمن على العرش استوى" إثبات صفة الاستواء لله سبحانه وتعالى على العرش، الآن هذه الآية: "الرحمن على العرش استوى" ظاهرها أن الله سبحانه وتعالى قد علا وارتفع على عرشه، لماذا قلنا علا وارتفع مع أن الله سبحانه وتعالى قال: استوى؟ لأنّ استوى في لغة العرب معناها: علا وارتفع، وبهذا المعنى فسرها أبو العالية الرياحي رحمه الله، وهو من أئمة التابعين، أخذ عن سبعين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وصح عنه ذلك أنه فسّر الاستواء بالعلوّ والارتفاع، من أين أخذنا معنى استوى: علا وارتفع؟ من اللغة العربية، ومن تفسير السلف الصالح رضي الله عنهم، هكذا أهل السنة

يتعاملون مع أدلة الصفات، إذاً المعنى المقصود لله تبارك وتعالى من هذا اللفظ هو ماذا؟ العلو والارتفاع، فهذا معلوم لنا ونؤمن به، من أين علمناه؟ علمناه بمقتضى اللغة العربية، اللغة العربية تدلّ على ذلك، اللغة العربية التي نزل بها القرآن تقتضي هذا، والسلف رضي الله عنهم فسّروه بذلك، إذاً نحن نمضي خلفهم في ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباعهم وحذّرنا من مخالفة طريقهم، إذاً عندنا ظاهر اللغة العربية يدلّنا على هذا المعنى، والقرآن نزل باللغة العربية، وعندنا أيضاً السلف رضي الله عنهم قد فسّروه بذلك، إذاً معنى الاستواء معلوم لنا أم مجهول؟ هو معلوم لا شك في ذلك، بما ذكرنا من طرق العلم، هذا أمر، أمر آخر: وهو الكيفية، علمنا أنّ الله سبحانه وتعالى استوى على عرشه بمعنى: علا وارتفع، طيب ممكن تقول لي: كيف علا وارتفع؟ كيف استوى؟ نقول لك: هذا الأمر مجهول لنا؛ لأنّنا نحن تبع لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمنهج السلف الصالح رضي الله عنهم، فبحثنا في الكتاب والسنة وفي كلام سلفنا الصالح رضي الله عنهم فلم نجد دليلاً يدلّنا على كيفية الصفة، كيف علا وارتفع؟ لا ندري، كيف هي يده؟ لا ندري، الكيفية بالنسبة لنا مجهولة، المعنى معلوم نؤمن به؛ لكنّ الكيفية مجهولة بالنسبة لنا، تقول لي: كيف يده؟ كيف عينه؟ كيف يعلو على عرشه؟ كيف ينزل؟ نقول لك: ما ندري، الله أعلم، جاءنا الخبر عن الله تبارك وتعالى بهذه الصفات وفهمنا معناها فأمنّا بها، أمّا كيفيتها فما جاءنا في كتاب ولا في سنة ولا وردنا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك نقول: نحن نجهل هذا الأمر ونكلّ علمه إلى الله تبارك وتعالى، وجهلنا هذا وكوننا نكلّه إلى الله سبحانه وتعالى هذا يسمى تفويضاً، نفوض الكيفية لله تبارك وتعالى، لا نعلمها، نقول: الله أعلم بها، لذلك فوضنا الكيفية إلى الله سبحانه وتعالى، فهناك فرق بين أهل السنة وبين نوع من أنواع الأشاعرة، قسم من أقسام الأشاعرة، الأشاعرة قسمان: قسم هم كالمعتزلة في بعض الصفات، إذا جاءتهم الصفة حرّفوها ولم يؤمنوا بها، وقسم آخر: إذا جاءتهم الصفة قالوا: لا نعلم

معناها ولا نعلم كيفيتها، إذاً الفرق بينهم وبين أهل السنة: أنّهم يقولون: نحن نجهل معناها، أهل السنة يقولون: لا، معناها مفهوم معلوم بمقتضى اللغة العربية، تمام؟ لكنّ الكيفية هي المجهولة، هم يقولون: لا، المعنى أيضاً مجهول، فنحن لا نعلمه ونفوض علمه إلى الله سبحانه وتعالى، نقول: هذا باطل، هؤلاء الذين يسمّون من الأشاعرة بالمفوضة، وسيأتي الحديث عنهم إن شاء الله، فالفارق بينهم وبين أهل السنة: أنّ أهل السنة يثبتون معنى الصفة لله سبحانه وتعالى بناءً على مقتضى اللغة العربية وعلى ما فهمه سلفنا الصالح رضي الله عنهم، أمّا الأشاعرة المفوضة هؤلاء فيقولون لك: لا، نكلّ الصفة إلى الله سبحانه وتعالى ونمرّها كما جاءت ولا نتحدث لا عن معناها ولا عن كيفيتها فنحن نجهل هذا كلّ، وهذا مقتضى الجهل، أو هذا تمام الجهل حقيقةً بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الله سبحانه وتعالى ما أنزل إلينا كتاباً وذكر فيه كثير من آيات الصفات حتى نحن نبقي جهالاً فيها ولا نعلم معناها، مع وصفه للكتاب بأنّه مبين، وبأنّه ظاهر، وبأنّه واضح، وبأنّ دلالته حقّ إلى آخره، كلّ هذا يقتضي بأنّ هذه الآيات كلّها مفهومة المعنى، معلوم المراد منها، وسيأتي الكلام إن شاء الله في الردّ على المفوضة، لكنّ المهمّ عندنا الآن هو أن نفهم القاعدة، القاعدة بأنّ المعنى معنى الصفة، معنى اليد؟ اليد مفهومة معروف ما معناها، العين معروف ما معناها، الاستواء معروف ما معناه، مثل هذا، هذا كلّ نحن نعلم معناه ونؤمن به وهو حقّ، لكن تقول لي: الكيفية؟ أقول لك: الكيفية علمها عند الله سبحانه وتعالى، نحن لا نعلمها لأنّ الله سبحانه وتعالى لم يخبرنا بها، وهذا معنى كلام السلف عندما يقولون: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة"، السؤال عن ماذا؟ عن الكيفية، بدعة، لأنّ الرجل عندما جاء وسأل مالك بن أنس رضي الله عنه إمام دار الهجرة عن كيفية الصفة، فقال: "الكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلّا مبتدعاً" وأخرجه من مجلسه، هذه قاعدة ذكرها الإمام مالك رحمه الله، وجاء في كلام السلف ما يؤكدها في أكثر من موضع، وعن أكثر من

إمام، الاستواء معلوم ماذا يعني؟ يعني: معناه معلوم لنا بمقتضى اللغة العربية، وهو العلو والارتفاع، والكيف مجهول: كيفية الاستواء نحن نجهلها ولا نعلمها، لعدم وجود دليل عليها، والسؤال عن الكيفية بدعة: لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم ما تكلم في ذلك، ولا الصحابة سألوا عن ذلك، وأمره محدث، فنحن نكلّ علمه إلى الله تبارك وتعالى ونفوض الكيفية، ليس معنى ذلك أن ليس للصفات كيفيات، لا، لها كيفيات كما مرّ معنا، لكننا نحن نجهلها، قال المؤلف رحمه الله: "فباعتبار المعنى فهي معلومة" يعني: الصفة، إذا نظرنا إلى مسألة المعنى، معناها معلوم "وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة" هذه القاعدة مأخوذة من كلمة الإمام مالك التي ذكرناها "الاستواء معلوم، والكيف مجهول" هذه قاعدة، الإمام مالك رحمه الله كانت له كلمات قليلات لكنها قواعد تأصيلية، رحمه الله وغفر له، كان بجرأاً في العلم، فلذلك كانت كلماته لها أثرها في نفوس العلماء، قال: "وقد دلّ على ذلك: السمع والعقل" بدأ المؤلف يذكر أدلة هذه القاعدة.

قال المؤلف رحمه الله مبيناً الأدلة التي تدلّ على هذه القاعدة التي قررها: "أما السمع" يعني: أدلة الكتاب، القرآن، الأدلة المسموعة، قال: "فمنه قوله تعالى: "تكتب أنزلناه إليك مباركاً ليدبروا آياته و ليتذكر أولو الألباب""، "تكتب أنزلناه إليك مباركاً" يعني: القرآن، كثير البركة، كثير النفع، كثير الخير، "ليدبروا آياته" ليتأملوا في هذه الآيات، فهل ينزل الله لنا قرآناً نتدبر في آياته و معانيها غير مفهومة، غير معلومة، باطل، لا يمكن، كيف نتدبر شيئاً نجهله، لا يمكن، قال: "وليتذكر أولو الألباب" أصحاب العقول، "وقوله تعالى: "إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون"" يعني: أنزل الله سبحانه و تعالى هذا القرآن باللغة العربية، فيفهم على مقتضى اللغة العربية، و معاني هذه الصفات في اللغة العربية واضحة، معلومة، مثل ما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم، قال: "وقوله جلّ ذكره: "وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلهم يتفكرون"" لتبين للناس ما نزل إليهم" يكون في غموض في القرآن و عدم وضوح و

عدم معرفة أدلة و يترك النبي صلى الله عليه و سلم هذا البيان، ما يكون قد أدى ما أمره الله تبارك و تعالى به، باطل هذا.

قال المؤلف: "والتدبر لا يكون إلّا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه" يعني: هذا الشاهد من الآية التي قال الله سبحانه و تعالى فيها: "ليدبروا آياته"، لا يمكن أن تدبر في شيء لا نفهم معناه، قال: "وكون القرآن عربياً يعقله من يفهم العربية يدلّ على أنّ معناه معلوم و إلّا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها" كلام واضح، قال: "وبيان النبي صلى الله عليه و سلم القرآن للناس شاملٌ لبيان لفظه و بيان معناه" هذه دلالة الآية الثالثة، قوله: "والتدبر لا يكون إلّا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه" هذه دلالة الآية الأولى التي ذكرها، قوله: "وَكُونُ الْقُرْآنُ عَرَبِيًّا أو غيرها" هذا دلالة الآية الثانية، قوله: "وبيان النبي صلى الله عليه و سلم القرآن للناس شاملٌ لبيان لفظه و بيان معناه" هذه بيان الشاهد من الآية الثالثة، يعني: عندما قال الله سبحانه و تعالى: "و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس" ما هو البيان المقصود؟ قال: المقصود من البيان: بيان اللفظ و بيان المعنى، فإذا النبي صلى الله عليه و سلم يبين لنا معاني الآيات التي أنزلت علينا و إذا كان وجد شيء فيه غموض فيجب عليه أن يبينه، و قد فعل صلى الله عليه و سلم، و ما ترك شيئاً فيه غموض، انتقل المؤلف بعد ذلك إلى الدليل العقلي، قال: "و أمّا العقل: فلأن من المحال أن يُنزل الله تعالى كتاباً، أو يتكلم رسوله صلى الله عليه و سلم بكلام، يقصد بهذا الكتاب و هذا الكلام أن يكون هداية للخلق" يعني: أنزل هذا الكتاب وأنزل بيان النبي صلى الله عليه و سلم أن يكون هداية للخلق، لماذا أنزل كتابه؟ و لماذا بين النبي صلى الله عليه و سلم ما بينه؟ كي يهتدي الخلق بذلك، قال: "ويبقى في أعظم الأمور و أشدها ضرورة مجهول المعنى" مستحيل، مستحيل أن يُنزل الله سبحانه و تعالى كتابه و يتكلم الرسول صلى الله عليه و سلم بكلام، والله سبحانه و تعالى أراد من إنزال الكتاب أن يجعله هداية للخلق، ثم بعد ذلك يترك البيان فيما هو من أهم ما أنزل

الكتاب لأجله، "ويبقى في أعظم الأمور و أشدّها ضرورة مجهول المعنى" يعني: في أعظم الأمور، أمور العقيدة، الأمور التي تتعلق بأسماء الله و بصفاته تبارك و تعالى، قال: "بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء" يعني: ما معنى مجهول: معناها مثل: ألف و باء و تاء، التي لا تفهم من معانيها شيء، قال: "لأنّ ذلك من السّفه الذي تأباه حكمة الله تعالى" يعني: لا يمكن أن يكون مثل هذا في كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه و سلم، ممكن أن يكون في كلام بشر، سفيه ممكن أن يتكلم بكلام كهذا، لكن أن يُقال في كلام الله سبحانه وتعالى هذا مستحيل، قال: "وقد قال الله تعالى عن كتابه: "كتابٌ أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير"" يعني: كتاب محكم، يعني: متقن ليس فيه خلل و ليس فيه نقص أبداً، يوصف الكتاب بالإحكام و بالبيان و الظهور و الوضوح، ثم بعد ذلك يترك أعظم أمر فيه مجهولاً لا يعرفه الناس! هذا من أخطّ الأقوال و أسقطها، قول المفوضة، أنّ معاني الصفات مجهولة، و المصيبة أنّهم ينسبونه إلى السلف رضي الله عنهم.

قال المؤلف: وهذه دلالة السمع و العقل على ما علمنا بمعاني نصوص الصفات"، نعم. قال: "وأما دلالتهما على جهلنا لها باعتبار الكيفية" [color/]

الآن فيما تقدم هو أدلة السمع والعقل على أنّ معاني أدلة الصفات معلومة لنا، الآن ينتقل إلى الاستدلال على أنّ كيفية الصفات مجهولة لنا، قال: "وأما دلالتهما" يعني: السمع والعقل "على جهلنا لها باعتبار الكيفية فقد سبقت في القاعدة السادسة من قواعد الصفات، وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات، ويدّعون أنّ هذا مذهب السلف، والسلف بريؤون من هذا المذهب، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص إجمالاً أحياناً، وتفصيلاً أحياناً، وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عزّ وجلّ" تقدم معنا في القاعدة السادسة من قواعد الصفات أنّه يلزم في إثبات الصفات التخلي عن محذورين عظيمين: التمثيل والتكييف، وذكرنا هناك الأدلة التي تدلّ على وجوب ترك التكييف، وهي نفسها الأدلة التي

نستدل بها هنا، لذلك عزا المؤلف الأدلة على ما ذكره هنا إلى القاعدة السادسة من قواعد الصفات، فمن أراد فليراجعها، ثم قال: "وبهذا" بهذا التقرير الذي ذكرناه من وجوب الإيمان بمعاني أدلة الصفات، ووجوب ترك الكلام في الكيفية وأنها نجهلها، قال بهذا الذي قررناه: "علم بطلان مذهب المفوضة" من هم المفوضة؟ القسم الثاني من قسمي الأشاعرة، الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري، كان بعد الإمام أحمد رحمه الله، وأبو الحسن الأشعري تنقل تنقلات، عاش وتربى عند زوج أمه وكان معتزلياً، من المعتزلة الذين ينفون الصفات كلها، ثم لما تعلم ودرس انتقل إلى مذهب جديد اخترعه فسُمي باسمه، عقيدة جديدة، عقيدة الأشعرية، الأشاعرة، وهذه القاعدة تنص على الإيمان بأسماء الله تبارك وتعالى والإيمان بسبع صفات من الصفات التي أثبتها الله لنفسه، كالعلم والسمع والبصر وما شابه، ومحدوا بقية الصفات، فالأصل واحد بين الأشاعرة والمعتزلة، لم يترك الأصل الذي تربى عليه وهو: تقديم العقل على النقل، والحكم على أسماء الله وصفاته بالعقل، ثم بعد ذلك بفترة انتقل إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، بعد أن علم بطلان ما كان عليه رحمه الله وغفر له، وقد قرر عقيدة أهل السنة والجماعة في أكثر من كتاب من كتبه، منها رسالة إلى أهل الثغر ومنها أيضاً كتاب مقالات الإسلاميين، ويوجد ثالث أيضاً أظن اسمه الإبانة، فتراجع عن العقيدة التي كان فيها، لكن بقي أصحابه على العقيدة القديمة، العقيدة الأشعرية، العقيدة الثانية التي سلكها، وانتشرت بعد ذلك وكانت هناك أسباب لانتشارها بين الناس منها: الحُكَّام، عندما تبناها بعض الحُكَّام ودعا إليها، ومنها نشاط بعض أتباعه، كالباقلائي، كان سبباً في انتشار الأشعرية في المغرب العربي، ومن الأسباب فساد الناس أيضاً، الكثير منهم، فحصل هذا الأمر وانتشرت هذه العقيدة، وانحرف كثير من الناس عن عقيدة أهل السنة والجماعة، عن العقيدة السلفية التي كان عليها الأئمة كمالك والشافعي وأحمد وغيرهم، فإذا جاءتهم نصوص عن أئمتهم هؤلاء كما ذكرنا عن مالك وعن الشافعي أيضاً نصوص مثلها حرفوها، هم

حرّفوا القرآن على أن يحرفوا نصوص وكلام أئمّتهم لا يصعب عليهم ذلك، خصوصاً مع ضعف التقوى في النفوس واتباع الهوى، المفوضة هؤلاء هم القسم الثاني من قسم الأشاعرة، الأشاعرة هؤلاء انقسموا إلى قسمين: قسم على العقيدة التي ذكرناها: الإيمان بأسماء الله وسبع صفات وحمد البقية، البقية هذه الصفات الأخرى إذا جاءت ماذا يفعلون بأدلتها؟ يحرفونها ويسمونها تأويلاً، قد تقدم شرح هذه الاصطلاحات، يسمونه تأويلاً وهو حقيقة تحريف، هذا القسم الثاني لا يؤوّل، لا يحرف، الآن مثل هذه يقول لك: لا، نحن نمرّ الصفة كما هي ونكلّ علمها إلى الله، لا نعلم معناها ولا كيفيتها، فيقول لك: نجهل كلّ هذا، الآن المحرف إذا جاءته آية الاستواء: "الرحمن على العرش استوى" يقول لك: معنى استوى استولى، حرّفها وغير معناها فهو يؤمن بمعنى محرف، أمّا المفوض فيقول لك: لا معنى لها، نحن لا نعلم معناها، معناها يعلمه الله أمّا نحن لا نعلمه فنكلّ علمها إلى الله سبحانه وتعالى، هذا الفرق بين المؤوّل وبين المفوض، والصواب أن يُسمى محرفاً، ما بين المحرف وما بين المفوض، هذا هو الفرق بينهما، المحرف يؤمن بمعنى هو يثبته، هو يريد، معنى محرف، المفوض لا يؤمن بمعنى أصلاً، يقول لك: نحن نجهله، الله سبحانه وتعالى يعلمه، السنّي السلفي يؤمن بالمعنى الذي أراده الله سبحانه وتعالى، هذا الفرق بين الأقوال الثلاثة، الفرق في معنى اللفظ الذي يدلّ على الصفة، لفظ الاستواء ما معناه؟ الأشعري المحرف يحرف المعنى إلى الاستيلاء، المفوض يقول لك: لا نعلم معناه، السنّي يقول لك معناه: العلوّ والارتفاع، هذا الفرق بينهم، وهذا معنى التفويض، والأشاعرة ينسبون هذا المنهج إلى السلف الصالح رضي الله عنهم، لذلك يقولون في كلامهم: مذهب السلف أسلم ومذهب الخلف أعلم وأحكم، هذه قاعدتهم، ما قدّروا السلف حقّ قدرهم في علمهم رضي الله عنهم وفي تقواهم حتى جعلوا أنفسهم أعلم وأحكم من السلف رضي الله عنهم، وخابوا وخسروا ورغمت أنوفهم وكذبوا والله، من تأمل علم السلف وما وفقهم الله تبارك وتعالى إليه يعلم أنّ هؤلاء لا

يصلحون حتى أن يكونوا طلبة عندهم، هذا مذهب المفوضة، الأمر الذي يهمني هنا الآن أن تعلموا أن هؤلاء يستدلون بدليل على أن هذا المذهب هو مذهب السلف، مذهب التفويض وهو قول كثير من السلف في الصفات، أمروها كما جاءت بغير معنى ولا كيف، هذا هو دليلهم الذي يستدلون به على أن مذهب السلف هو مذهب المفوضة وكيف الرد على هذا؟ ليس لمجرد الرد بل لبيان الحقيقة والواقع.

والرد على هذه الشبهة من وجهين:

الأول: أنه قد جاء في كلامهم التقييد بمعنى الجهمية، يعني: بلا كيف ولا معنى يوافق المعنى الذي قالته الجهمية، فلا نثبت المعنى الذي حرّفته الجهمية وإنما نثبت المعنى الذي أراده الله تبارك وتعالى، هذا ما أرادوه، وقد جاء في كلامهم مقيداً بهذا، منه ما قاله الإمام أحمد رحمه الله، قال: "بلا كيف ولا معنى إلا على ما وصف به نفسه تبارك وتعالى"، وقال آخر: "ولا معنى كمعنى الجهمية"، وهذه القيود تين مرادهم، حتى لا يفهم على ما فهمته عليه المفوضة.

الوجه الثاني: من الرد عليهم في ذلك أنه قد ورد عن السلف تفسيراً لمعاني هذه الصفات في آثار كثيرة رضي الله عنهم، منها قول أبي العالية الرياحي: "الاستواء بمعنى: العلوّ والارتفاع"، ومنها أيضاً ما قاله الإمام مالك: "الاستواء معلوم"، وسنذكر لكم الكثير منها عند شرحنا للعقيدة الواسطية إن شاء الله، قال المؤلف: "وبهذا علم بطلان مذهب المفوضة، الذين يفوضون علم معاني نصوص الصفات" معنى: "الرحمن على العرش استوى" يقول لك: لا نعلم معناه، ويدّعون أن هذا مذهب السلف، و السلف بريئون من هذا المذهب، أي والله كلّ البراءة وقد ذكرنا دليلين على براءتهم، وقد تواترت الأقوال عنهم بإثبات المعاني لهذه النصوص، إجمالاً أحياناً وتفصيلاً أحياناً، هذا ردّ على قولهم، إثبات هذه الصفات من قبل السلف، إثبات معانيها يرد على ما قاله المفوضة، قال: "وتفويضهم الكيفية إلى علم الله عزّ وجلّ" قد ورد عنهم بشكل واضح أنهم كانوا يثبتون المعاني، ولكنهم يفوضون الكيفية، قال المؤلف رحمه

الله: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه المعروف بالعقل و النقل المطبوع على هامش منهاج السنة" وقد طبع في كتاب مستقل، قال: الكلام لشيخ الإسلام "وأما التفويض فمن المعلوم أنّ الله أمرنا بتدبر القرآن و حضّنا على عقله و فهمه" يعني: على تعقله و فهم معناه، فكيف يجوز مع ذلك أن يُراد منّا الإعراض عن فهمه و معرفته و عقله على ما تقوله المفوضة، إلى أن قال: "وحيثُ لا يكون ما وصف الله به نفسه في القرآن، أو كثير مما وصف الله به نفسه لا يعلم الأنبياء معناه، بل يقولون كلاماً لا يعقلون معناه" هذا لازم قولهم، قال المؤلف: "قال: شيخ الإسلام رحمه الله "و معلوم أنّ هذا قدح في القرآن و الأنبياء"، طعنٌ فيهم، "إذ كان الله أنزل القرآن و أخبر أنّه جعله هدى، و بياناً للناس، و أمر الرسول أن يبلغ البلاغ المبين، و أن يبين للناس ما نزل إليهم، و أمر بتدبر القرآن و عقله و مع هذا فأشرف ما فيه وهو ما أخبر به الربّ عن صفاته لا يعلم أحد معناه، فلا يعقل ولا يتدبر، ولا يكون الرسول بين للناس ما نزل إليهم، ولا بلغ البلاغ المبين، و على هذا التقدير فيقول كلّ ملحد و مبتدع: الحقّ في نفس الأمر ما علمته برأبي و عقلي"، بما أنّ الأمر كذلك، فكلّ واحد يستطيع أن يدّعي هذه الدعوة، قال: "و ليس في النصوص ما يُناقض ذلك، لأنّ تلك النصوص مشكلة متشابهة" بناءً على قولهم: و لا يعلم أحد معناها، "وما لا يعلم أحد معناه لا يجوز أن يُستدل به، فيبقى هذا الكلام سداً لباب الهدى و البيان من جهة الأنبياء، و فتحاً لباب من يعارضهم و يقول: إنّ الهدى و البيان في طريقنا لا في طريق الأنبياء لأننا نحن نعلم ما نقول، و نبينه بالأدلة العقلية، و الأنبياء لم يعلموا ما يقولون، فضلاً عن أن يبينوا مرادهم، فتبين أنّ قول أهل التفويض الذين يزعمون أنّهم متبعون للسنة و السلف من شرّ أقوال أهل البدع و الإلحاد" اهـ" وهذا كلام شيخ الإسلام هو الذي لخصّه الشيخ ابن عثيمين سابقاً في الردّ، قال: "إنّتهى كلام الشيخ و هو كلام شديد، من ذي رأي رشيد، و ما عليه مزيد، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وجمعنا به في جنات النعيم" نسأل الله أن يرحم شيخ الإسلام و أن يرحم الشيخ محمد بن صالح

العثيمين في ذبّهم عن عقيدة أهل السنّة و الجماعة، و في هذه المؤلفات النافعة التي
أنار الله سبحانه وتعالى بصيرة الكثير من العباد بها، فرحمهم الله و غفر لهم، وأسأل
الله أن يأجرنا معهم، و أن يأجرهم و أن يغفر لنا و لهم.
و سبحانه اللهم و بحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك و نتوب إليك

الدرس الخامس عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:
فمعنا اليوم القاعدة الرابعة وهي آخر القواعد في هذا الفصل.
قال المؤلف رحمه الله: "القاعدة الرابعة: ظاهر النصوص ما يُتبادر منها إلى الذهن من المعاني".

ظاهر النصوص: تقدم معنا تعريف ما هو الظاهر، طيب عرفنا الظاهر ما هو، فيجب أن نعلم أن ظاهر النص هو ما يتبادر إلى الذهن من المعاني، يعني: ما يسبق إلى ذهنك من معنى، أول ما تقرأ النص ما الذي تفهمه منه؟ أول فهم يغلب إلى الذهن فهذا هو المعنى الظاهر، وإن احتمل معنى آخر فلا يكون ظاهراً، هذا معنى كلام المؤلف، قال: "وهو يختلف بحسب السياق وما يُضاف إليه الكلام" يختلف بحسب السياق يعني: حسب الجملة التي تذكرها، الكلام تضعه في جملة تامة، من خلال الموضوع ومن خلال الجملة يفهم الظاهر، كيف سقت الكلام؟ في أي موضوع وضعته؟ في أي جمل ركبته؟ هذا كله يدلّك على المعنى المراد من الكلام، قال: "فالكلمة الواحدة يكون لها معنى في سياق ومعنى آخر في سياق" أي: في سياق آخر، هي كلمة واحدة لكن إذا وضعتها في جملة ووضعيتها في موضوع معين وسقتها فيه يكون لها معنى، وإذا وضعتها في موضع آخر يكون لها معنى آخر، قال: "وتركيب الكلام يفيد معنى على وجه ومعنى آخر على وجه" كيفية تركيب الكلام، إذا هذه قرائن تدلّك على الظاهر من اللفظ، سيمثل معنا المؤلف أمثلة تتضح بها الصورة، قال: "لفظ (القرية) مثلاً يُراد به القوم تارة، ومساكن القوم تارة أخرى" هي لفظة واحدة، عندما تذكر لك القرية ما المراد منها؟ هي من الألفاظ المشتركة، تطلق على سكان القرية، وتطلق على الجدران والمباني التي في القرية، طيب عندما تأتي في جملة كيف تفهمها؟ بناءً على سياق الجملة يتضح لك ظاهر المعنى المراد، قال: "فمن الأول"

يعني: معنى القرية المراد القوم، قال: "فمن الأول قوله تعالى: "وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً"" انظر الآن لفظ القرية هذا، جاء في هذا السياق، الآن هذه الجملة وهذا التركيب يدلنا على ماذا؟ على معنى القرية، لماذا نحمل القرية هنا على معنى القوم لا على معنى المساكن، الجدران والبنيان؟ قال تعالى: "وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً" من الذي يستحق الهلاك والعذاب؟ يستحقه الناس الذين عصوا الله سبحانه وتعالى ولم يطيعوه، فهم الذين يستحقون العذاب، لذلك فسرنا القرية هنا بمعنى القوم، قال: "ومن الثاني" يعني: بمعنى المساكن، قال: "قوله تعالى عن الملائكة ضيف إبراهيم: "إنّا مهلكوا أهل هذه القرية"" ماذا يريد بالقرية هنا؟ يريد المساكن، يريد الجدران والبنيان الموجودة في القرية، يعني: إنّا مهلكوا الناس الذين يسكنون في هذه المساكن، وهذا السياق دلّنا على ذلك، فلها قال: "أهل هذه القرية" عرفنا أنّه يريد بالقرية المساكن، لا يمكن لأحد أن يفهم هنا أنّ القرية المقصود بها القوم، ولا أن يفهم في الآية السابقة أنّ القرية المقصود بها المساكن، إذاً المعنى الذي غلب إلى الذهن وسبق في الأول: هو القوم، وفي الثاني: هو المساكن، هذا مراد المؤلف، قال: "وتقول: صنعت هذا بيديّ، فلا تكون اليد كاليد في قوله تعالى: "لما خلقت بيديّ" لأنّ اليد في المثال أُضيفت إلى المخلوق فتكون مناسبة له، وفي الآية أُضيفت إلى الخالق فتكون لائقة به، فلا أحد سليم الفطرة صريح العقل يعتقد أنّ يد الخالق كيد المخلوق أو بالعكس" ما الذي فرق الآن بين قوله: صنعت هذا بيديّ، وقول الله تبارك وتعالى: "لما خلقت بيديّ"؟ قال هنا في الأول: قال بيدي، وفي الثاني قال: بيدي، لكن الذي جعلنا نفهم المفارقة بين هذه اليد وهذه اليد هي الإضافة، لما أضاف اليد في الأول إلى المخلوق علمنا أنّها يد ناقصة تليق بالمخلوق، ولما أضاف اليد في الثانية للخالق علمنا أنّها يد كاملة تليق بالخالق تبارك وتعالى، فحصلت المفارقة بماذا؟ بالإضافة، لما أضاف اليد إلى المخلوق علمنا أنّها يد تناسبه، ولما أضاف اليد إلى الخالق علمنا أنّها يد تناسب الخالق

تبارك وتعالى، إذاً لا تُماثل اليد باليد الأخرى، قال: "ونقول: ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك، فتفيد الجملة الثانية معنى غير ما تفيده الأولى مع اتحاد الكلمات، لكن اختلف التركيب فتغير المعنى به" إذاً التركيب المقصود به: التقديم والتأخير في الكلام، ترتيب الكلمات ووضعها في الجملة على نسق معين يدلنا على معنى من المعاني المرادة، انظر إلى هذه الكلمات: ما عندك إلا زيد، وما زيد إلا عندك، نفس الكلمات، ما عندك إلا زيد: واحد اثنين ثلاثة أربعة، هي نفسها في الثانية، (ما) و (زيد) و (والأ) و (عندك) لكن التركيب في التقديم والتأخير تغير فتغير معنى الجملة، في الأولى: ما عندك إلا زيد: تنفي وجود أي أحد عنده إلا زيد فقط، أما الثانية: فهي ثبت وجود زيد عنده ولا تنفي وجود غيره، قال المؤلف: "إذا تقرر هذا فظاهر نصوص الصفات ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني" هذه خلاصة الموضوع، ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني، وما الذي يجعل معنى من المعاني يسبق إلى الذهن عن المعنى الآخر؟ هي القرائن التي ذكرها المؤلف: التركيب، والإضافة، والسياق، هذه كلّها قرائن تدلّك على ظاهر المعنى المراد، قال: "وقد انقسم الناس فيه إلى ثلاثة أقسام: يعني: المعنى الظاهر، "القسم الأول: من جعلوا الظاهر المتبادر منها معنى حقاً يليق بالله عزّ وجلّ وأبقوا دلالتها على ذلك، وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم" هذا كلام جميل، الذين أخذوا بظاهر النصوص وجعلوا الظاهر هو ما يتبادر منها إلى الذهن هم أهل السنة والجماعة، فأبقوا دلالتها على ما ظهر منها، وآمنوا به وصدّقوا وسلّموا لله تبارك وتعالى، ولم يُقدّموا عقولهم على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاحظ آخر جملة من كلام المؤلف جميلة جداً، ركّزوا عليها واحفظوها، قال: "والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم" هذا ردٌّ على الممبغة الذين يحاولون إدخال الأشاعرة في أهل السنة والجماعة، هذا باطل، الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة، المؤلف هنا ماذا يقول

لك؟ يقول لك: لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا على من؟ على الذين اتبعوا السلف الصالح رضي الله عنهم، قال: "وهؤلاء هم السلف الذين اجتمعوا على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، والذين لا يصدق لقب أهل السنة والجماعة إلا عليهم" هؤلاء الذين يُسمون بأهل السنة والجماعة، أمّا من قدّم العقل وجعله هو المعنى الصحيح وأبطل معنى نصوص الأدلة وحرف ظواهرها وادّعى أنّ ظواهرها باطلة فأراد أن يحرفها، هذا ليس من أهل السنة والجماعة، أيُّ أهل سنة؟! هو ما يعظم السنة، ما يعترف بالسنة أصلاً في هذه الأمور، فإمّا أن يقول لك ضعيفة، أو أن يقول لك أخبار آحاد لا يؤخذ بها في الاعتقاد، أو إذا كانت متواترة تُحرف، أيُّ أهل سنة هذا؟!

قال المؤلف: "وقد أجمعوا على ذلك، كما نقله ابن عبد البر" أجمعوا على ماذا؟ على الإقرار بظواهر النصوص، والإيمان بالصفات التي دلّت عليها، الذين هم السلف، قال: "و قد أجمعوا على ذلك كما نقله ابن عبد البر فقال: أهل السنة مُجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلّها في القرآن الكريم و السنة، و الإيمان بها، و حملها على الحقيقة، لا على المجاز" كما يقوله أهل التعطيل من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية والكلابية، كلّهم يقولون أنّ أدلة الصفات هذه مجازية، يعني أنّ ظاهرها و معناها الحقيقي غير مراد و إنّما المراد منها معنى آخر، فيُحرفونه، قال: "إلا أنّهم لا يُكيّفون شيئاً من ذلك" يعني: الكيفية يكلونها إلى الله سبحانه وتعالى، "ولا يحدّون فيه صفة محصورة" أهـ قال: "وقال القاضي أبو يعلى في كتاب إبطال التأويل: لا يجوز ردّ هذه الأخبار، ولا التشاغل بتأويلها" يعني: تحريفها، "والواجب حملها على ظاهرها و أنّها صفات الله لا تشبه صفات سائر الموصوفين بها من الخلق، ولا يعتقد التشبيه فيها لكن على ما روي عن الإمام أحمد و سائر الأئمة" أهـ، نقل ذلك عن ابن عبد البر والقاضي شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية من مجموع الفتاوى لابن قاسم".

قال: "وهذا هو المذهب الصحيح و الطريق القويم الحكيم و ذلك لوجهين:

الأول: أنه تطبيق تام لما دلّ عليه الكتاب والسنة من وجوب الأخذ بما جاء فيهما من أسماء الله وصفاته كما يعلم ذلك من تتبعه بعلم وإنصاف.

الثاني: أن يقال إن الحق إما أن يكون فيما قاله السلف، أو فيما قاله غيرهم" يعني: الحق لا يخلو إما أن يكون هذا أو هذا، قال: "والثاني باطل في قول غير السلف لأنه يلزم منه أن يكون السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان تكلموا بالباطل تصريحاً أو ظاهراً، ولم يتكلموا مرة واحدة لا تصريحاً ولا ظاهراً بالحق الذي يجب اعتقاده" أي: يلزم هذا القول وهو لازم باطل، قال: "وهذا يستلزم أن يكونوا إما جاهلين بالحق وإما عالمين به لكن كتموه، وكلاهما باطل، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم" يعني: بما أن هذا القول لازم لتغليط الصحابة، أو القول بأن الصحابة تكلموا بالباطل، إذا كان يلزم عليه لازم باطل، إذاً فالقول باطل، قال: "فتعين أن يكون الحق فيما قاله السلف دون غيرهم" وهذا هو الحق، هذا دليل عقلي.

قال المؤلف: "القسم الثاني: من جعلوا الظاهر المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه وأبقوا دلالتها على ذلك وهؤلاء هم المشبهة، ومذهبهم باطل محرم من عدة أوجه" الآن ذكر القسم الأول وهم أهل السنة والجماعة الذين فهموا ظواهر النصوص كما أرادها الله تبارك وتعالى وعلى مقتضى اللغة العربية بالقرائن المذكورة معها من السياق والإضافة والتركيب وفهموها فهماً صحيحاً واتبعوا فيها سلفهم الصالح رضي الله عنهم، وهؤلاء هم أهل الحق وذكر الأدلة على ذلك، ثم يذكر القسم الثاني من الناس وهم: المشبهة، ثم القسم الثالث وهم المعطلة، وهؤلاء المشبهة ماذا فعلوا؟ قالوا: ظواهر نصوص الصفات تدل على أن صفات الله مشابهة لصفات المخلوقين، فجعلوا ظواهر نصوص القرآن والسنة كفر، لأن التشبيه كفر، فهم يجعلون الآن ظواهر النصوص كفر، فيقولون ظواهر النصوص تدل على ماذا؟ على تشبيه صفات الله بصفات خلقه، وهذا الأصل قد توافق فيه المشبهة والمعطلة، إلا أن المشبهة التزموا بهذا الظاهر وقالوا بالتشبيه، والمعطلة قالوا: هذا الظاهر باطل، إذاً يجب

تأويله، يعني يجب تحريفه، أصلهم واحد، أمّا أهل السنّة فلم يوافقوا على هذا، قالوا: هذا باطل، الظاهر لا يمكن أن يكون كفراً، لا يمكن أن يكون باطلاً، أنتم فهمتم فهماً سقيماً، ظواهر النصوص لا تدلّ على ذلك، لو فهمتم قول الله تبارك وتعالى: "ليس كمثله شيء" وهو السميع البصير" فهماً صحيحاً مستقيماً لما أدى بكم ذلك لا إلى التشبيه ولا إلى التعطيل، قال المؤلف: "الأول:" يعني كلامهم هذا باطل من وجوه، الآن ما هو الباطل؟ باطل أن يكون ظاهر النصوص يدلّ على التشبيه.

قال: "الأول: أنه جناية على النصوص وتعطيل لها عن المراد بها، فكيف يكون المراد بها التشبيه وقد قال الله تعالى: "ليس كمثله شيء" مستحيل، لا يمكن، لكن الخلل في عقولهم.

"الثاني: أنّ العقل دلّ على مباينة الخالق للمخلوق في الذات والصفات" المباينة يعني: المفارقة تماماً، المخلوق له ذات وصفات تليق بنقصه، والله سبحانه وتعالى له ذات وصفات تليق بكماله، قال: "فكيف يُحكم بدلالة النصوص على التشابه بينهما؟" لا يمكن هذا، لا عقلاً ولا شرعاً.

قال: "الثالث: أنّ هذا المفهوم الذي فهمه المشبه من النصوص مُخالف لما فهمه السلف منها فيكون باطلاً" إذاً لماذا؟ لأنّ السلف أعمق علماً وأغزر وأفهم لخطاب الله سبحانه وتعالى ولمراد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبما أنّهم لم يفهموا منها هذا الذي فهمته أنت أيها المشبه، إذاً فهمك باطل يجب عليك أن ترجع فهمك إلى فهمهم، قال: "فإن قال المشبه: أنا لا أعقل من نزول الله ويده إلّا مثلها للمخلوق من ذلك، والله تعالى لم يخاطبنا إلّا بما نعرفه ونعقله، فجوابه من ثلاثة أوجه" يعني: الردّ عليه من ثلاث وجوه، ويبدأ المؤلف بذكرها:

قال المؤلف: "أحدها: أنّ الذي خاطبنا بذلك هو الذي قال عن نفسه: "ليس كمثله شيء" الذي خاطبنا بأدلة الصفات كنزول الله سبحانه وتعالى، ينزل الله سبحانه وتعالى في الثلث الأخير من الليل إلى السماء الدنيا، والذي خاطبنا بصفة اليمين أيضاً

"بل يده مبسوطتان"، "ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي"، من الذي خاطبنا بهذه الأدلة التي تدلّ على الصفات؟ هو الله سبحانه وتعالى، وهو أيضاً القائل: "ليس كمثله شيء" وعندما تريد أن تفهم كلام المخاطب، يجب عليك أن تأخذ بكلّ كلامه، لا تأخذ بجزئية وتترك جزئية أخرى، كلام الله سبحانه وتعالى كلّ حقّ، ليس فيه شيء من الباطل، ولا يعارض بعضه بعضاً ولا يتناقض مع بعضه، لأنّه كلام من عند العزيز الحكيم العليم، فإذاً عندما تجد آية في أول القرآن وآية في آخر القرآن يجب عليك أن تفهمهما بناءً على أنّ قائلهما ربّ العالمين تبارك وتعالى، فلا يمكن أن يكون بينهما تناقض واختلاف أبداً إلّا في عقلك، فيما أنّ الله سبحانه وتعالى قال ينزل الله إلى السماء الدنيا وأخبر بأنّ له يدين، وأخبر بأنّ له عينين، وأخبر بأنّه سميع عليم حكيم متكلم إلى آخره، بما أنّه أخبرنا بهذا وقال لنا: "ليس كمثله شيء" علمنا من ذلك أنّ هذه الصفات ثابتة له وأنها لا تماثل صفات المخلوقين، انتهى الأمر، الأمر واضح، قال: "ونهى عباده أن يضربوا له الأمثال" "فلا تضربوا لله الأمثال"، "أو يجعلوا له أنداداً" يعني: أمثال أيضاً، "فقال: "فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"، وقال: "فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ"، وكلامه تعالى كلّ حقّ، يصدّق بعضه بعضاً ولا يتناقض" هذا هو، الدليل الثاني، قال: "ثانيها: أن يُقال له: أأنت تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟" هذا الدليل عقلي من أجل أن نقنع هذا الإنسان، نقول له الآن أنت تقول بأنّ لله سبحانه وتعالى ذاتاً لا تشبه ذوات المخلوقين؟ "فسيقول: بلى" هذه بلى تُقال جواب لسؤال منفي، أمّا جواب السؤال المثبت تقول: نعم، لأنّك إذا قلت في السؤال المنفي: نعم، معنى ذلك أنّك تثبت نفيه، لا تثبت إثباته، قال: "أأنت تعقل لله ذاتاً لا تشبه الذوات؟" إن كان يعقل ذلك فيقول: بلى، وإن كان لا يعقل ذلك فيقول: نعم، قال: "فسيقول: بلى". فيقال له: فلتعقل له صفات لا تشبه الصفات" يعني: كما أنّك تقول بأنّ له ذاتاً ونحن لنا ذوات، وذواتنا تخالف ذات الله سبحانه وتعالى وليست مثلها، كذلك قل في الصفات وينتهي الأمر، "فإنّ

القول في الصفات كالقول في الذات، ومن فرق بينهما فقد تناقض".
"ثالثها: أن يُقال: أُلست تشاهد في المخلوقات ما يتفق في الأسماء ويختلف في الحقيقة والكيفية؟" من حيث الواقع هذا موجود، انظر إلى النملة والفيل، من حيث الصفات: النملة لها يد والفيل له يد، فهل هما متشابهان، قال: "فسيقول: بلى. فيُقال له: إذا عقلت التباين بين المخلوقات في هذا، فلماذا لا تعقله بين الخالق والمخلوق" يعني: إذا فهمت وأدركت بأنّ هناك اختلافاً بين المخلوقات عندما تُسمى بنفس الاسم أو توصف بنفس الصفة وبينهما اختلاف كبير، فلماذا لا تفهم أيضاً أن هناك اختلافاً كبيراً بين صفة الخالق وصفة المخلوق حتى وإن اتحدت التسمية بالاسم أو بالصفة، قال: "مع أنّ التباين بين الخالق والمخلوق أظهر وأعظم، بل التماثل مستحيل بين الخالق والمخلوق، كما سبق في القاعدة السادسة من قواعد الصفات".

قال المؤلف: "القسم الثالث" الآن وصلنا إلى القسم الذي هو أكثر انتشاراً من القسم السابق، المشبهة قليل، أمّا المعطلة فكثير، هذا القسم شرّه عظيم، وانتبهوا الآن إلى اتفاقهم في الأصل واختلافهم في كيفية التعامل مع هذا الأصل وهو جعلهم ظواهر النصوص تدلّ على التشبيه، هذا متفق بين المشبه والمعطلة، لكن المشبهة قبلوا بهذا وسلموا واعتقدوا، والمعطلة نفروا منه فردّوا أدلة الكتاب والسنة وحرفوها لأجل ذلك.
قال المؤلف: "القسم الثالث: من جعلوا المعنى المتبادر من نصوص الصفات معنى باطلاً لا يليق بالله، وهو التشبيه" نفس الذين سبقوا، لكنهم استنكروا هذا، "ثم إنهم من أجل ذلك أنكروا ما دلّت عليه من المعنى اللائق بالله. وهم أهل التعطيل، سواء كان تعطيلهم عاماً في الأسماء والصفات" كالجهمية: لا يثبتون اسماً ولا يثبتون صفة لله سبحانه وتعالى، "أم خاصاً فيهما" تعطيل خاص في الأسماء وخاص في الصفات كالمعتزلة، "أو في أحدهما" كالأشاعرة وغيرهم، قال: "فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عینوها بعقولهم" يعني: حرفوا النصوص عن ظواهرها وأتوا لها بمعانٍ من عندهم، فقالوا: معنى استوى: استولى، معنى اليد قالوا: النعمة أو القدرة وما

شابه، فصاروا يتلاعبون بنصوص الكتاب والسنة، فحرفوا الكثير والكثير جداً من نصوص الكتاب والسنة، لا يمكن هذا، لا يمكن أن تكون الكثير من أدلة الكتاب والسنة ظواهرها غير مرادة لو عقلوا هذا، لأنّ هذا يُنافي وصف القرآن بأنّه محكم وبأنّه ظاهر وبأنّه بين، وبأنّه حجة على الخلق، كيف هذا؟! يعني: لو كانت هذه الظواهر غير مرادة، يعني أقل الأحوال ترد ولو آية واحدة تقول بأنّ هذا الظاهر غير مراد حتى يزول الإشكال، فما ورد شيء، ولا هو من الفصاحة بمكان أن يكون هذا الحال، قال: "فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عینوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً" سموه تأويلاً لأنّه صرف للفظ عن ظاهره لدليلهم العقلي، والدليل الشرعي ما فيه، إنّما أدلّتهم العقلية الفاسدة أصلاً حتى عقلاً هم أنفسهم يضطربون ويختلفون، كلّهم يتحاکمون إلى العقل في هذا، لماذا اختلفوا واضطربوا؟ قال: "وسموا ذلك تأويلاً وهو في الحقيقة تحريف" لماذا؟ لعدم وجود الدليل، لأننا قلنا الفرق بين التأويل والتحريف، صرف اللفظ عن ظاهره مع وجود دليل شرعي صحيح يسمى تأويلاً، أمّا صرف اللفظ عن ظاهره لغير وجود دليل يسمى تحريفاً.

نقف هنا لأنّ المؤلف سيطيل الكلام في الردّ على هذه الفرقة، نؤجله للدرس القادم إن شاء الله.

الدرس السادس عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد وقفنا عند القاعدة الرابعة من قواعد أدلة الأسماء والصفات، وذكر المؤلف في هذه القاعدة معنى الظاهر، قال: "ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني" ثم ذكر أنّ الظاهر يختلف عند أهل السنة عنه عند المشبهة والمعتلة، فذكر أقساماً ثلاثة للناس في المعنى الظاهر الذي يتبادر إلى الذهن من معنى نصوص الأسماء والصفات، فذكر لنا معنى الظاهر عند أهل السنة والجماعة وذكر معناه عند المشبهة، ووصلنا عند ذكر معناه عند المعتلة وبدأ بالرد عليهم، ذكر أنّ معناه عند المعتلة هو بنفس المعنى الذي ذهب إليه المشبهة، والمشبهة قد التزموا بهذا المعنى وشبهوا صفات الله سبحانه وتعالى بصفات خلقه، وأمّا المعتلة فلها رأوا بأنّ هذا هو الظاهر فيما ظهر لهم بسبب ما عندهم من ضلال، أرادوا أن يفروا منه لأنّهم يعلمون أنّه محرّم، تشبيه الله سبحانه وتعالى بصفات المخلوقين حرام، فلها اعتقدوا أنّ الظاهر من صفات الله كفر، أرادوا أن يفروا منه، تصوروا أنّهم يعتقدون ظواهر أدلة الشرع كفر، أعوذ بالله من هذا الخذلان، على كل حال هذا الذي اعتقدوه، فهنا بعد أن اعتقدوا ذلك أرادوا أن يفروا من هذا الأمر فحرفوا أدلة الأسماء والصفات حتى يتخلصوا من معانيها، كلّ بطريقته، الجهمية والمعتلة والأشاعرة كلّ واحد منهم قد سلك طريقاً في ذلك، وتخطوا تخطئاً شديداً جداً حتى فيما بينهم، المعتزلة أنفسهم تجد لهم مذاهب، الجهمية كذلك، الأشاعرة كذلك، تجد من الأشاعرة من يثبت من الصفات أكثر مما يثبته الآخر، وكلّ يدّعي أنّ ما أثبتته العقل يثبته، لأنّ العقل لا زمام له في هذه الأمور، لذلك حصل هذا التخطئ الذي هم فيه اليوم، لكن كلّهم أصلهم واحد: تقديم العقل على النقل، نصوص العقل عندهم يقينية، نصوص النقل عندهم ظنيّة، واليقيني يُقدّم على الظنيّ، هذا هو طاغوتهم الذي حملهم على

الكفر بكثير من نصوص الكتاب والسنة وعدم الإيمان بها، الآن المؤلف يرد على هؤلاء المعطلة، فقال رحمه الله: "ومذهبهم باطل من وجوه: أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له" هذا الأمر الأول جناية على النصوص، يعني: جنوا على نصوص الله سبحانه وتعالى، ارتكبوا في حقها إثماً عظيماً، لماذا؟ لأنهم جعلوها دالة على معنى باطل غير اللائق بالله سبحانه وتعالى بل معنى كفري، تشبيه الله سبحانه وتعالى بخلقه كفر، فقالوا بأن نصوص الأسماء والصفات ظاهرها كفر غير لائق بالله سبحانه وتعالى، لذلك أرادوا أن يفروا منه، فعطلوا الأدلة وعطلوا صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه، قال: "الوجه الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره" يعني: عندما قالوا مثلاً استواء الله سبحانه وتعالى بمعنى العلو والارتفاع، هذه ظاهرها باطل إذاً ظاهرها كفر يجب أن نصرف ظاهرها عن حقيقته إلى معنى الاستيلاء مثلاً، فمثل هؤلاء قد صرفوا ظاهر النص عن حقيقته لغير دليل، قال المؤلف: "والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والني صلى الله عليه وسلم خاطبهم بأفصح لسان البشر، فوجب حمل كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يُصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عز وجل" وهذا قد قدمنا الكلام عليه، قال المؤلف رحمه الله: "الثالث: أن صرف كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قول على الله بلا علم، وهو محرم لقوله تعالى: "قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ"" إذاً حرم ربّي أن تقولوا على الله ما لا تعلمون، وتحريف هذه النصوص التي وردت في الكتاب والسنة هو قول على الله بلا علم، لأنه لا دليل عليه فيكون بلا علم، قال: "ولقوله سبحانه: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"" إذاً لا يجوز للإنسان

أن يتكلم في أمر لا علم له به، قال رحمه الله: "فالصارف لكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم عن ظاهره إلى معنى يخالفه قد قفا ما ليس له به علم، وقال على الله ما لا يعلم من وجهين:

الأول: أنه زعم أنه ليس المراد بكلام الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كذا، مع أنه ظاهر الكلام" يعني: قال ليس المراد من كلام الله وكلام رسوله الاستواء بمعنى العلو والارتفاع، مع أن ظاهر الكلام معناه العلو والارتفاع، قال: "الثاني: أنه زعم أن المراد به كذا" يعني: معنى الاستواء: الاستيلاء، فصرفه عن معناه الحقيقي إلى معنى آخر، قال: "أنه زعم أن المراد به كذا لمعنى آخر لا يدلّ عليه ظاهر الكلام" ظاهر الكلام لا يدلّ على أن معنى الاستواء الاستيلاء ومع ذلك هو صرفه إلى هذا المعنى، قال المؤلف: "وإذا كان من المعلوم أن تعيين أحد المعنيين المتساويين في الاحتمال قول بلا علم، فما ظنك بتعيين المعنى المرجوح المخالف لظاهر الكلام" ما معنى هذا الكلام؟ يعني: يقول المؤلف عندما نأتي إلى قول الله سبحانه وتعالى: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" يعني: هذا بالنسبة للمطلقات، القراء هو الحيض والطهر في لسان العرب، لما رجعنا إلى لسان العرب وجدنا أن القراء عندهم معناه: الطهر ومعناه أيضاً الحيض، معنيان متضادان، هل نحمل الآية على الطهر أم على الحيض، لما وجدنا في الآية أنهما متساويان لا يوجد راجح ومرجوح عند العرب، العرب تستعمل القراء بمعنى الحيض وبمعنى الطهر، ليس عندهم معنى أرجح من معنى آخر، هل يجوز لك هنا أن تحمل معنى الآية على الطهر أو على الحيض من غير دليل شرعي، لا يجوز، مع أن الآية تحتل المعنيين فلا يجوز لك أن تُرجح أحدهما على الآخر من غير دليل، فكيف إذا كانت الآية تحتل معنى أرجح من الآخر، وتأتي أنت وتصرف المعنى من الراجح إلى المرجوح، وتقول المرجوح هو معنى الآية، ومن غير دليل، هذا أمر أعظم من الأول، هذا معنى كلام المؤلف رحمه الله، قال: "مثال ذلك: قوله تعالى لإبليس: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِيَّ" الله سبحانه وتعالى كرم آدم وخلق به يديه، يعني:

لو كان المقصود باليدين هنا القوة أو النعمة لا يعترض إبليس وقال أنا أيضاً خلقتني بقوتك، لكن معنى اليدين هنا: اليدين الحقيقيتين، ثم هذه اليد مثناة، وهذه فيها دلالة صريحة على أنّ المعنى: اليدين الحقيقيتين، وهذه الآية أوضح آية في وصف الله سبحانه وتعالى باليدين، قال: "فإذا صرف الكلام عن ظاهره وقال: لم يُرد باليدين اليدين الحقيقيتين، وإنما أراد كذا وكذا" من القوة أو النعمة أو غير ذلك من الصفات التي تأتي فيها ذكر اليدين "قلنا له: ما دليلك على ما نفيت؟" ما هو دليلك على أنّ المراد هنا ليست اليدين الحقيقيتين؟ قال: "وما دليلك على ما أثبت" ما دليلك على أنّ المعنى القوة مثلاً، "فإن أتى بدليل وأنى له ذلك" يعني من أين يأتي بدليل، ما عنده دليل، لو عنده دليل لقلنا بقوله، لكن ما عندهم أدلة، وإلا لكان قائلاً على الله بلا علم في نفيه وإثباته، هذا الوجه الثالث من أوجه الرد على المعطلة، ثم يبدأ بالوجه الرابع.

قال المؤلف: "الوجه الرابع: في إبطال مذهب أهل التعطيل أنّ صرف نصوص الصفات عن ظاهرها مخالف لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها، فيكون باطلاً لا شكّ بأنّه باطل، لماذا؟ لأنّ الحق لا يمكن أن يخرج عن هؤلاء، النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن اتبعهم بإحسان، لا يمكن للحق أن يخرج عنهم، لأنّ الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ الحق في كل زمن من الأزمان تبقى طائفة ترفع راية الحق فيه وتبقى أصواتهم عالية، ليقم الحجّة بهم على خلقه، هذه سنة الله في خلقه، وخصوصاً القرون الثلاثة الأولى، قال المؤلف: "لأنّ الحق بلا ريب فيما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وسلف الأمة وأئمتها" هذا أمر واضح.

ثم قال المؤلف: "الوجه الخامس: أن يُقال للمعطّل: هل أنت أعلم بالله من نفسه؟ فسيقول: لا، ثم يُقال له: هل ما أخبر الله به عن نفسه صدق وحق؟ فسيقول: نعم، ثم يُقال له: هل تعلم كلاماً أفصح وأبين من كلام الله تعالى؟ فسيقول: لا، ثم يُقال له: هل تظن أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُعمّي الحق على الخلق في هذه النصوص

ليستخرجوه بعقولهم؟ فيقول: لا "لأنَّ الله سبحانه وتعالى قد بينَّ في كتابه وفي سنَّة نبيه صلى الله عليه وسلم أنه أراد أن يُظهر الحقَّ، ما أراد أن يعمِّيه وأن يخفيه عليهم، قال: "هذا ما يُقال له باعتبار ما جاء في القرآن" هذا بناءً على ما جاء في القرآن، أمَّا إذا جاء في السنَّة، قال: "أمَّا باعتبار ما جاء في السنَّة فيُقال له: هل أنت أعلم بالله من رسوله صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: لا، ثم يُقال له: هل ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله صدق وحقّ؟ فيقول: نعم" أمَّا إذا خالف في ذلك كفر، "ثم يُقال له: هل تعلم أنَّ أحداً من الناس أفصح كلاماً وأبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقول: لا، ثم يُقال له: هل تعلم أنَّ أحداً من الناس أنصح لعباد الله من رسول الله؟ فيقول: لا، فيُقال له: إذا كنت تقرّ بذلك، فلماذا لا يكون عندك الإقدام والشجاعة في إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه وأثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم على حقيقته وظاهره اللائق بالله؟ وكيف يكون عندك الإقدام والشجاعة في نفي حقيقته تلك وصرفه إلى معنى يُخالف ظاهره بغير علم؟" يعني: يكون عندك الإقدام والشجاعة على صرف حقيقة النصوص عن ظاهرها ولا يكون عندك إقدام وشجاعة على إثبات ما أثبت الله لنفسه وما أثبتته له رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "وماذا يُضريك إذا أثبت الله تعالى ما أثبتته لنفسه في كتابه أو سنَّة نبيه على الوجه اللائق به، فأخذت بما جاء في الكتاب والسنَّة إثباتاً ونفيّاً؟" ما الذي يضرُّك في ذلك؟ لن يضرَّك شيء، بل ستسلم في نفسك في الدنيا وفي الآخرة، قال: "أفليس هذا أسلم لك وأقوم لجوابك إذا سُئلت يوم القيامة: "ماذا أجبتكم المرسلين؟" أوليس صرفك لهذه النصوص عن ظاهرها وتعيين معنى آخر مخاطرة منك؟ فلعلَّ المراد يكون على تقدير جواز صرفها غير ما صرفتها إليه" يعني: لو سلّمنا لك أنَّ الأمر كما تظن بأنَّ الظاهر أنَّ صرفها هو الصحيح، فما أدراك أن يكون ما ظننته خطأ؟!.

قال: "الوجه السادس: في إبطال مذهب أهل التعطيل أنه يلزم عليه لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدلّ على بطلان الملزوم" يعني: إذا قلت بقول له لازم وكان هذا اللازم

باطلاً يدلّ على أنّ قولك باطل، فتنّبه لهذا، "فمن هذه اللوازم: أولاً: أنّ أهل التعطيل لم يصرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها إلّا حيث اعتقدوا أنّه مستلزم أو موهّم لتشبيه الله تعالى بخلقه، وتشبيه الله تعالى بخلقه كفر لأنّه تكذيب لقوله تعالى: "ليس كمثله شيء"، قال نعيم بن حماد الخزاعي: أحد مشايخ البخاري رحمهما الله: "من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً" اهـ، ومن المعلوم أنّ من أبطل الباطل أن يجعل ظاهر كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم تشبيهاً أو كفراً أو موهماً لذلك "الكلام واضح، إذا كان هذا هو اللازم فإذا الملزوم يكون باطلاً، هم بنوا أصلاً كلّ باطلهم على هذا المعنى.

قال: "ثانياً: أنّ كتاب الله تعالى الذي أنزله تبياناً لكلّ شيء، وهدى للناس، وشفاء لما في الصدور، ونوراً مبيناً، وفرقاً بين الحقّ والباطل لم يبين الله تعالى فيه ما يجب على العباد اعتقاده في أسمائه وصفاته، وإنّما جعل ذلك موكلاً إلى عقولهم، يثبتون لله ما يشاؤون وينكرون ما لا يريدون، وهذا ظاهر البطلان" هذا يلزم من كلامهم ومن تصرفهم، أنّ الله سبحانه وتعالى مع أنّه وصف كتابه بأنّه ظاهر، وبأنّه محكم، وبأنّه نور، وبأنّه شفاء إلى آخره، يلزم من ذلك أنّ هذا كلّّه إمّا باطل أنّه ليس هو كما وصفه الله سبحانه وتعالى، أو أنّ هذا الكتاب هو هكذا ولكنّه قد أبطل الله سبحانه وتعالى ما قاله في أدلة الصفات وخالف في ذلك، أعوذ بالله من قولهم هذا، قال: "وإنّما جعل ذلك موكلاً إلى عقولهم" يعني: مستحيل أن يكون هذا، أن يكون الكتاب موصوفاً بما وصفه الله سبحانه وتعالى به ثم يترك البيان في الصفات؟! هذا أمر مستحيل، وهذه من أقوى اللوازم التي نلزمهم بها.

قال: "ثالثاً: أنّ النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدين وأصحابه وسلف الأمة وأئمّتها كانوا قاصرين أو مقصّرين في معرفة وتبيين ما يجب لله تعالى من الصفات أو يمتنع عليه أو يجوز إذ لم يرد عنهم حرف واحد فيما ذهب إليه أهل التعطيل في

صفات الله تعالى وسموه تأويلاً، وحينئذٍ إمّا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الراشدون وسلف الأمة وأئمتها قاصرين لجهلهم بذلك وعجزهم عن معرفته، أو مقصّرين لعدم بيانهم للأمة، وكلا الأمرين باطل "وهذا أمر واضح، بما أنّه لم يأت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن السلف الصالح رضي الله عنهم ما قالته المعطلة، يدلّ ذلك على أنّ قولهم باطل، لأنّه يلزم منه أحد أمرين: إمّا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد غشّوا الأمة وخدعوههم بعدم بيان هذا الأمر العظيم، أو أنّهم كانوا يجهلونّه، وكلا الأمرين باطل.

قال: "رابعاً: أنّ كلام الله ورسوله ليس مرجعاً للناس لما يعتقدونه في ربّهم وإلههم، الذي معرفتهم به من أهم ما جاءت به الشرائع، بل هو زبدة الرسالات، وإنّما المرجع تلك العقول المضطربة المتناقضة وما خالفها، فسيبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً إن لم يتمكنوا من تكذيبه" هذا واضح، هم جعلوا الآن أدلة العقل مقدمة على أدلة النقل، وجعلوا كلام الله و كلام رسوله صلى الله عليه وسلم يدلّ على الباطل، فتركوه و رجعوا إلى عقولهم المضطربة، و أي شيء عندهم يخالف هذه العقول، فسيبيله التكذيب إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً، أو التحريف الذي يسمونه تأويلاً، يعني: إمّا أن يتمكنوا من تكذيب الدليل، أو تحريفه، يعني ماذا يفعلون هم بأدلة الشرع؟ وضعوا قاعدة خبر الآحاد لا يؤخذ به في العقيدة، وبذلك تخلصوا من الكثير من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لكن بقيت عندهم بقية، وهي ماذا؟ وهي أخبار الآحاد التي احتفت بالقرائن، هذه تفيد اليقين، قالوا: لا، أخبار الآحاد كلّها تفيد الظنّ، وبذلك تخلصوا من جميع أخبار الآحاد، بقي عندهم مشكلة في المتواتر من أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، وفي أدلة القرآن، هذه أدلة لا يمكنهم تكذيبها لا من قريب ولا من بعيد، فماذا فعلوا معها؟ سلّطوا عليها سيف التحريف، حرّفوها و غيروا معانيها كي يتخلصوا منها، لأنّ عندهم القاعدة و الضابط في الأمر، أنّ هذه الأدلة ظنيّة الدلالة، يعني ما تدلّ عليه ليس يقينياً، فيه

احتمال أن يكون على غير ذلك، والعقل دليله يقيني فما يستنتجه العقل فهو حق قطعاً، وما يفهم من أدلة القرآن وأدلة الأحاديث المتواترة فهو ظني يتطرق إليه احتمال الخطأ ولا بدّ، هكذا عندهم أصولهم، هذه الأصول الطاغوتية، التي ردّوا بها أدلة الكتاب والسنة في صفات الله سبحانه وتعالى، فافهمها جيداً، هذا هو أصلهم الذي بنوا عليه، ردّوا أدلة الكتاب والسنة، المعطل مقتنع معك أنّ معنى الاستواء ليس هو الاستيلاء وأنّ معنى اليدين ليست القوة ولا النعمة في كثير من المواطن، وفي كثير من المواطن لا تحتمله أصلاً هذا المعنى، وأنّ معنى العينين كذلك، وهكذا، هو مقتنع تماماً فيما يفعل معك في هذا، لكن الذي يصده على أن يقول بقولك هو هذه القاعدة التي معنا، يقول لك: هذه الأدلة هي ظاهرها هكذا نعم أنا معك، لكن ظاهرها هذا باطل، لأنّ العقل خالفها، والعقول مضطربة، نقول: أي عقل هذا، عقل الجهمي وإلا عقل المعتزلي وإلا عقل الأشعري وإلا عقل الماتريدي وإلا عقل الكلابي، عقل أي منكم؟ أنتم عقولكم تضطرب، وتتخط مع أنكم جميعاً على قاعدة واحدة، ثم أنتم فيما بينكم أيضاً تتخطون، المعتزلي يخالف المعتزلي والأشعري يخالف الأشعري وهكذا، كيف نجعل ديننا وشريعتنا وما نعتقد في ربنا نسله لعقولكم المضطربة؟! لا يمكن، نسلم نحن ديننا لكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، نجو عند الله، لأنّ الله أمرنا بهذا، يوم أن نقف بين يدي الله سبحانه وتعالى بعقيدتنا هذه نقول لربنا سبحانه وتعالى: قد استجبنا لأمرك، أمرتنا بالتسليم لكتابك وسنة نبيك صلى الله عليه وسلم في كلّ شيء، فسلّمنا وآمنا واتبعنا نبيك، واتبعنا أصحابه الكرام رضي الله عنهم، حجتنا قوية والحمد لله، هذا ما نقف به بين يدي الله سبحانه وتعالى، هم بماذا سيقفون بين يدي الله سبحانه وتعالى؟ ماذا سيقولون؟ حكّمنا عقولنا عليك وعلى صفاتك، نعوذ بالله.

قال المؤلف: "خامساً: أنّه يلزم منه جواز نفي ما أثبتته الله ورسوله، فيقال في قوله تعالى: "وجاء ربك" أنّه لا يجيء، وفي قوله صلى الله عليه وسلم: "ينزل ربنا إلى السماء

الدنيا"، أنّه لا ينزل "أيّ تكذيب أعظم من هذا يا جماعة؟! أيّ تكذيب أعظم من هذا؟ يلزم من تحريف المعطلة لأدلة الأسماء والصفات هذا اللازم، وهو حق، ما قاله الشيخ حق، هذا لازم وهم يلتزمون به، "وجاء ربك" يقولون: ما يجيء الله سبحانه وتعالى، ينزل يقولون: الله لا ينزل، استوى، لا، الله لا يستوي، له يدان، لا، ليس له يدان، هكذا تكذيب صريح، ماذا تريد أكثر من هذا؟ نسأل الله العافية والسلامة، قال: "لأنّ اسناد المجيء والنزول إلى الله هذا مجاز عندهم" هذا الذي سمّاه ابن القيم رحمه الله: طاغوتاً، طاغوت ماذا؟ طاغوت المجاز، ما معنى المجاز عندهم؟ استعمال اللفظ في غير ما وضع له، هذا المجاز عندهم، استعمال اللفظ في غير ما وضع له يسمونه مجازاً، تجوّز في الكلام، بمعنى أنت عندما تطلق على الرجل الشجاع أسد، يقولون لك الأسد أصلاً هل وُضع للرجل الشجاع، وُضع ليدل على الحيوان المفترس، لكن أنت استعملت هذا اللفظ في غير ما وضعته له العرب، هذا معنى المجاز عندهم، هذا معنى المجاز، لذلك يقول لك: أدلة الصفات كلّها مجاز، يعني حقيقتها غير مرادة، انظر عندما يقول لك حقيقة أدلة الصفات غير مرادة أدلة الأسماء والصفات حقيقتها غير مرادة، ماذا يعني هذا؟ يعني أنّ القرآن ليس بين، وليس واضحاً، وليس شفاءً للصدور، ولا هو مبيناً للحق من الباطل، إذ إنّ حقائقه غير مرادة، وهذا يفتح باباً عظيماً من أبواب الشرّ والفساد، تشكيك الناس في دينهم وفي قرآنهم بمثل هذا الكلام، ويفتح المجال حتى للباطنية الذين يقولون: إنّ القرآن له ظاهر وباطن، قال: "لأنّ إسناد المجيء والنزول إلى الله مجاز عندهم، وأظهر علامات المجاز عند القائلين به صحة نفيه" هذه قاعدة مهمة، وهي من أعظم ما ردّ به القائلون بنفي المجاز، وأنّه لا مجاز في القرآن، اللذين يقولون بالمجاز قالوا باتفاق: المجاز يجوز نفيه، بالاتفاق، ما معنى يجوز نفيه؟ يعني تقول عن الرجل الشجاع أسد، للآخر أن يقول لك: لا هو ليس أسد بل هو رجل شجاع، فأنت نفيت، يجوز نفيه هذا، ولا يوجد في القرآن شيء يجوز نفيه، نعوذ بالله، قال: "ونفي ما أثبتته الله ورسوله من أبطل الباطل، ولا يمكن

الانفكاك عنه بتأويله إلى أمره لأنّه ليس في السياق ما يدلّ عليه "يعني لا يمكن أن نقول: "وَجَاءَ رَبَّكَ" وجاء أمر ربّك، ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا، ينزل أمره، لماذا؟ سياق الكلام الذي ذكره الله سبحانه وتعالى لا يدلّ على ذلك، ونحن ذكرنا أنّ الظاهر يفهم من خلال السياق، من خلال التركيب، وهذا ليس موجوداً فيه، فلا يصحّ أن تحرّفه إلى هذا المعنى، كيف وقد جاء في بعض المواضع جمعٌ بين مجيء الله سبحانه وتعالى و مجيء أمره، ففرّق بين هذا وهذا، يعني بعض الأدلة يكون فيها ردود زائدة عن القواعد التي ذكرت، كما مرّ معنا في السابق.

نكتفي بهذا القدر لأنّه انتهى من النقاط الخمس التي تلزم أهل التعطيل، سيبدأ المؤلف بذكر أنواع المعطلة من: الجهمية والمعتزلة والأشاعرة وما هي أقوالهم، ونؤجل ذلك إلى الدرس القادم بإذن الله تعالى، وفقنا الله وإياكم لطاعته.

الدرس السابع عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فمازلنا في القاعدة الرابعة، قاعدة: "ظاهر النصوص ما يتبادر منها إلى الذهن من المعاني" ذكر المؤلف رحمه الله هذه القاعدة وذكر معنى ما هو ظاهر من الأدلة عند أهل السنة والجماعة، وما هو ظاهر عند المشبهة، وما معنى الظاهر عند المعطلة، ثم قال المؤلف رحمه الله بعد أن بين الظاهر عند أولئك القوم ورد عليهم، قال: "ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات" عرفنا من هم المعطلة، هم الذين يعطلون صفات الله سبحانه وتعالى ولا يثبتونها لله تبارك وتعالى، فتقول: له يد، يقول لك: ليس له يد، تقول: يرضى ويحب، يقول لك: لا يرضى ولا يحب، هؤلاء هم المعطلة، يعطلون صفات الله سبحانه وتعالى ولا يثبتونها له، قال: "ثم إن من أهل التعطيل" وهؤلاء المعطلة أقسام ليسوا كلهم على نفس العقيدة، بل هم أقسام، وإن كان أصلهم واحد، الذي هو تقديم العقل على النقل، وإثبات الصفات لله بالعقل ونفياً عنه بالعقل، هذا هو أصلهم جميعاً، لكن بعد ذلك يختلفون فيما بينهم فينقسمون إلى أقسام، قال: "ثم إن من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات" يعني: أنه جعل القاعدة التي قررها تنطبق على جميع صفات الله سبحانه وتعالى فأدى به ذلك إلى نفي جميع الصفات، وهؤلاء الذين يثبتون الأسماء وينفون الصفات هم المعتزلة، أصحاب واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، هؤلاء المعتزلة يثبتون الأسماء لله سبحانه وتعالى لكنهم ينفون عنه الصفات، فيقول: هو السميع البصير لكنه سميع بلا سمع بصير بلا بصر وهكذا، فيثبتون الاسم دون الصفة، هؤلاء يسمون المعتزلة، ورؤوسهم: واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد، قال: "أو تعدى إلى الأسماء أيضاً" لم ينف الصفات فقط ويطرد قاعدته فيها بل وأيضاً حتى في أسماء الله سبحانه وتعالى، والذين نفوا أسماء الله سبحانه وتعالى ونفوا صفات الله سبحانه وتعالى هؤلاء

يُقال لهم: الجهمية، وهؤلاء أتباع الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، وهما أول من أتى بهذه البدعة، وهي بدعة أهل الكلام من تقرير العقائد بالعقل وإثبات ما أثبتته العقل ونفي ما نفاه العقل، فأول من أتى بهذه البدعة هم هؤلاء القوم، ثم بعد ذلك انقسموا من داخلهم إلى معتزلة وأشاعرة وماتريدية، وإلى آخريه...، فهؤلاء الذين صار يخصهم اسم خاص بهم هم: الجهمية ينفون الأسماء والصفات عن الله سبحانه وتعالى فلا يثبتون لله اسماً ولا صفة، فقال لهم أهل العلم: أنتم لا تثبتون إله! أنتم تثبتون عدماً! ما هو الشيء هذا الذي لا اسم له ولا صفة؟! الشيء الذي لا اسم له ولا صفة هو الشيء المعلوم، ما هو موجود، لذلك كفرهم جمع كبير جداً من أهل العلم، كفروهم، لأنّ مؤدى كلامهم إلى نفي وجود الله تبارك وتعالى، هؤلاء هم الجهمية الذين ينفون أسماء الله وصفاته، والمعتزلة يثبتون الأسماء وينفون الصفات، وهؤلاء أيضاً من أهل العلم من ذهب إلى كفرهم، ومنهم الإمام الكبير العلامة الشيخ ابن باز رحمه الله، يذهب إلى كفر هذه الطائفة أيضاً، لأنّ مؤدى كلامهم أيضاً إلى تعطيل الله سبحانه وتعالى عما أثبت لنفسه من صفات بالكلية، يعني إثبات الأسماء بعد ذلك لا معنى له فيؤدي إلى ما أدى إليه قول الجهمية، هذه الفئة الثانية، ونبه على أمر: أنّ بعض أهل العلم أحياناً يطلق كلمة الجهمية على معنى عام، على معنى جميع المتكلمين الذين يقدّمون العقل على النقل، وينفون صفات الله سبحانه وتعالى عنه إمّا نفياً جزئياً أو نفياً كلياً، فيطلق هذا الاسم على الجهمية وعلى المعتزلة وعلى الأشاعرة وعلى الكلائية وعلى الماتريدية، إلى آخريه...، كلّ هؤلاء يدخلون في لفظ الجهمية، فتارة يطلقون لفظ الجهمية ويريدون به من نفى الأسماء والصفات خاصة، ذكرنا الآن الجهمية والمعتزلة، فينتقل الآن المؤلف، قال: "ومنهم من تناقض" التناقض هذا مشكلته مشكلة في العلم، اليوم كثير، لأنّه كلّما عَظُم الجهل في مسائل الاعتقاد كثر التناقض، فلذلك تجد شخص مثلاً اليوم يقرر لك أنّ الإيمان اعتقاد وقول وعمل ثم بعد ذلك يأتي ويقول لك: الكفر هو التكذيب فقط، تناقض عجيب جداً، عند اسم

الإيمان يقرر عقيدة أهل السنة والجماعة، وعندما يأتي اسم الكفر يقرر عقيدة المرجئة، هذا تناقض واضح جداً، يعني حتى المبتدعة القدامى ما كانوا يتناقضون هذا التناقض، عندهم الأمور مطردة، إذا عرّف الإيمان بأنه اعتقاد وقول وعمل قال الكفر يكون بالتكذيب ويكون بالاعتقاد ويكون بالعمل، وإذا عرّف الإيمان على أنّه التصديق قال الكفر هو التكذيب، لأنّ الأمر مرتبط ببعضه ببعض، فالكفر هو نقيض الإيمان، هذا تعريفه عند الجميع، فإذا عرّفت الإيمان بأنه اعتقاد وقول وعمل، يكون عندك الكفر أيضاً اعتقاد وقول وعمل، إذا عرّفت الإيمان على أنّه تصديق تُعرّف الكفر على أنّه تكذيب، وهكذا، اليوم صار عندنا تناقضات كثيرة بسبب التعمق في الجهل في مسائل الاعتقاد، والسبب في ذلك أنّ كثيراً ممن تصدر للكلام في أمور الاعتقاد هو لم يأخذها عن أهل العلم، لذلك أنا أنصح طلبة العلم إذا أرادوا أن يدرسوا العقيدة عند شخص ينظروا عند من درس، إن درس عند عالم سنّة هذا يكون قد أخذ العقيدة بشكل سليم، يؤتمن جانبه ما لم يظهر منه خلاف ذلك، لكن إن درس عند عالم بدعة أو لم يدرس إلّا على الكتب فهذا أمره خطير، كن منه على حذر، ما ندري هل فهم الكتب بشكل صحيح، ما فهمها بشكل صحيح، الذي أخذه عن المبتدع ذاك أكيد أخذه بشكل مبتدع على نفس ما أخذه من شيخه، هل استطاع أن يعدّل، ما استطاع أن يعدّل هذه الأمور كلّها تحتاج إلى نظر، هذا هو أمر العقيدة بالذات أمر خطير، يعني ما تسلم عقيدتك لأيّ أحد، لا بدّ من هذا الأمر أن تتحقق منه، قال: "ثم إنّ من أهل التعطيل من طرد قاعدته في جميع الصفات فنفي جميع الصفات أو تعدّي إلى الأسماء أيضاً" فنفي الأسماء والصفات، القسم الأول هم المعتزلة، القسم الثاني هم الجهمية، "ومنهم من تناقض" اضطرب، تحبّط "فأثبت بعض الصفات دون بعض" أثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر، "كالأشعرية" الذين يثبتون سبع صفات منها: الحياة والعلم والسمع والبصر إلى آخره...، "والماتريدية" وهؤلاء يثبتون ثمان صفات، يزدون على الأشاعرة صفة، والبعض قال: هم يختلفون

عن الأشاعرة في اثني عشرة مسألة من المسائل فقط، والبعض زاد والبعض نقص، المهم هو أعظم فارق يعرفون به عن الأشاعرة أنّهم يثبتون ثمان صفات، يزدون صفة التكوين إضافة إلى ما يثبته الأشاعرة، والأشاعرة يثبتون سبع صفات، هذا المشهور عنهم، وإن كنت تجد خلافات فيما بينهم في الداخل لكن المشهور عنهم هو هذا، وهذا ذكره بعض من ينتمي إليهم، قال: ثبت سبع صفات ولا ثبت غيرها، الماتريدية كما ذكرت لكم يثبتون ثمان صفات، الأشاعرة أتباع أبي الحسن الأشعري، الماتريدية أتباع أبي منصور الماتريدي، والأشاعرة نسبة إلى قبيلة الأشعرين، والماتريدية نسبة إلى مدينة موجودة في بلاد ما وراء النهر، يعني من بعد إيران، هؤلاء الأشعرية والماتريدية أثبتوا ما أثبتوه بحجة أنّ العقل يدلّ عليه، لماذا أثبتتم صفة العلم، صفة السمع، صفة البصر، صفة الحياة، صفة الإرادة، صفة الكلام، لماذا أثبتتم هذه الأشياء؟ قالوا: هذه قد أدركها العقل، قد أثبتها العقل، لأنّ هذا هو ضابطهم، انظر هذا ضابط القوم، أنّ ما أثبتته العقل ثبتته وما لم يثبتته العقل لا ثبتته، لكن اختلفوا في العقل، ما الذي يثبتته وما الذي لا يثبتته، ثم بعد ذلك يقول لك: العقل دليله يقيني لا شكّ فيه، كيف يقيني وقد اختلفتم؟ بل ربّما أنتم أنفسكم الأشاعرة تختلفون فيما بينكم في الصفات التي يثبتها العقل والصفات التي لا يثبتها العقل، إذاً أي يقين هذا؟ إنّما هي أوهام تعلقتم بها ولبّس عليكم الشيطان بها فانجرتم خلفه فقط، هذه حقيقة الأمر، قال: "أثبتوا ما أثبتوه بحجة أنّ العقل يدلّ عليه، ونفوا ما نفوه بحجة أنّ العقل ينفيه، أو لا يدلّ عليه" هذه قاعدتهم التي اتفقوا عليها جميعاً، جهمية، معتزلة، أشاعرة، ماتريدية، كلّ أهل الكلام المتكلمون هؤلاء، الذين يسمون بأهل الكلام، هؤلاء كلّهم قاعدتهم هذه.

قال المؤلف: "فنقول لهم: نفیکم لما نفیتموه بحجة أنّ العقل لا يدلّ عليه، يمكن إثباته بالطريق العقلي الذي أثبتتم به ما أثبتتموه، كما هو ثابت بالدليل السمعي" يعني: أنتم الآن أثبتتم صفة السمع والبصر لأنّ العقل يدركها ويثبتها، ونفیتم صفة الرضا وصفة الحبّ

عن الله سبحانه وتعالى، قلم العقل لا يدركها، العقل لا يثبتها لله سبحانه وتعالى، وقال لهم المؤلف ما نفيتموه بحجة أنّ العقل لا يدلّ عليه يمكن إثباته بالطريق العقلي أيضاً، يعني: أنتم قلم الآن العقل لا يثبتته، نحن نقول: لا، العقل يثبتته، العقل يثبتته ويجعله حجة ثابتة عنده، العقل يثبت هذه الأشياء، الآن النزاع صار بيننا وبينهم في ماذا؟ هل العقل يثبت هذه الصفة، يعني مثلاً صفة الرضا هل يثبتها العقل أم لا؟ هم يقولون لا يثبتها، الآن السني السلفي يقول: العقل يثبتها، وإن كنا نحن لسنا بحاجة لنجادهم بهذه الطريقة، لأن إقامة الحجة على القوم تكفي في أن ثبت لهم وجودها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تقرر لهم ما قررناه في القواعد السابقة، يكفي هذا، نكون قد أقننا عليهم الحجة وانتهى الأمر، لكن إذا رأيت شخصاً تائهاً مختاراً يريد الحق وتلبست عليه بعض الأمور فلا بأس أن تناقشه بهذه الطريقة التي ذكرها المؤلف، وإلا الأصل عندنا أننا نحن نقف عند الدليل السمعي فقط، قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنزله بهذا، أي نعم، قال رحمه الله: "مثال ذلك: أنهم أثبتوا صفة الإرادة، ونفوا صفة الرحمة" أثبتوا صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى، وقالوا الله سبحانه وتعالى يريد، ما فيه عندنا مشكلة، لكن قالوا: صفة الرحمة لا نثبتها لله، لماذا؟ قالوا: صفة الإرادة العقل يثبتها، وصفة الرحمة العقل ينفها، طيب، قال لهم المؤلف: "أثبتوا صفة الإرادة لدلالة السمع والعقل عليها" يعني: وردت في الأدلة السمعية من أدلة الكتاب والسنة وأنّ العقل يثبتها أيضاً، هم عندهم أهم شيء العقل، الأدلة السمعية هذه أمر إضافي هكذا زائد، ما يهتمون به، قال: "أمّا السمع: فمنه قوله تعالى: "وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ" إذاً أثبت صفة الإرادة لله سبحانه وتعالى، "وأمّا العقل: فإنّ اختلاف المخلوقات وتخصيص بعضها بما يختص به من ذات أو وصف دليل على الإرادة" يعني: دليل على أنّ الله سبحانه وتعالى يريد هذا ولا يريد هذا، قال: "ونفوا الرحمة قالوا: لأنها تستلزم لين الراحم" اللين يعني: من الرقة، "ورقته للرحوم، وهذا محال في حقّ الله تعالى" هكذا فهموا الأمور الآن، الرحمة لا

نُتِبَها لله سبحانه وتعالى، لماذا؟ قالوا: لأنَّ الرحمة هي رقة القلب ولينه، وهذا لا يُثبِت في حقِّ الله سبحانه وتعالى، قال: "وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل، أو إرادة الفعل" هكذا دائماً الأشاعرة عندما يريدون أن يحرفوا صفة من الصفات يحرفوها إلى الإرادة، أو إلى لازم الصفة، يعني مثلاً صفة الرحمة عندما يريد أن يتخلص منها لأدلة الكتاب والسنة ماذا يقول لك؟ إرادة الإنعام، أو يقول لك الرحمة: هي الإنعام، رحمهم الله يعني: أنعم عليهم بفضله، أو رحمهم الله: أراد أن ينعم عليهم، هكذا الأشاعرة يحرفون الصفة على هذا المعنى فيردونها إلى الإرادة لأنهم يثبتون الإرادة، المعتزلة لا يردونها إلى الإرادة، لأنهم لا يثبتون الإرادة، قال: "وأولوا الأدلة السمعية المثبتة للرحمة إلى الفعل، أو إرادة الفعل" إلى الفعل يعني: مثل الإنعام مثلاً، أو إرادة الفعل أي: إرادة الإنعام، "ففسروا الرحيم بالمنعم، أو مريد الإنعام"، قال: "فنقول لهم: الرحمة ثابتة لله تعالى بالأدلة السمعية" وهذا يعني الأدلة السمعية كثيرة: "بسم الله الرحمن الرحيم"، "الرحمن علم القرآن"، إلى آخره... "وأدلة ثبوتها أكثر عدداً وتنوعاً من أدلة الإرادة" يعني: لو أردت بالعدد إثبات الرحمة في الكتاب والسنة أكثر من أدلة إثبات الإرادة، قال: "فقد وردت بالاسم مثل: "الرحمن الرحيم"" وردت بالاسم يعني: هو الرحمن اسم لله، لكنه يتضمن صفة الرحمة، "والصفة مثل: "وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ"" هذه إثبات وصف لله سبحانه وتعالى، "والفعل مثل: "وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ"" وأثبتت بالاسم وبالصفة وبالفعل، إثبات قوي، قال: "ويمكن إثباتها بالعقل" أنتم تقولون لا يثبتها العقل، نحن نقول يمكن أن يثبتها العقل، كيف؟ قال: "فإنَّ النعم التي تترى على العباد من كلِّ وجه والنقم التي تدفع عنهم في كلِّ حين دالة على ثبوت الرحمة لله عزَّ وجلَّ" يعني: النعم المتتابعة المتتالية التي تنزل على العباد وأيضاً النقم التي تدفع عنهم تدلُّ على ماذا؟ تدلُّ على ثبوت الرحمة لله عزَّ وجلَّ، فبرحمته تبارك وتعالى ينعم عليهم، وبرحمته يدفع عنهم السوء، قال: "ودلالاتها على ذلك أبين وأجلى من دلالة التخصيص على الإرادة، لظهور ذلك للخاصة والعامة" يعني: الناس

جميعاً يشتركون في معرفة أو رؤية آثار رحمة الله سبحانه وتعالى "بخلاف دلالة التخصيص على الإرادة، فإنه لا يظهر إلا لأفراد من الناس" إذاً بهذا يكون قد أثبت عقلاً الرحمة، قال: "وأما نفيها بحجة أنها تستلزم اللين والرقّة فجوابه: أن هذه الحجّة لو كانت مستقيمة لأمكن نفي الإرادة بمثلها" يعني: نحن ندّعي عليكم في الإرادة التي أثبتناها مثل ما ادعيتكم في الرحمة، "فيقال: الإرادة ميل المرید إلى ما يرجو به حصول منفعة أو دفع مضرة" إذاً فيها ميل القلب، فالإرادة ميل القلب، كما فسرتم الرحمة بماذا؟ برقة القلب، نحن نفسر لكم الإرادة بميل القلب، قال: "وهذا يستلزم الحاجة، والله تعالى منزّه عن ذلك" طيب، كيف تجيبون عن هذا؟ إذاً الآن قلتم الرحمة لا تثبت بالعقل وأثبتناها لكم بالعقل، وقلتم إثبات الرحمة يستلزم النقص، لأنّ الرحمة هي رقة القلب، قلنا لكم ممكن أن يقال هذا أيضاً في الإرادة، إثبات الإرادة يستلزم النقص، لماذا؟ لأنّها ميل القلب، وبهذا يرد عليهم المعتزلة، لكنّ هذا كلّ باطل، قال: "فإن أجيب: بأنّ هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة" وهذا ما نجيب به، هم الآن يجيبون، المعتزلة يقولون لهم: هذه إرادة المخلوق والله إرادة تليق به، إذاً فلا يصح أن نفسّر الإرادة بميل القلب، فنقول لهم: كذلك بالنسبة للرحمة، الرحمة التي هي رقة القلب هذه للمخلوق، والله رحمة تليق بجلاله وعظمته، قال: "فإن أجيب: بأنّ هذه إرادة المخلوق أمكن الجواب بمثله في الرحمة، بأنّ الرحمة المستلزمة للنقص هي رحمة المخلوق، وبهذا تبين بطلان مذهب أهل التعطيل، سواء كان تعطيلاً عاماً كالجهمية الذي ينفون الأسماء والصفات، "أو خاصاً" كالأشاعرة والماتريدية الذين ينفون بعض الصفات، قال: "وبه علم أنّ طريق الأشاعرة والماتريدية في أسماء الله وصفاته وما احتجوا به لذلك لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية، وذلك من وجهين: "لماذا يقول المؤلف: "لا تندفع به شبه المعتزلة والجهمية" لأنّه حصل نزاع بين الأشاعرة والمعتزلة والجهمية، فأراد الأشاعرة أن يثبتوا سبع صفات، والجهمية والمعتزلة ينفونها، فحصل بينهم نزاع وردود كثيرة، فيما بين القوم، لكن حقيقةً

الأشاعرة مضطربون، متناقضون فكانت حجّتهم أمام الجهمية والمعتزلة ضعيفة، قال المؤلف: "وذلك من وجهين: أحدهما: أنّه طريق مبتدع لم يكن عليه النبي صلى الله عليه وسلم ولا سلف الأمة وأئمتّها، والبدعة لا تُدفع بالبدعة، وإنّما تدفع بالسّنة" هذا الأمر الأول أنّ طريقهم مبتدعة، بل هم وافقوهم في الأصل أصلاً، وبما أنّهم وافقوهم في الأصل لا يمكن أن يردوا عليهم بطريقة التخطيط التي ساروا عليها، وطريقهم مبتدعة، محدثة، لم تكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولا على عهد أصحابه، ما كانوا يستعملون العقل في مناقشات ومجادلات عقلية في إثبات الصفات، إنّما عندهم الشرع، وهم على يقين بأنّ الشرع لا يختلف أبداً مع العقل الصحيح الصريح الصافي النقي، لا يمكن دليل صحيح أن يختلف مع عقل صريح، هذا مستحيل، وهم يعلمون هذا السلف رضي الله عنهم، فكانوا يكتفون بتقرير الصفات بالأدلة السمعية فقط، وينتهي الأمر عندهم.

قال: "الثاني: أنّ المعتزلة والجهمية يمكنهم أن يحتجوا لما نفوه على الأشاعرة والماتريدية بمثل ما احتج به الأشاعرة والماتريدية لما نفوه على أهل السّنة، فيقولون: لقد أبجتم لأنفسكم نفي ما نفيتم من الصفات بما زعمتموه دليلاً عقلياً، وأولتم دليله السمعي، فلماذا تُحرّمون علينا نفي ما نفيناه بما نراه دليلاً عقلياً، ونؤول دليله السمعي، فلنا عقول كما أنّ لكم عقولاً، فإن كانت عقولنا خاطئة فكيف كانت عقولكم صائبة، وإن كانت عقولكم صائبة فكيف كانت عقولنا خاطئة، وليس لكم حجّة في الإنكار علينا سوى مجرد التحكم واتباع الهوى" وهذا كلام سليم، هذا إلزام من المعتزلة للأشاعرة، أنتم الآن تردون على أهل السّنة في صفة الرضى والحبّ وما شابه، تقولون هذه لم يثبتها العقل، كذلك نقول لكم نحن: والصفات التي أثبتتموها لا يثبتها العقل كذلك، فلماذا تعترضون علينا؟ ولنا عقول كما لكم عقولاً، ولسنا بأولى من الخطأ منكم، قال: "وهذه حجّة دامغة، وإلزام صحيح من الجهمية والمعتزلة للأشعرية والماتريدية، ولا مدفع لذلك" لأنّهم متناقضون والمتناقض دائماً حجته ضعيفة، قال:

"ولا محيص عنه" يعني: لا خلاص منه، "إلا بالرجوع لمذهب السلف الذين يطردون هذا الباب" يعني: يجعلونه باباً واحداً مستمراً، الطرد بمعنى: الاستمرار، فلا ينفون في موضع ويثبتون في موضع، ويتناقضون، لا، طريقتهما واحدة، قال: "ويثبتون لله تعالى من الأسماء والصفات ما أثبتته لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إثباتاً لا تمثيل فيه ولا تكييف، وتنزيها لا تعطيل فيه ولا تحريف، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور" هذا كله واضح، وبيانه تقدم.

قال: "تنبيه: عُلِمَ مما سبق أنّ كلّ معطل ممثل، وكلّ ممثل معطل" من خلال ما تقدم، علمنا أنّ كلّ معطل ممثل، لماذا؟ لأنّه مثلّ أولاً في ذهنه، فأراد أن يفرّ من هذا التمثيل ففرّ إلى التعطيل، قال المؤلف مبيناً هذه الفقرة: "أمّا تعطيل المعطل فظاهر، وأمّا تمثيله: فلأنّه إنّما عطلّ لاعتقاده أنّ إثبات الصفات يستلزم التشبيه، فمثّل أولاً، وعطلّ ثانياً، كما أنّه بتعطيله مثّله بالناقص". قال: عطلّ عنه الصفات، صفة الكلام، عطلّ عنه صفة السمع، صفة البصر، عطلّ عنه صفة الحبّ، صفة الرضى، صفة السخط، مثّله بالناقص، لأنّه من لا يتحلّى بهذه الصفات فإنّه ناقص، قال: "وأما تمثيل الممثل فواضح" يقول لك: يد كيد، هذا واضح، "وأما تعطيله فمن ثلاثة أوجه" لماذا كان الممثل معطلاً في الحقيقة؟ قال: "الأول: أنّه عطلّ نفس النصّ الذي أثبت به الصفة، حيث جعله دالاً على التمثيل، مع أنّه لا دلالة فيه عليه، وإنّما يدلّ على صفة تليق بالله عزّ وجلّ" يعني: نفس الدليل الذي أثبت به الصفة، عطّله عن حقيقته، لأنّ حقيقته ليست التمثيل، وهو أثبتته بالتمثيل، قال: "الثاني: أنّه عطلّ كلّ نصّ يدلّ على نفي مماثلة الله لخلقه" يعني: مثل قول الله تبارك وتعالى: "ليس كمثله شيء" عطّله هذا ما آمن بهذه الجزئية من الآية، "الثالث: أنّه عطلّ الله تعالى عن كماله الواجب، حيث مثّله بال مخلوق الناقص" وهذه واضحة، عندما يقول: يد الله كيد الإنسان، يكون قد وصف يد الله بالنقص، عندما يقول حياة الله كحياة الإنسان يكون قد وصف حياة الله بالنقص، لذلك هو معطل حقيقة، عطّل كمال الله سبحانه وتعالى عن كماله.

وبهذا نكون قد انتهينا من شرح قواعد الأسماء و الصفات من كتاب القواعد المثلى، وأكمل المؤلف كتابه، بذكر بعض الشبهات التي أوردها أهل التعطيل على أهل السنة والجماعة، وردّ عليها في الجزء المتبقي من هذا الكتاب، وسنكمّله بإذن الله تعالى، لكنّ تعتنون بهذا الجزء الذي تقدّم اعتناءً خاصاً، فهو تقرير القواعد التي يحتاجها كلُّ سنيّ سلفي، ومن أتقن هذا الجزء من الكتاب فقد أتقن باب الأسماء والصفات، يبقى عليه فقط أن يعرف الصفات التي أثبتها السلف والصفات التي لم يثبتوها، كتاب التوحيد لابن خزيمة رحمه الله اعتنى إعتناءً طيباً في هذا الجانب، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك ونتوب إليك.

الدرس الثامن عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقال المؤلف رحمه الله: "الفصل الرابع: شبهات والجواب عنها".

بعد أن انتهى المؤلف رحمه الله من بيان قواعد الأسماء والصفات بدأ بفصل جديد، وهو ذكر بعض الشبهات التي ذكرها أهل التعطيل وأوردوها على أهل السنة والجماعة، بعد أن قرر أهل السنة والجماعة نفي التأويل في باب الصفات وحمل الأدلة على ظاهرها أورد المتكلمون بعض الشبهات حول هذا الأمر ويعترضون به على أهل السنة والجماعة ويقولون لهم: أنتم تناقضتم، قلتم بأنكم لا ترتضون التأويل في باب الأسماء والصفات وتحملون النصوص على ظاهرها ومع ذلك يوجد بعض النصوص لم تحملوها على ظاهرها وأولتموها، فإذا كان جواب أهل السنة والجماعة في ذلك؟

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "الفصل الرابع: شبهات والجواب عنها: اعلم أن بعض أهل التأويل أورد على أهل السنة شبهة في نصوص من الكتاب والسنة في الصفات، ادعى أن أهل السنة صرفوها عن ظاهرها، ليُزَمَّ أهل السنة بالموافقة على التأويل أو المداهنة فيه، وقال: كيف تنكرون علينا تأويل ما أولناه مع ارتكابكم لمثله فيما أولتموه؟ ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل".

الآن سيبدأ يرد المؤلف على أهل التأويل، الذين هم المتكلمون، أهل التعطيل حقيقة، الذين صرفوا نصوص الصفات عن ظاهرها وحرفوها وأعطوها معانٍ لم يردها الله تبارك وتعالى ولا أرادها رسوله صلى الله عليه وسلم، هم الآن يريدون أن يلزموا أهل السنة بنفس طريقتهم، يقولون: كيف تنكرون علينا التأويل وأنتم تأولتم؟ الآن يرد عليهم المصنف ويقول: "ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل" أما الجواب المجمل فهذا الجواب ينطبق على كل ما ذكره في هذا الباب، وهو من جزأين، قال: "أما المجمل فيتلخص في شيئين:

أحدهما: أن لا نُسلم أنَّ تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها، فإنَّ ظاهر الكلام ما يتبادر منه من المعنى، وهو يختلف بحسب السياق وما يُضاف إليه الكلام، فإنَّ الكلمات يختلف معناها بحسب تركيب الكلام، والكلام مركب من كلمات وجمل يظهر معناها ويتعين بضم بعضها إلى بعض".

يعني كما تقدم معنا أنَّ أهل السنَّة والجماعة يحملون النصوص على ظاهرها، والظاهر هذا يختلف ما بين أهل السنَّة والمشبَّهة والمعطلة، والظاهر عند أهل السنَّة يُعرف من خلال النظر في سياق الكلام وفي تركيبه وفي إضافة الكلمة إلى الأخرى وهكذا، وليس الظاهر مجرد ما يفهمه أي شخص وإن كان مشبهاً أو معطلاً أو غيره، ويفهم الظاهر بناءً على فهمه السقيم، لا، يعني: عندما يأتينا شخص ويقول لنا: ظاهر آية "وهو معكم أين ما كنتم" ظاهرها هذه أنَّ الله سبحانه وتعالى مع الخلق مختلط بهم، وأنَّه في كلِّ مكان، فنقول له: هذا باطل، وليس هذا الظاهر بظاهر عند أهل السنَّة والجماعة، فإنَّ الظاهر يُعرف ويفهم بسياق الكلام، أن تأتي بالآية من أولها إلى آخرها، فستجدها تتحدث في البداية عن العلم، وفي النهاية عن العلم، ثم ذكر هذا "وهو معكم أين ما كنتم" أي: بعلمه، فظاهر الآية أنَّ الله سبحانه وتعالى معنا بعلمه، وهذا واضح من أمرها، كما استدل بعضهم على أنَّ عقيدة العلوِّ هي عقيدة فرعون، من أين أخذ هذا؟ قال: لما دعا هامان قال له: لعلني أطلع إلى إله موسى، فذكر له أن يبني له صرحاً من طين كي يرتقي على الصرح ويرى إله موسى عليه السلام، قالوا: هذا يدلُّ على أنَّ فرعون هو الذي كان يعتقد هذا الاعتقاد، الذي هو اعتقاد علوِّ الله تبارك وتعالى على خلقه، فقالوا: بأنَّ أهل السنَّة والجماعة عقيدتهم هذه أساساً مأخوذة عن فرعون، لماذا أخذت عن فرعون؟ قالوا: لأنَّ فرعون هو الذي قرَّر هذه العقيدة، طيب، نقول لهم: الآية لو أُتيتم بها من أولها لفهم المراد منها، قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم: "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري" لاحظ هنا البداية: "ما علمت لكم من إله غيري" إذاً هو لا يعترف بالله أصلاً، ولا يعترف بوجود الله سبحانه

وتعالى أصلاً حتى يُقال بأنّ هذه عقيدة فرعون، "وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي اطلع إلى إله موسى" قال في النهاية: "وإنّي لأظنه من الكاذبين" إذاً العقيدة عقيدة موسى، لما سأله فرعون عن إلهه الذي يدعو إليه، قال له: في السماء، فكانت العقيدة عقيدة موسى، لذلك قال مستهزئاً فرعون لوزيره هامان ابن لي صرحاً لعلّي أرتقي على هذا الصرح واطلع إلى إله موسى، ثم ماذا قال في الأخير؟ "وإنّي لأظنه من الكاذبين" فأول الآية وآخر الآية يدلّ على ظاهرها، ظاهر الآية واضح، أنّ فرعون لا يؤمن بوجود الله سبحانه وتعالى أصلاً، وما عنده إله إلا هو فقط، فكيف يعتقد أنّ الله في السماء؟ ثم في النهاية يقول: "لعلّي اطلع إلى إله موسى وإنّي لأظنه من الكاذبين" إذاً يكذب وجود الله سبحانه وتعالى وأنه إله أصلاً، فكيف يدعى هذا؟ انظر كيف الظاهر الآن، هو عندما يأتيك المعطل يقطع لك الآية قطعاً، فيقول ماذا؟ قال فرعون: "فأوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلّي اطلع إلى إله موسى" فيقطعها لك هكذا، يقطعها من أولها ويقطعها من آخرها حتى يصبح الظاهر منها ما هو يريده، إذاً الظاهر الذي يفهمه المعطل غير الظاهر الذي يفهمه السنيّ، لأنّ السنيّ يفهم الآية على مراد الله ولا يقطعها، لا يبتريها، يفهمها بناء على سياقها، بناء على سباقها، يفهمها بناء على تركيبها، بناء على الإضافة، كلّ هذا يعتمد، حتى سبب النزول يؤثر معك في معنى الآية وفي تفسير ظاهرها، إذاً يختلف الأمر، الظاهر من فلان إلى فلان، أنت تريد الظاهر حقيقة ومن غير تلاعب انظر إلى كلّ هذه القرائن حتى تخرج بظاهر صحيح للآية، قال المؤلف: "أحدهما: أن لا نسلم أنّ تفسير السلف لها صرف عن ظاهرها" لأننا نحن لا نسلم معكم بأنّ الظاهر معناه فاسد، ما في عندنا هذا، الظاهر الذي تفهمونه أنتم غير الظاهر الذي نفهمه نحن، لأننا نحن نفهمها بناءً على كلّ هذه القرائن التي ذكرناها من السياق والسباق ومن تركيب الكلام ومن الإضافة ومن سبب النزول فيتضح معنا المعنى تماماً كما أراده الله تبارك وتعالى، وهذه لغة العرب وهذه

طريقتهم، انظر إلى قول الله تبارك وتعالى: "وسأل القرية التي كنا فيها"، وقال الله سبحانه وتعالى: "إنّا مهلكو أهل هذه القرية" هل تفهم من القرية الأولى هي نفس معنى القرية الثانية؟ لا، لأنّ سياق الكلام يختلف، "وسأل القرية" الآن بما أنّ السؤال وجهه إلى القرية، إذاً لا بد أن يكون موجه السؤال إلى من يعقل، والقرية التي هي جدران لا تعقل حتى تفهم السؤال وتردّ لنا جواب، إذاً المراد أهل القرية، وكذلك في قوله: "إنّا مهلكوا أهل هذه القرية" فالمراد بالقرية المباني والأرض في هذه الآية، أهل القرية يعني: أهل المباني والأرض، فاختلف معنى الكلمة الواحدة في آيتين، هكذا يفهم أهل السنّة الظاهر، وعندما تدّعون أنتم أننا نحن خالفنا الظاهر، أيّ ظاهر هذا الذي تعنونه؟ إن كان الظاهر الذي عندنا فلا، السلف ما خالفوا هذا أبداً، هذا الجواب، إذاً الجواب الأول: أننا لا نسلم لكم بمخالفة الظاهر من تفاسير السلف رضي الله عنهم لأيّ نص من النصوص، الجواب الثاني:

قال: "ثانيهما: أننا لو سلمنا أن تفسيرهم صرف لها عن ظاهرها" على التسليم لكم بهذا أنّه قد حصل هذا وجاء نص ظاهره فيه إشكال فاحتجنا أن نصرفه عن ظاهره، فتأويلنا نحن يختلف عن تأويلكم، كيف؟ قال: "فإنّ لهم في ذلك دليلاً من الكتاب والسنّة إمّا متصلاً وإمّا منفصلاً" عندما يخالفون الظاهر ويؤولون إذاً لا بد أن يكون عندهم دليل، إمّا أن يكون الدليل هذا في نفس الآية أو في نفس الحديث الذي وردت فيه الصفة، أو في حديث آخر أو آية ثانية، المهم أنّ عندهم دليل شرعي صحيح يدلّ على أنّ المعنى ليس هو الظاهر المراد، وإنّما المعنى الآخر، فإذا تأولوا يتأولون بحق لا بباطل، والفرق بين تأويلنا وتأويلكم أنّ تأويلنا معتمد على الدليل الشرعي: قال الله قال رسول الله أو الإجماع، أمّا تأويلكم فلا يعتمد على شيء سوى مجرد أوهام عقلية فقط، قال: "وليس لمجرد شبهات يزعمها الصارف براهين وقطعيات يتوصل بها إلى نفي ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم" إذاً هذا هو الفرق بين تأويلنا وتأويلكم، تأويلكم تأويل مبني على شبهات عقلية خيالية لا حقيقة

له، تأويلنا إن وقع هذا من سلفنا فهو لدليل شرعي صحيح ونحن التأويل بهذا المعنى لا ننفيه، وهو موجود عندنا ونستعمله في آيات الأحكام، لكن التأويل بالمعنى الذي أنتم عليه من صرف اللفظ عن ظاهره لشبهات عقلية خيالية فهذا نحن لا نسلم به.

هذا الجواب المجمل قد انتهينا منه، وبدأ الآن بالجواب المفصل، فقال:

"وأما المفصل: فعلى كل نصٍ ادعى أن السلف صرفوه عن ظاهره".

يعني: الجواب المفصل يأتي على كل نص من النصوص التي ادعو أن السلف قد تأولوا فيها، فقال: "ونمثل بالأمثلة التالية: فنبدأ بما حكاه أبو حامد الغزالي" أبو حامد الغزالي مصنف كتاب: إحياء علوم الدين، والرجل كان قد دخل وتعمق في الفلسفة وفي علم الكلام وفي التصوف، وكان بعيداً جداً عن علم الحديث، فتجد مصنفاته مليئة بالأحاديث الموضوعة والمتروكة والواهية، فحقيقة كتب الرجل مليئة بالخزعبلات والخرافات والأشياء التي لا نفع منها وهي خطيرة، قال: "عن بعض الحنبلية" ينقل عن بعض الحنبلية، "أنه قال: "إن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء" يعني: ثلاث أحاديث، "الحجر الأسود يمين الله في الأرض، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وإني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن، نقله عنه شيخ الإسلام من مجموع الفتاوى وقال: "هذه حكاية مكذوبة على أحمد"" كونها كذب على أحمد انتهى الموضوع من أصله، ما يحتاج إلى ردٍّ نهائياً، خلاص انتهى الأمر، هذا مكذوب على الإمام أحمد رحمه الله، وكان هؤلاء القوم يتعمدون الردود على الحنابلة بالذات، لأن الحنابلة هم أصحاب المذهب الذين تمسكوا بما كان عليه إمامهم في العقيدة، الباقي تركوا عقيدة أئمتهم، مالك والشافعي أئمة أهل الحديث، أئمة أهل السنة، وأكثر أتباعهم من الأشاعرة، ومن الصوفية، خصوصاً من المتأخرين، تلاميذهم في الغالب سالمون، لكن من بعدهم من المتأخرين، هم الذين أصابهم هذا الخلل، لكن أصحاب الإمام أحمد غالبهم على عقيدة شيخهم، على عقيدة إمامهم الإمام أحمد وإن كان وجد منهم من تأثر بأهل زمنه وأخذ الأشعرية عنهم، لكن كان في زمن من الأزمان السنة

معروفة بالحنابلة، حقيقة، في فترة من الفترات كان يحمل راية السنة الحنابلة، وتلك الفترة كان المقداسة في بلاد الشام حنابلة، وكانوا هم المشهورين بعقيدة السلف والدفاع عنها، واتباع منهج السلف رضي الله عنهم، ولا ننسى أهل الحديث أيضاً، كذلك كانوا يرفعون راية السنة ويذّبون عنها، ومنهم: عبد الغني المقدسي رحمه الله، من المقداسة أيضاً، المقدسين، المهم أن أصحاب المذهب الحنبلي كانوا في فترة من الفترات هم يحملون راية السنة، لذلك كان الأشاعرة يردون عليهم ويتبعونهم، وهم يردون على الأشاعرة ويبيّنون ما عندهم، فهنا يدعون أن الإمام أحمد قد تأول في هذه الأحاديث الثلاث، وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: "هذه الحكاية كذب على أحمد"، نقولات ابن تيمية قوية جداً، حتى إن بعض خصومه ومخالفيه كانوا يعتمدون عليه في النقول، فكانوا يقولون: ذكره ابن تيمية، وكذّبه ابن تيمية، لقوة الرجل في هذا الباب، فإذا قال في مثل هذه: هذه حكاية كذب على أحمد، يصعب جداً أن تجدها صحيحة، حتى وإن تتبعنا وبحثنا، صعب، نقولاته دقيقة وأقواله لها شأن حتى عند مخالفيه والذين يذّمونه، فإذا كانت هذه الكلمة كذب، إذن انتهى الأمر، لكن مع ذلك المؤلف يبين لك مثلاً على كيفية ردّ باطلهم، ولكن أنت نتعلم أمر، مع أهل البدع أول أمر نتعلمه: أن لا نثق بنقولاتهم ولا بأقوالهم، فأنت ربّما تسلم لهم ويكون نقلهم كذب، أو تساهلوا في النقل وأخطأوا، لأنّ الباب الذي هم فيه يريدون أن يتساهلوا فيه ويعجبهم هذا، أو خطأ حتى لم يكن مقصوداً، المهم بداية لا تسلم للمبتدع في نقله حتى نتوثق منه، لأنهم غير مؤتمنين، فهذه النقطة الأولى التي إذا رأيت قولاً استنكرته من مبتدع فبادر مباشرة إلى التثبت، انظر إلى هنا، هذا النقل تبين أنّه كذب، انتهى أمره، فالردّ في ذلك أن تقول له أثبت ذلك عن الإمام أحمد فقط.

قال المؤلف: "المثال الأول: "الحجر الأسود يمين الله في الأرض" والجواب عنه: أنّه حديث باطل، لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم" هذا الجواب الثاني، الآن هذه

القصة أنّ الإمام أحمد تأول في هذه الثلاثة كذب، والحديث هذا نفسه "الحجر الأسود يمين الله في الأرض" هو نفسه كذب، باطل، لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم، فكيف يخفى على الإمام أحمد ويحتاج إلى تأويله، هذا باطل، قال: "لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن الجوزي في "العلل المتناهية": "هذا حديث لا يصح"، وقال ابن العربي: "حديث باطل، فلا يلتفت إليه". وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد لا يثبت" اهـ، وعلى هذا فلا حاجة للخوض في معناه "هذا الكلام السليم، خلاص لسنا بحاجة أن نتكلم بعد ذلك، القصة كذب على الإمام أحمد، والحديث كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذاً انتهى الأمر، قال المؤلف: "لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "والمشهور يعني: في هذا الأثر إنما هو عن ابن عباس قال: الحجر الأسود يمين الله في الأرض، فمن صاحفه وقبله فكأنما صاحف الله وقبل يمينه" لكن أيضاً وإن كان مشهوراً، فالشهرة لا تعني الصحة، فالأثر ضعيف، مشهور عند العلماء أنّ هذا الأثر موقوف على ابن عباس، لكنّه ضعيف أيضاً عن ابن عباس، وروى أيضاً عن عبدالله بن عمرو أيضاً، وهو ضعيف، قد بين الله الشيخ الألباني في الضعيفة كلّها، المرفوع والموقوف على ابن عباس والموقوف على عبد الله بن عمرو بن العاص، فيما أنّه ضعيف انتهى الأمر، فلا يحتاج إلى كلام أصلاً، قال: "ومن تدبر اللفظ المنقول تبين له أنّه لا إشكال فيه، فإنّه قال: يمين الله في الأرض" هذا على التسليم بالصحة، لكنّ الصحة بعيدة، وعلى كلّ حال؛ لكن أيضاً ظاهر اللفظ ليس كما ظنوه هم، فهذا لا يحتاج إلى تأويل، لأنّه قال: يمين الله في الأرض، إذاً هي ليست يمين الله سبحانه وتعالى التي هي صفة له، فيمين الله في الأرض تختلف، قال: "ولم يطلق فيقول يمين الله، وحكم اللفظ المقيد يخالف حكم المطلق" يعني: عندما يقول يمين الله في الأرض يختلف عن أن يقول يمين الله ويسكت هكذا، قال: "ثم فمن صاحفه وقبله" يعني: الحجر الأسود "فكأنما صاحف الله وقبل يمينه" أنظر كيف تمثيل لهذا بهذا مما يدلّ على أنّ هذا يختلف عن هذا، قال: "وهذا

صريح في أنّ المصاحف لم يصاحف يمين الله أصلاً، ولكن شبه بمن يصاحف الله، فأول الحديث وآخره يبين أنّ الحجة ليس من صفات الله تعالى، كما هو معلوم عند كل عاقل" اهـ (ص 398، ج 6) مجموع الفتاوى.

قال: "المثال الثاني: "قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن" هذا الحديث صحيح لا إشكال فيه، "أنّ هذا الحديث صحيح، رواه مسلم في الباب الثاني من كتاب القدر، عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إنّ قلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد، يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك" آمين، قال المؤلف: "وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهر الحديث" لم يؤلوه، "وقالوا: إنّ الله تعالى أصابع حقيقة، تثبتها له كما أثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم" فلا إشكال إذاً في مسألة التأويل، لأنّهم أخذوا على الظاهر هنا "ولا يلزم من كون قلوب بني آدم بين إصبعين منها أن تكون مماسة لها، حتى يُقال: إنّ الحديث موهم للحلول"الحلول بمعنى: أنّ الله سبحانه وتعالى حال في كلّ شيء، عقيدة كفرية "فيجب صرفه عن ظاهره" يعني: هؤلاء جعلوا ظاهر الحديث أنّه يدلّ على الحلول، وهذا يقوي عقيدة أهل الحلول والاتحاد، وهذا باطل، فلذلك قالوا لا بد أن نؤله، نقول لهم هذا الظاهر الذي فهمتموه باطل، لا يلزم وليس بظاهر، قال: "فهذا السحاب" الآن يمثل لهم مثال ليوضح أنّه لا يلزم منه الحلول، والحديث على حقيقته، ولا يلزم من ظاهره معنى باطلاً حتى نضطر إلى تأويله، "فهذا السحاب مسخر بين السماء والأرض وهو لا يمس السماء ولا الأرض ويقال: بدر بين مكة والمدينة مع تباعد ما بينها وبينهما فقلوب بني آدم كلّها بين إصبعين من أصابع الرحمن حقيقة ولا يلزم من ذلك مماسة ولا حلول".

يعني الحديث على حقيقته ولا يلزم من ظاهره معنى باطلاً حتى نضطر إلى تأويله.
نقف إلى هنا إن شاء الله.

الدرس التاسع عشر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الثالث: هذه الأمثلة التي معنا هي أمثلة على ما ذكره أهل التعطيل على أهل السنة من أنهم يتأولون بعض أدلة الصفات، ويصرفونها عن ظاهرها، ويرد عليهم المؤلف من خلال هذه الأمثلة التي ذكرها أن أهل السنة والجماعة لا يتأولون في الصفات ويحملون الأدلة على ظاهرها، وإن سلّمنا بالتأويل في بعض المواضع فيكون لأدلة شرعية بخلاف ما تفعلونه أنتم من أن تأويلاتكم لا أدلة شرعية عليها، إنما هي العقول التي تزعمونها، وتضطربون في عقولكم أيضاً، فهذا تأويل فاسد، أمّا التأويل بالاعتماد على الدليل الشرعي فهذا تأويل صحيح، ما فيه بأس، ومع ذلك نحن نقول لهم ما عندكم أي دليل شرعي صحيح يدلّ ظاهره على صفة ينفيها أهل السنة والجماعة، فمثّلوا بالمثال الثالث: قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن"، قال أهل التعطيل: نفس الرحمن، هل تأخذونه على ظاهره، وثبتون لله تبارك وتعالى نفساً يأتي من جهة واحدة وهي من قبل اليمن؟ هذا ظاهر الحديث، فهل تثبتون ذلك؟ قال المؤلف: "والجواب: أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن الإيمان يمان والحكمة يمانية، وأجد نفس ربكم من قبل اليمن". قال في مجمع الزوائد: "هذا كتاب للهيثم رحمه الله، قال فيه عندما ذكر هذا الحديث "رجاله رجال الصحيح، غير شبيب وهو ثقة. قلت وكذا قال في "التقريب" عن شبيب: ثقة من الثالثة، وقد روى البخاري نحوه في التاريخ الكبير" قول المحدث: رجاله رجال الصحيح، لا يلزم منه أن الحديث صحيح، فربما يكون رجاله ثقات ولكنه منقطع، أو فيه علة خفية، أو أنه شاذ، فشرط الصحيح خمسة: أن يكون رجاله عدول وحفاظ، أي: أن يكونوا ثقات، هذا الشرط الأول، الشرط الثاني: أن يكون إسناده متصل

أي: ليس فيه انقطاع، الشرط الثالث: أن لا يكون شاذاً، الشرط الرابع: أن لا يكون معللاً، الشرط الخامس: هما شرطان في الرجال: شرط العدالة وشرط الضبط: الحفظ يعني، أن يكون ثقة، هذان شرطان، خامس شروط: العدالة والحفظ واتصال الإسناد وعدم الشذوذ وعدم العلة، خمسة شروط لا بد أن تتحقق كي يكون الحديث صحيحاً، فإذا قال المحدث: رجاله رجال الصحيح، على التسليم بأنهم كلهم ثقات، بمعنى أنهم عدول وحفاظ فقد توفر عندنا شرطان من خمسة، لكنه لم يذكر شيئاً عن بقية الشروط، قال رجاله رجال الصحيح غير الشبيب وهو ثقة، يعني ما عدا شبيب وشبيب ثقة على قوله، شبيب هذا في حقيقة الأمر لم يوثقه معتبر، ثم هو تفرد بهذه الزيادة في الحديث، أصل الحديث: "الإيمان يمان، والحكمة يمانية" ثابت في الصحيحين، لكن بزيادة: "وأجد نفس ربكم من قبل اليمن" هذه الزيادة تفرد بها شبيب، فهي زيادة منكورة، فالحديث ضعيف لا يصح، وإذا كان الحديث ضعيفاً فقد أغنى عن الكلام فيه ولسنا بحاجة إلى أن نثبت الصفة التي ذكرتموها، ولا أيضاً أن نتأول الخبر، الحديث ضعيف نقول لكم وينتهي الأمر، وقد ضعفه الإمام الألباني رحمه الله في الضعيفة رقم 1097.

قال المؤلف: "وهذا الحديث على ظاهره" يعني: لو سلّمنا بأن الحديث صحيح، نقول لكم: هذا الحديث على ظاهره، "والنفس فيه اسم مصدر نفس ينفس تنفيساً، مثل: فرج يفرج تفرجاً وفرجاً. هكذا قال أهل اللغة، كما في النهاية"النهاية في غريب الحديث والأثر، كتاب لابن الأثير وهو أجمع كتاب للألفاظ الغريبة في السنة ولكن صاحبه لم يكن على عقيدة أهل السنة والجماعة فينتبه لهذا، إذا مرّت مسألة متعلقة بالعقيدة فينتبه لهذا الأمر، "والقاموس" الظاهر أنه يعني: القاموس المحيط للفيروز أبادي، وهو من كتب معاجم اللغة العربية المعتبرة، "ومقاييس اللغة" معجم مقاييس اللغة لابن فارس وهو من أفضل كتب معاجم اللغة، ومن أفضلها الصحاح للجوهري، وتهذيب اللغة للأزهري، هذه الثلاثة من أنفس كتب المعاجم، الصحيح للجوهري وتهذيب

اللغة للأزهري ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس، كتاب لسان العرب كتاب جماع، قد جمع كلام أئمة اللغة في كتابه لسان العرب، "قال في مقاييس اللغة: "النفس: كل شيء يفرج به عن مكروب"، فيكون معنى الحديث: أن تنفيس الله تعالى عن المؤمنين يكون من أهل اليمن "إذاً لا نصرف اللفظ عن ظاهره أبداً، بل نفسره بمقتضى اللغة العربية وهذا مقتضاه أمامكم، إذاً ليس هو صفة لله سبحانه وتعالى، "قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: "وهؤلاء هم الذين قاتلوا أهل الردة" يعني: أهل اليمن، "وفتحوا الأمصار، فبهم نفس الرحمن عن المؤمنين الكربات" اهـ (ص 398، ج 6) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: لابن قاسم "الكلام واضح، على كل حال نحن جوابنا الأساسي: الحديث ضعيف، وبما أنه ضعيف فلا يُشكل علينا أصلاً، فنحن لا نعتمد في عقيدتنا إلا على أحديث صحيحة فقط وينتهي الأمر.

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الرابع قوله تعالى: "ثم استوى إلى السماء" قال أهل التعطيل: إنكم يا أهل السنة حرّقم النص لأن ظاهر قوله: "ثم استوى إلى السماء" أنه كان في الأرض نازلاً ثم صعد إلى السماء مرتفعاً، فهل أنتم تقولون بهذا الظاهر يا أهل السنة؟ فنقول لهم: لا، لا نقول بهذا، قال أهل التعطيل: إذا أولم النص، يعني: صرفتموه عن ظاهره، فلذلك لا تعيبوا علينا التأويل، فنجيبهم بجوابين: الأول إن كنا أولنا النص فأولناه لدليل شرعي صحيح، لأنه قد ثبت بالأدلة الشرعية الصحيحة القاطعة بأن الله سبحانه وتعالى علوه علو ذات، يعني: لا يمكن أن يكون في وقت من الأوقات أسفل خلقه أبداً، بل هو عال على خلقه دائماً، وهذا أدلته الشرعية كثيرة متواترة، فعندما نتأول هذا النص إن أوهم النص المعنى الذي ذكرتموه لأن معنى كلمة الاستواء العلو، فقالوا: "ثم استوى إلى السماء" يعني علا إلى السماء وقبل ذلك لم يكن عالٍ عليها، يعني: كان تحتها هكذا يزعمون، لكن هذا باطل، الكلام هذا باطل، لأننا نقول استوى إلى السماء هنا إن فسرناها على معنى العلو والارتفاع فلا يلزم من ذلك أن يكون قبل ذلك غير عالٍ ولا مرتفع، بل هو علو وارتفاع آخر مع

علوه وارتفاع تبارك وتعالى، انظر الآن أعطيكم مثال في المخلوق الضعيف فقط كي تتصوروا المسألة، لتقريب المسألة فقط، انظر أنت عندما تكون واقفاً بجانب الكرسي في طرف آخر أيكما أعلى أنت أم الكرسي؟ أنت أعلى من الكرسي، طيب فإذا جلست على الكرسي فقد علوت وارتفعت عن الكرسي، والله المثل الأعلى، إذاً لا يلزم من ذلك أن يكون الله سبحانه وتعالى قبل أن يرتفع إلى السماء أن يكون تحتها أو أن يكون على الأرض، هذا اللازم باطل فنحن نثبت المعنى وننفي اللازم الذي زعمتموه ونبطله فلسنا بحاجة إلى التأويل أصلاً، لأن الاستواء بهذا المعنى لا ينافي علوه تبارك وتعالى على خلقه، فذاك ارتفاع دائم لا ينتفي في وقت من الأوقات، هو دائماً عالٍ ومرتفع لذلك نقول العلوّ صفة ذاتية، العلوّ صفة ذاتية لله تبارك وتعالى، حتى وإن نزل تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا فعلموه باقٍ لا ينتفي أبداً، هذا على تفسير معنى استوى بمعنى: ارتفع، ويوجد تفسير آخر سيأتي من كلام المصنف رحمه الله.

قال: "والجواب أن لأهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما: أنها بمعنى: ارتفع إلى السماء، وهو الذي رجّحه ابن جرير، قال في تفسيره بعد أن ذكر الخلاف "لأن ابن جرير الطبري رحمه الله إمام المفسرين في زمنه وبعده، وهو سلفي صاحب عقيدة صحيحة، ابن جرير الطبري، والبغوي، وابن كثير هؤلاء من المفسرين السلفيين، عقيدتهم سليمة، من أصحاب التفاسير التي انتشرت وكان لها خير ومنفعة كبيرة جداً، وإلا المفسرون السلفيون أكثر منهم ابن أبي حاتم صاحب التفسير العظيم الذي طبع بعضه، أيضاً هذا من المفسرين السلفيين، ومنهم ابن المنذر رحمه الله، طبع له بعض كتابه كذلك، وغيرهم، لكن الكتب التي انتشرت بين الناس واشتهرت وطبعت تامة هذه الثلاث كتب.

قال رحمه الله: "بعد أن ذكر الخلاف:" يعني: ابن جرير الطبري "وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه: "ثم استوى إلى السماء فسواهن" علا عليهن وارتفع" نفس معنى كلمة استوى في اللغة العربية، "فتدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات"، قال المؤلف:

"وذكره البغوي في تفسيره: قول ابن عباس وأكثر مفسري السلف، وذلك تمسكاً بظاهر لفظ: (استوى) وتفويضاً لعلم كيفية هذا الارتفاع إلى الله عز وجل "كيف ارتفع إلى هذا السماء؟ نقول: الله أعلم، لكنه ارتفع، يقول لازم من ذلك أن تكون السماء أعلى منه؟ نقول له: باطل، هذا اللازم ليس بلازم فقط ونكتفي بهذا، وهذا يكفينا فنكون قد فسرنا الكلمة على معناها الحقيقي.

قال المؤلف: "القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبغوي في تفسير سورة فصلت. قال ابن كثير: أي قصد إلى السماء والاستواء ههنا ضَمَّنَ معنى القصد والإقبال "ما معنى التضمين؟ يعني: أعطي معنى تلك الكلمة، هو معنى كلمة استوى في اللغة ليس كذلك، لكن أعطيناه معنى القصد، لماذا؟ لأنه عُدِّي بإلى، أي: لأن حرف الجر الذي جاء بعد هذه الكلمة: إلى، لاحظ في آية: "الرحمن على العرش استوى" يعني: استوى على العرش، حرف الجر الذي دخل على استوى هنا ما هو؟ على، فقالوا: لما جاء حرف الجر (على) دلّ ذلك على العلو والارتفاع، لا اشكال، لكن إذا جاء حرف: (إلى) مع استوى قالوا: هنا يصبح ماذا؟ فيه اشكال في الموضع، فلذلك طريقة أهل البصرة والكوفة تختلف في مثل هذا في لغة العرب، فتارةً بعضهم يُعطي الحرف معنى حرف آخر كي يتناسب مع الكلمة، تمام؟ والبعض: لا، يعطي الفعل معنى فعل آخر كي يتناسب مع الحرف، ويسمونه: تضمين، إمّا أن تُضمّن الفعل معنى فعل آخر أو أن تُضمّن الحرف معنى حرف ثانٍ، انظر إلى قول الله تبارك وتعالى كما يأتي في كلام المصنف: "عينا يشرب بها عباد الله" يشرب بها؟ كيف يشرب بها؟ يشرب تُعدى بماذا؟ بحرف آخر وهو: (من) فتقول: يشرب منها، يشرب من العين ليس يشرب بالعين، لأنك لو قلت: يشرب بالعين صارت العين هنا آلة للشرب مثل: الكوب وليس كذلك، بل يشرب منها، طيب فهنا قالوا يشرب بها: يعني يشرب منها، انظر كيف غير معنى حرف الجر، ضَمَّنْهُ معنى (من) كي يتناسب مع الفعل، وهذه

طريقة لغوية صحيحة عند العرب، ما فيه أي بأس، في عند قرينة هو ماذا؟ حرف الجرّ، لا تقل والله صرفت اللفظ عن ظاهره فهو تأويل، نقول لك: هذا باطل، لأنّ حرف الجرّ هو الذي عين المعنى عندي هنا، لو لم يأتي حرف الجر هذا وجاء (على) لقلت لك والله من فسرّه بهذا التفسير فقد صرف اللفظ عن ظاهره، لكن لم يأتي كذلك، بل أتى مع حرف (إلى)، فلذلك فسّروه بهذا.

قال المؤلف: "والاستواء ههنا ضَمَّنَ معنى القصد والإقبال" هذا معنى التضمين، يعني: نعطي الاستواء معنى آخر، معنى كلمة ثانية وهى: القصد والإقبال، قال: "لأنّه عُدِّي بِإِلَى" أنظر ما هو السبب، لأنّه عُدِّي بِإِلَى، يعني: جاء حرف (إلى) بعده كي يوصل المعنى إلى الكلمة التي بعدها، هذا معنى التعدية، لأنّه عُدِّي بِإِلَى، "قال البغوي: أي عمد إلى خلق السماء" عمد يعني: قصد.

قال المؤلف: "وهذا القول ليس صرفاً للكلام عن ظاهره" تأمل الآن لماذا ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؟ قال المؤلف رحمه الله: "وذلك لأنّ الفعل استوى اقترن بحرف يدلّ على الغاية والانتهاء" إلى كذا، يعني ينتهي إليه، "فانتقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: "عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ" حيث كان معناها يَرَوِي بِهَا عِبَادُ اللَّهِ، لأنّ الفعل: "يَشْرَبُ" اقترن بالباء فانتقل إلى معنى يناسبها وهو يروى، فالفعل يُضَمَّنُ معنى يناسب معنى الحرف المتعلق به ليلتئم الكلام" هما طريقتان من طرق أهل العلم باللغة العربية في التعامل مع مثل هذه الجمل، يشرب بها، كلّ حرف من حروف الجر له معنى، فعندما تقول: يشرب بها، تكون هذه الباء دخلت على الآلة، يعني تقول أنت أشرب بالكوب، يعني الكوب هو آلة الشرب، لكن إذا قلت يشرب منها فأنت أخذت اقتطعت جزءاً من الماء وشربته من العين، فيشرب منها هو المراد هنا، من سياق الآية يتبين معنا أنّ المراد يشرب منها، لكنّ الآية جاءت يشرب بها، فالعلماء في ذلك قولان، قول يقول: نعطي الفعل معنى فعل آخر يتناسب مع الحرف، فمثل هذا قالوا: يشرب بها، نقول: يروى بها، يحصل الرّي

بهذه العين، وقول آخر قالوا: نبقى الفعل كما هو، يشرب ولكننا نضمن الحرف معنى حرف آخر يتناسب مع الفعل، فقالوا: يشرب منها، فأعطوا الباء معنى حرف: من، هما طريقتان من طرق أهل العربية، إذاً هل هناك تأويل؟ لا، يقول لك لماذا قلتم لمن قال الرحمن على العرش استوى: استولى تأويلاً وهذا عندما فسرتم الاستواء الذي هو أصلاً في اللغة العربية بمعنى الارتفاع فسرتموه بالقصد ليس تأويلاً؟ نقول لك: السبب في ذلك: أن "الرحمن على العرش استوى" دخل عليها حرف ماذا؟ حرف على الذي يؤكد معناه بمعنى: العلو والارتفاع، أما هذه الآية فدخل على الاستواء حرف: إلى الذي يدل على معنى القصد، فصار عندنا في نفس الآية قرينة تدل على المعنى المراد، فهذا لا يسمى تأويلاً، هذا يسمى ظاهر النص، لأننا نحن اتفقنا في السابق أن الظاهر يظهر من خلال السياق والسباق ومن خلال التركيب والإضافة، كل هذا يبين لنا ظاهر المعنى، وبما أن هذا مستعمل في اللغة العربية، إذاً لا يعد تأويلاً، هذا إن حملنا معنى الاستواء على معنى القصد، وإن فسرناه على المعنى الأول وهو معنى الارتفاع فزال الإشكال تماماً، فلا شبهة عندهم في هذا الأمر نهائياً، واللازم الذي زعموه لهذا المعنى نفينا وقلنا لا يلزم وانتهى الأمر، هذا ما يتعلق بهذا المبحث وبهذه الشبهة.

ننبه على أن الذين قالوا بالتفسير الأول: وهو أن استوى بمعنى ارتفع قالوا هنا: "ثم استوى إلى السماء" ارتفع على السماء، فصار معنى (إلى) متضمناً معنى (على)، فيكون عندهم التضمن حصل للحرف، بينما الآخرون التضمن حصل للفعل، وكلاهما صحيح في لغة العرب على مذهب الكوفيين ومذهب البصريين.

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الخامس والسادس: قوله تعالى في سورة الحديد: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ"، وقوله في سورة المجادلة: "وَلَا أُدْنِي مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا".

هذه شبهة عندهم، زعموا أن ظاهر هذه الآية أن الله معنا بذاته، هذا ظاهرها

عندهم، وقالوا: أنتم تقولون أن الله معنا بعلمه فأنتم تأولتم، فنقول لهم: عندنا جوابان: الأول: لا نسلم لكم أن هذا المعنى الذي ذكرتموه هو ظاهر الآية، أن ظاهرها أن الله معنا بذاته، هذا باطل لا نسلم به، وسياق الآية يدل على بطلان قولكم، وعلى صواب ما قلناه نحن، وسنذكر لكم إن شاء الله ذلك من كلام المصنف، الأمر الثاني: سلّمنا لكم بأن الظاهر ما ذكرتموه، نقول لكم: نحن فسرناه بمعنى أنه معنا بعلمه لقرائن وأدلة شرعية تدلّ أن الله عالٍ على خلقه وليس معنا بذاته، كلّ الأدلة التي دلّت على علو الله على خلقه تدلّ على ذلك، وهي متواترة، فهما جوابان نجيب عن هذه الشبهة، فهو تأويل صحيح إن قلنا بأن الظاهر ما زعمتموه، فتأويلنا يكون تأويلاً صحيحاً بأدلة شرعية صحيحة، أمّا تأويلاتكم فباطلة لأنّها لا أدلة شرعية صحيحة عليها، لكننا مع ذلك في الأصل لا نسلم أن الظاهر هو ما ذكرتموه، وسيأتي ما يبين لكم أن الظاهر هو ما فسرنا عليه الآية وهو أنه معنا بعلمه.

قال: "والجواب: أن الكلام في هاتين الآيتين حقّ على حقيقته وظاهره. ولكن ما حقيقته وظاهره؟" هل حقيقته وظاهره ما تزعمونه؟ لا، كذب، الحقيقة والظاهر هو ما زعمناه نحن، أو ما نصصنا عليه نحن، زعم هذه تأتي أحيانا للتشكيك في الكلام، وأحيانا تأتي لتصديق الكلام، ما فيه مشكلة، طيب، قال: "هل يُقال: إن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معيّة تقتضي أن يكون مختلطاً بهم، أو حالاً في أمكنتهم؟" هذا المعنى الذي زعموه هم، قالوا بأنّ الله معنا يعني: معنا بذاته، فهو مختلط بنا، على ما تقوله فرق الضلال من الصوفية والجهمية وغيرهم، "أو يُقال: أن ظاهره وحقيقته أن الله تعالى مع خلقه معيّة تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وتديراً وسلطاناً، وغير ذلك من معاني ربوبيته، مع علوه على عرشه فوق جميع خلقه؟" هذا المعنى الثاني هو الصحيح وهو ظاهر النصوص، قال رحمه الله: "ولا ريب أن القول الأول لا يقتضيه السياق" يعني المعنى الذي ذكره بأنّ الله معنا بذاته، "ولا يدلّ عليه بوجه من الوجوه، وذلك لأنّ المعية هنا أضيفت إلى الله عز وجل، وهو

أعظم وأجلّ من أن يحيط به شيء من مخلوقاته" لأنه قال هو: هو الذي معنا، وبما أنّه معنا فهو أجلّ من أن يكون مختلطاً بنا ومعنا بذاته، قال: "ولأنّ المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن لا تستلزم الاختلاط أو المصاحبة في المكان، وإنما تدلّ على مطلق المصاحبة، ثم تفسر في كلّ موضع بحسبه" يعني: عندما تُطلق كلمة المعية لا يقتضي منها مباشرة الاختلاط، وأن يكون معنا بذاته في لغة العرب، بل كما يُقال أحياناً تكون بمعنى آخر، كأن تقول مثلاً: سرنا والقمر معنا، هل يلزم من ذلك أنّ القمر يخالطنا وهو بيننا؟ لا يلزم، إذاً كلمة "مع" في لغة العرب لا يلزم منها المخالطة، قال: "وتفسير معية الله تعالى لخلقه بما يقتضي الحلول والاختلاط باطل من وجوه:

الأول: أنّه مخالف لإجماع السلف. فما فسرهما أحد منهم بذلك، بل كانوا مجمعين على إنكاره.

الثاني: أنّه منافٍ لعلوّ الله تعالى الثابت بالكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة، وإجماع السلف، وما كان منافياً لما ثبت بدليل كان باطلاً بما ثبت به ذلك المنافي. وعلى هذا فيكون تفسير معية الله لخلقه بالحلول والاختلاط باطلاً بالكتاب والسنة والعقل والفطرة وإجماع السلف"، وهم يقولون معنا بهذا، كثير منهم يقرّ معنا بذلك إلا أهل الحلول والاتحاد والجهمية الذين يقولون الله في كل مكان.

"الثالث: أنّه مستلزم للوازم باطلة لا تليق بالله سبحانه تعالى.

ولا يمكن لمن عرف الله تعالى وقدره حقّ قدره، وعرف مدلول المعية في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أن يقول: إنّ حقيقة معية الله لخلقه تقتضي أن يكون مختلطاً بهم أو حالاً في أمكنتهم، فضلاً عن أن تستلزم ذلك. ولا يقول ذلك إلا جاهل باللغة، جاهل بعظمة الرّب جلّ وعلا.

فإذا تبين بطلان هذا القول تعين أن يكون الحقّ هو القول الثاني، وهو أنّ الله تعالى مع خلقه معية تقتضي أن يكون محيطاً بهم علماً وقدرةً وسمعا وبصراً وتديراً وسلطاناً، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته مع علوّه على عرشه فوق جميع خلقه، وهذا هو ظاهر

الآيتين بلا ريب، لأنهما حقّ، ولا يكون ظاهر الحقّ إلّا حقّاً، ولا يمكن أن يكون الباطل ظاهر القرآن أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "الفتاوى الحموية" (ص 103، ج 5) من "مجموع الفتاوى" لابن القاسم: "ثم هذه المعية تختلف أحكامها بحسب الموارد، فلها قال: "يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا" إلى قوله: "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" دلّ ظاهر الخطاب على أنّ حكم هذه المعية ومقتضاها: أنّه مطلع عليكم، شهيد عليكم، ومهيمن، عالم بكم، وهذا معنى قول السلف إنّهم معهم بعلمه" لأنّه بدأ الآية بالحديث عن العلم وختمها بالكلام عن العلم فدلّ ذلك على أنّ المقصود بالمعية: العلم، وهذا ظاهر الخطاب وحقيقته. وكذلك في قوله: "مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ" إلى قوله: "هو معهم أين ما كانوا" لأنّ سياق الآية كلّها كان في العلم، فذلك دلّ على أنّ المعية المقصودة هي معية العلم، قال: "ولمّا قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه في الغار: "لا تحزن إنّ الله معنا" كان هذا أيضاً حقّاً على ظاهره، ودلّت الحال على أنّ حكم هذه المعية هنا معية الإطلاع والنصر والتأييد" ماذا كان حالهم؟ كان أبو بكر خائفاً أن يطلع الكفار عليهم ويجدوهم ويقتلوهم، فكان خائفاً فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم منه ذلك قال: "لا تحزن إنّ الله معنا" فبدلّ الحال الذي كانوا فيه على المعنى المراد من المعية وهي معية النصرة ومعية التأييد، واضح من الكلام، سياقه يدلّ على ظاهره، قال المؤلف رحمه الله: "ثم قال: "لفظ المعية قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كلّ موضع أموراً لا يقتضيها في الموضع الآخر. فإمّا أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدلّ على قدر مشترك بين جميع مواردّها، وإنّ امتاز كلّ موضع بخصوصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرّب عزّ وجلّ مختلطة بالخلق، حتى يُقال: قد صرفت عن ظاهرها" اهـ" يعني: لفظ المعية يفهم معناه من خلال ما يدلّ عليه سياق الألفاظ التي تأتي، والحال وسبب النزول، الأشياء هذه كلّها تدلّ على المعنى المراد من المعية، وهي على جميع الأحوال لا تدلّ

على معنى معية في ذاته مختلطاً بخلقه، أبداً لا تدلّ على هذا المعنى نهائياً، في جميع المواضع.

قال المؤلف: "ويدلّ على أنّه ليس مقتضاها أن تكون ذات الربّ عزّ وجلّ مختلطة بالخلق: أنّ الله تعالى ذكرها في آية المجادلة بين ذكر عموم علمه في أول الآية وآخرها، فقال: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" انظر إلى هذه الآية: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ" بدأها بالعلم و ختمها بقوله: "إنّ الله بكلّ شيء علیم"، إذا ظاهر الآية على أنّ الله معنا بعلمه، قال: "فيكون ظاهر الآية: أنّ مقتضى هذه المعية علمه بعباده، وأنّه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم، لا أنّه سبحانه مختلط بهم، ولا أنّه معهم في الأرض. أمّا في آية الحديد فقد ذكرها الله تعالى مسبوقة بذكر استوائه على عرشه، وعموم علمه متلوة ببيان أنّه بصير بما يعمل العباد، فقال: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" وهذه واضحة الدلالة أيضاً، هو عالٍ على عرشه، ومع ذلك يعلم كلّ شيء في خلقه، قال: "فيكون ظاهر الآية: أنّ مقتضى هذه المعية علمه بعباده وبصره بأعمالهم مع علوه عليهم واستوائه على عرشه، لا أنّه سبحانه مختلط بهم، ولا أنّه معهم في الأرض، وإلاّ لكان آخر الآية مناقضاً لأولها الدال على علوه واستوائه على عرشه، فإذا تبين ذلك علمنا أنّ مقتضى كونه تعالى مع عباده أنّه يعلم أحوالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر شؤونهم، فيحي ويميت، ويغني ويفقر، ويؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزّ من يشاء، ويدلّ من يشاء، إلى غير ذلك مما تقتضيه ربوبيته وكمال سلطانه، لا يحجبه عن خلقه شيء. ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة، ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة" لاحظ قوله

هنا: "ومن كان هذا شأنه فهو مع خلقه حقيقة" معية علمية، وليس معهم بمعنى الاختلاط، قال: "ولو كان فوقهم على عرشه حقيقة" هو فوقهم على عرشه حقيقة ولكن بعلمه و تديره هو معهم، قال: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية في "العقيدة الواسطية" (ص 142، ج 3) من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم، في فصل الكلام على المعية، قال: "وكلّ هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنّه فوق العرش، وأنّه معنا، حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة" اهـ" ما المقصود بحقّ على حقيقته؟ يعني: بعلمه وتديره وحفظه تبارك وتعالى، لا معنى ذلك أنّه مختلط بهم، وهذا المعنى الذي ذكره، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة، الظنون الكاذبة: أنّ الله مختلط بهم، قال: "وقال في "الفتوى الحموية" (ص 102 103، ج 5) من المجموع المذكور: "وجماع الأمر في ذلك: أنّ الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبر كتاب الله وسنة نبيه، وقصد اتباع الحقّ، وأعرض عن تحريف الكلم عن مواضعه، والإلحاد في أسماء الله وآياته، ولا يحسب الحاسب أنّ شيئاً من ذلك يناقض بعضه بعضاً البتة، مثل أن يقول القائل: ما في الكتاب والسنة من أنّ الله فوق العرش يخالفه الظاهر من قوله: "وَهُوَ مَعَكُمْ"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إذا قام أحدكم إلى الصلاة فإنّ الله قبل وجهه" ونحو ذلك، فإنّ هذا غلط، وذلك: أنّ الله معنا حقيقة، وهو فوق العرش حقيقة، كما جمع الله بينهما في قوله سبحانه تعالى: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"، فأخبر أنّه فوق العرش يعلم كلّ شيء وهو معنا أينما كنا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الأوعال: "والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه" اهـ" حديث الأوعال ضعيف، انتهى هنا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، خلاصة هذا البحث كلّ أنّه علوّ الله تبارك وتعالى على خلقه بذاته كما قال الرحمن تبارك وتعالى: "الرحمن على العرش استوى" وأنّ معيته المقصود بها: معية العلم، معية

الإحاطة، معية التدبير، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وما جاء من آيات فهم منها أهل التعطيل الحلول والاتحاد، أو فهموا منها المخالطة لله تبارك وتعالى خلقة، فما فهموه باطل، وظاهر النصوص لا يدلّ على ما ذكروا، بل سياقها يدلّ بشكل واضح على أنّ المراد به العلم والإحاطة والتدبير والنصر والحفظ، إلى غير ذلك من أفعاله تبارك وتعالى، فإذاً الظاهر منفي، ولو سلّمنا لهم بأنّ ظاهر ما ذكروه فهي مؤولة باعتبار ما دلّت عليه الأدلة الأخرى الواضحة المحكّمة من أنّ الله عالٍ على عرشه، وليس مختلطاً بهم، وهذا ينتهي، فتكون شبهتهم منفية، لأننا قد تأولنا التأويل الذي تأولوه هم، تأويلنا يختلف عن تأويلكم، تأويلكم لغير أدلة شرعية وتأويلنا للأدلة شرعية، ومع هذا كلّ لا نسلم لكم بأننا صرفنا النصوص عن ظاهرها لأنّ ظاهرها حقّ، فنصوص الكتاب والسنة ظواهرها حقّ، ولا تحتاج منّا إلى تأويل، وما ذكرتم أنّنا تأولناه فإنّما أنّه ضعيف أصلاً لا يصحّ، أو أنّه صحيح ولكن فهمكم لظاهره باطل، ولا نسلم لكم بأنّه هو الظاهر، بل الظاهر ما ذكرناه لكم بدلالة السياق والسباق والتركيب والإضافة وسبب النزول، كلّ هذه الأشياء تعيننا على فهم ظواهر النصوص والمراد منها.

والله أعلم ونكتفي اليوم بهذا القدر، نكل إن شاء الله في الدرس القادم، وفقنا الله وإياكم لطاعته.

الدرس العشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد وقفنا في الدرس الماضي عند المثال الخامس والسادس وهي أمثلة المعية، آية سورة الحديد: وهو معكم أين ما كنتم وآية سورة المجادلة، قول الله تبارك وتعالى: ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا وهو معهم أين ما كانوا هما آيتان، المثال الخامس والسادس يتحدثان عن المعية، ومن المقرر عند أهل السنة والجماعة أنّ الله سبحانه وتعالى عالٌّ على خلقه مستوٍ على عرشه تبارك وتعالى، وهو معهم أينما كانوا، المعية هنا المقصود بها: معية العلم، معية الحفظ، معية النصرة، والمعية معيتان: معية عامة للناس جميعاً وهي معية العلم والإحاطة، ومعية خاصة: معية النصرة والتأييد وهذه خاصة بالمؤمنين، أمّا الأولى فهي عامة لجميع الناس، والمعية التي وردت في هاتين الآيتين وغيرها من الآيات هي معية الله سبحانه وتعالى بعلمه، بإحاطته، بنصرته، بتأييده إلى آخره، وليست معية بذاته تبارك وتعالى، فهو ليس مختلطاً بعباده، فالآيات والأحاديث التي دلّت على المعية لا تستلزم ذلك، هذا ما يجب أن يعتقده المسلم في هذه المسألة، أنّ الله سبحانه وتعالى عالٌّ على عرشه وهو معهم بعلمه، هذا ما يقرره علماء السلف رضي الله تعالى عنهم، وهذه الآيات التي ذكرت هنا لم يصرفها أهل السنة والجماعة عن ظاهرها، بل سياقها يدلّ على أنّ المقصود منها هو العلم، المعية العلمية، وقد تحدث المؤلف رحمه الله عن هذه المسألة وتوسع في الكلام فيها، ووصلنا عند قوله: واعلم أنّ تفسير المعية بظاهرها على الحقيقة اللائقة بالله تعالى لا يناقض ما ثبت من علوّ الله تعالى بذاته على عرشه، وذلك من وجوه ثلاثة: يعني: عندما نفسر الآيات التي تقدمت معنا بالمعية الحقيقية اللائقة بالله سبحانه وتعالى، ما المقصود بالمعية الحقيقية؟ هل يقصد بذلك الاختلاط؟ أن يكون الله سبحانه وتعالى مختلطاً بعباده؟ لا، ليس هذا المقصود بالمعية الحقيقية التي ذكرها المؤلف هنا، وإنّما المقصود

من ذلك هي معية العلم، معية الإحاطة، معية النصرة إلى آخره، وتفسير الآية على هذا المعنى لا ينافي علو الله تبارك وتعالى على خلقه ولا يناقضه، قال: وذلك من وجوه ثلاثة:

الأول: أن الله تعالى جمع بينهما لنفسه في كتابه المبين المنزه عن التناقض، وما جمع الله بينهما في كتابه فلا تناقض بينهما وإن زعم عقلك أنهما متناقضان، بما أن الله سبحانه وتعالى ذكر أنه عالٍ على عرشه مستوٍ عليه، وأنه تبارك وتعالى مع عباده، إذاً فهذا حق لا شك فيه، وإن ظننت أنت بعقلك أن هذا تناقض فليس بتناقض، ولكن التناقض حصل في عقلك أنت، لأن عقلك قاصر لا يفهم الأمور تامة، فحصل عنده هذا التناقض، لكن حقيقة الأمر أنه لا تناقض بينهما، وبما أن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عن هذا وهذا أنه كائن، إذاً فلا تناقض بين الأمرين، قال: وكل شيء في القرآن تظن فيه التناقض فيما يبدو لك فتدبره حتى يتبين لك لماذا؟ أي شيء مرّ بك في القرآن، أي مسألة مرّت بك في القرآن وظننت أن الأدلة متناقضة ومضطربة فيها فاعلم أن التناقض والاضطراب إنما هو في عقلك، لماذا رددناه إلى عقلك؟ لأن عقل الإنسان ناقص، مهما بلغ مبلغاً في التفكير والذكاء والحنكة إلى آخره، إلا أنه في النهاية ماذا؟ في النهاية عقل بشري، يعني: يدرك أشياء وتفوته أشياء، أما كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهي من عند رب العالمين، لا يمكن أن تتناقض، لأن كلّها شيء واحد، والله سبحانه وتعالى حكيم عليم قدير، لا يمكن لكلامه أن يتناقض وأن يضطرب، إنما التناقض والاضطراب يحصل في كلام الكذاب، في كلام الذي يتكلم من غير حكمة، من غير علم، هذا الذي يحصل في كلامه تناقض واضطراب، يعني: يعتريه الجهل، يعتريه النقص بأي وجه من الوجوه، فيحصل اضطراب وتناقض في كلامه، والله سبحانه وتعالى منزّه عن كلّ هذا، إذاً نحن عندنا يقين أن الله سبحانه وتعالى كلامه لا يتناقض ولا يضطرب، فإذاً حصل وفهمنا من كلام الله تناقض، إذاً فالتناقض أين؟ في عقولنا، لذلك ألف العلماء كتباً فيما يظهر

لبعض الناس أنه تناقض واضطراب في بعض الأدلة من الكتاب أو من السنة، ككتب اختلاف الحديث مثلاً التي ألف فيها الإمام الشافعي رحمه الله وغيره، وكذلك كتاب نفيس نافع، كتاب: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشيخ محمد أمين الشنقيطي، كتاب نافع جداً، وفي كتب التفسير أيضاً الكثير من هذا القبيل من التوفيق بين الأدلة التي يظهر لبعض الناس أنها متناقضة أو متعارضة، تكلم العلماء عنها وفكوا ما يشتبه على بعض الناس من أنه متناقض، قال: لقوله تعالى: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا هذا لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، أما ما كان من عند الله لا يكون فيه اختلاف أبداً، لأنه قائم على العلم وعلى الحكمة وعلى القدرة، كلها صفات الله سبحانه وتعالى يتصف بها، أما المخلوق فلا يتحلى بهذه الصفات (صفات الكمال) فيحدث في كلامه اختلاف واضطراب، قال: فإن لم يتبين لك فعليك بطريق الراسخين في العلم، الذين يقولون: آمنا به كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا يعني: بعد البحث والتفتيش وبعد النظر في الأدلة حاولت أن تزيل هذا التناقض الذي حصل في دماغك عن الأدلة، أدلة القرآن والسنة لكنك لم تستطع، ما توفقت إلى ذلك، ماذا تفعل؟ تسلم عندئذ وتقول: كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا آمنا به، وانتهينا، خلاص، يعني: آمنا أن هذا القرآن كله من عند الله وأن الاختلاف والاضطراب فيه لا يدخل عليه أبداً، وإنما أوتيت من جهلي وقلة علمي فما استطعت أن أصل إلى حقيقة المراد، عندئذ تسلم الأمر لله سبحانه وتعالى وتقول: آمنا به كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وبذلك تكون قد سلمت لأمر الله تبارك وتعالى وما وقعت في المحذور، وسلمت لأمر الله لأنك أنت جاهل في هذه المسألة وأنت متوقف فيها وليس عندك شيء لأن عقلك ما يعني أعانك على فهم نصوص الكتاب والسنة.

قال المؤلف: وكل الأمر إلى مُنْزِلِهِ الذي يعلمه، واعلم أن القصور في علمك أو في فهمك وأن القرآن لا تناقض فيه يعني: سلم لأمر الله سبحانه وتعالى، عليك بطريق الراسخين في العلم الذين يقولون: آمنا به كلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وكل أمره إلى الله سبحانه

وتعالى، واعلم أنّ القصور منك، بسبب جهلك وقلة علمك وصل الأمر معك إلى هذا الحد، سلّم بذلك وانتهى الأمر.

قال: وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام في قوله فيما سبق: كما جمع الله بينهما، وكذلك ابن القيم كما في مختصر الصواعق لابن الموصلي (ص 410، الإمام) في سياق كلامه على المثال التاسع مما قيل إنّه مجاز، قال: وقد أخبر الله أنّه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه، وقرن بين الأمرين كما قال تعالى: وذكر آية سورة الحديد التي معنا، نمثل بها، ثم قال: فأخبر أنّه خلق السماوات والأرض، وإنّه استوى على عرشه، وإنّه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه، كما في حديث الأوعال: والله فوق العرش يرى ما أنتم عليه، فعلوه لا يناقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه، بل كلاهما حقّاه. الكلام على ما مرّ وتقدم معنا، نفس المعنى.

الوجه الثاني: أنّ حقيقة معنى المعية لا يناقض العلوّ، فالاجتماع بينهما ممكن في حقّ المخلوق، فإنّه يُقال: ما زلنا نسير والقمر معنا يعني: لا يلزم من المعية المخالطة، والمثال على ذلك بالقمر، ولا يعدّ ذلك تناقضاً، ولا يفهم منه أحد أنّ القمر نزل في الأرض. فإذا كان هذا ممكناً في حقّ المخلوق، ففي حقّ الخالق المحيط بكلّ شيء مع علوه سبحانه من باب أولى، وذلك لأنّ حقيقة المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان، وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية (ص 103) المجلد الخامس من مجموع الفتاوى لابن القاسم، حيث قال: وذلك أنّ كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فليس ظاهرها في اللغة إلّا المقارنة المطلقة، من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال يعني: أنّها تدلّ على معنى ولا تدلّ على الثاني، المعنى الأول الذي تدلّ عليه ما هو؟ قال: المقارنة المطلقة، ما معنى المقارنة المطلقة؟ يعني: أنّ هذا وهذا مع بعضهما مقترنان، بماذا؟ بالشيء الذي جُمعَ بينهما، تقول أسير والقمر، يعني: أسير مع القمر، إذاً اجتماعاً في السير، ولا يلزم من ذلك المعنى الثاني وهو وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال، لا يجب أن يكون مختلطاً بك، الذي قلت هو

معي، لا يجب أن يكون مختلطاً بك أو أن يكون عن يمينك أو عن شمالك، قال: فإذا قيدت بمعنى من المعاني دلّت على المقارنة في ذلك المعنى خصيصاً في المعنى الذي ذكرته، فإنه يُقال: ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم معنا. ويُقال: هذا المتاع معي، لمجامعته لك وإن كان فوق رأسك، فالله مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة المعنى واحد في النهاية، نفس كلام شيخ الإسلام هو كلام ابن القيم هو كلام الشيخ ابن عثيمين أن معية الله سبحانه وتعالى أو علو الله سبحانه وتعالى على خلقه، ومعية الله سبحانه وتعالى التي ذكرها وهو معية العلم، إلى آخره لا تناقض بينهما، ولا يلزم من معية الله سبحانه وتعالى المخالطة، قال: وصدق رحمه الله تعالى، فإن من كان عالماً بك، مطلعاً عليك، مهيمناً عليك، يسمع ما تقول، ويرى ما تفعل، ويدبر جميع أمورك، فهو معك حقيقة، وإن كان فوق عرشه حقيقة، لأن المعية لا تستلزم الاجتماع في المكان بعض الناس عندما يسمع معية حقيقة يفهم من ذلك الاختلاط وهذا باطل، وقد فسره المؤلف أكثر من مرة ماذا يعني بالمعية الحقيقية.

قال: الوجه الثالث: أنه لو فرض امتناع اجتماع المعية والعلو في حق المخلوق، لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق يعني: لو تصورنا أنه لا يمكن أن نجتمع بين أن يكون الشيء معك وعالٍ عليك بالنسبة للمخلوقات، إما أن يكون معك أو أن يكون عالياً عليك بالنسبة للمخلوق، فلا يلزم ذلك أن يكون كذلك بالنسبة للخالق، يعني: ما يلزم في المخلوق لا يلزم في الخالق، هذا لو قلنا بأنه لازم في المخلوق، واضح الكلام أظن، قال: لم يلزم أن يكون ذلك ممتنعاً في حق الخالق، الذي جمع لنفسه بينهما، لأن الله تعالى لا يماثله شيء من مخلوقاته، كما قال تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وإلى هذا الوجه أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية (ص 143، ج 3) من مجموع الفتاوى، حيث قال: وما ذكر في الكتاب والسنة من قربهِ ومعيتهِ لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو عليٌّ في دنوه، قريب في علوه اهـ في جميع نعوته يعني: في جميع صفاته، وهو مع علوه تبارك

وتعالى هو أيضاً قريب من عباده يعلم ما يفعلون، ويسمع ويبصر، إلى آخره، إذاً لو تصورنا أنّه لا يمكن أن يكون الإنسان المخلوق عالٍ عليك وفي نفس الوقت معك، فيمكن أن نتصوره في حقّ الخالق تبارك وتعالى، لماذا؟ لأنّ الخالق والمخلوق لا يتشابهان أو لا يتماثلان، فلا يصحّ أن نقيس الخالق على المخلوق فنقول بما أنّه لا يصحّ في المخلوق فلا يصحّ في الخالق، أبداً هذا باطل، هذا معنى ما ذكره.

قال رحمه الله: تمت: انقسم الناس في معية الله تعالى لخلقهم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يقولون: إنّ معية الله تعالى لخلقهم مقتضاها العلم والإحاطة في المعية العامة، ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة ذكرنا لكم المعية قسمان معية عامة ومعية خاصة، المعية العامة لكلّ الناس، المعية الخاصة خاصة بالمؤمنين وأهل الصلاح، معية النصر والتأييد، قال: ومع النصر والتأييد في المعية الخاصة، مع ثبوت علوه بذاته، واستوائه على عرشه وهذا هو عقيدة أهل السنة والجماعة، قال: وهؤلاء هم السلف. ومذهبهم هو الحقّ، كما سبق تقريره.

القسم الثاني: يقولون: إنّ معية الله لخلقهم مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع نفي علوه واستوائه على عرشه يعني: يقولون إذا قلنا بأنّ الله معنا إذاً فهو مختلط بنا، وهو معنا موجود على الأرض مختلط بنا، وهو ليس مستوٍ على عرشه، لذلك هم ينفون تماماً أن تقول الله سبحانه وتعالى في السماء، وينكرون إنكاراً شديداً لهذا، قال: وهؤلاء هم الحلولية من قدماء الجهمية وغيرهم. ومذهبهم باطل منكر، أجمع السلف على بطلانه وإنكاره، كما سبق وكثير من الصوفية على هذا المذهب، مذهب الحلول والاتحاد.

القسم الثالث: يقولون: إنّ معية الله لخلقهم مقتضاها أن يكون معهم في الأرض، مع ثبوت علوه فوق عرشه. ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية (ص 229، ج 5) من مجموع الفتاوى قال: وقد زعم هؤلاء أنّهم أخذوا بظاهر النصوص في المعية والعلو. وكذبوا في ذلك فضلوا، فإنّ نصوص المعية لا تقضي ما ادعوه من الحلول، لأنّه

باطل، ولا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم باطلاً هؤلاء القسم الثالث قالوا ما قالوه القسم الأول من أن الله معنا مختلط بخلقه، لكن الفرق بينهم أن هؤلاء أيضاً أثبتوا علو الله على خلقه وهم يثبتون علو الله على خلقه ويثبتون أنه في الأرض مع خلقه، مختلط بهم، وهؤلاء قولهم باطل منكر مخالف للأدلة الواضحة الصريحة ومخالف لإجماع السلف رضي الله عنهم.

قال المؤلف: تنبيه: اعلم أن تفسير السلف لمعية الله تعالى لخلقه بأنه معهم بعلمه لا يقتضي الاقتصار على العلم، بل المعية تقتضي أيضاً إحاطته بهم سمعاً وبصراً وقدرةً وتديراً، ونحو ذلك من معاني ربوبيته يعني: لا تفسر المعية بالعلم فقط، لا، هو أوسع من هذا، أفعال الله سبحانه وتعالى بخلقه، كما مثل المؤلف من السمع والبصر والقدرة والتدبير ونحو ذلك من أفعال الله سبحانه وتعالى.

قال: تنبيه آخر: أشرت فيما سبق إلى أن علو الله تعالى ثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع: الآن يريد أن يذكر المؤلف الأدلة على علو الله تبارك وتعالى على خلقه.

أما الكتاب: فقد تنوعت دلالاته على ذلك وقد جمع الحافظ الذهبي رحمه الله كتاباً في ذلك سماه كتاب: العلو جمع أدلة كثيرة، وجمع أقوال السلف رضي الله عنهم في هذه المسألة وهو كتاب جامع في هذه المسألة حقيقة، وقد اختصره الإمام الألباني رحمه الله فحذف منه الضعيف وأثبت الصحيح، قال: فتارةً بلفظ العلو والفوقية والاستواء على العرش، وكونه في السماء، كقوله تعالى: وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ، وتارةً بلفظ صعود الأشياء وعروجها ورفعها إليه، كقوله: إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ صَعِدَ أَيْنَ؟ إلى السماء، أي إلى الله سبحانه وتعالى، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ، إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ارْفَعْكَ وَإِنِّي مَتُوفٍ بِكَ وَإِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ، وتارةً بلفظ نزول الأشياء منه، ونحو ذلك، كقوله تعالى: قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ، يَدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وأما

السنة: فقد دلت عليه بأنواعها القولية والفعلية والإقرارية في أحاديث كثيرة تبلغ حد التواتر يعني أنها كثيرة جداً، رواها جمع عن جمع، وعلى وجوه متنوعة، كقوله صلى الله عليه وسلم في سجوده: سبحان ربي الأعلى، وقوله: إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي الشاهد: كتب عنده فوق عرشه، وقوله: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟، وثبت عنه أنه رفع يديه وهو على المنبر يوم الجمعة يقول: اللهم أغثنا يرفع يديه لمن؟ لله سبحانه وتعالى، مستوٍ على عرشه، وأنه رفع يده إلى السماء وهو يخاطب الناس يوم عرفة حين قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال: اللهم اشهد كان يشير إلى السماء، ويشير إليهم، قال: وأنه قال للجرارية: أين الله؟ قالت: في السماء، فأقرها وقال لسيدها: اعتقها، فإنها مؤمنة. وأما العقل: فقد دلّ على وجوب صفة الكمال لله تعالى وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو، وتنزيهه عن ضده.

قال المؤلف: وأما الفطرة: فقد دلت على علو الله تعالى دلالة ضرورية فطرية، فما من داعٍ أو خائفٍ فزع إلى ربه تعالى إلا وجد في قلبه ضرورة الاتجاه نحو العلو، لا يلتفت عن ذلك يميناً ولا يسرة، يعني: عندما يتوجه بالدعاء إلى أين؟ إلى الله سبحانه وتعالى، إلى العلو، لا يتوجه لا إلى اليمين ولا إلى الشمال، قال: واسأل المصلين، يقول الواحد منهم في سجوده: سبحان ربي الأعلى أين تتجه قلوبهم حينذاك.

وأما الإجماع: فقد أجمع الصحابة والتابعون والأئمة على أن الله تعالى فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، وكلامهم مشهور في ذلك نصاً وظاهراً، قال الأوزاعي: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما جاءت به السنة من الصفات، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم، ومحال أن يقع في مثل ذلك خلاف، وقد تطابقت عليه هذه الأدلة العظيمة، التي لا يخالفها إلا مكابر طمس على قلبه، واجتالته الشياطين عن فطرته، نسأل الله تعالى السلامة والعافية، آمين، قال: فعلو الله تعالى بذاته وصفاته من أبين الأشياء وأظهرها دليلاً، وأحقّ

الأشياء وأثبتها واقعا.

قال المؤلف رحمه الله: تنبيه ثالث: اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة، تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه، وذكرت فيها: أن عقيدتنا: أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به لاحظ هنا، ركزوا على كلمة ذاتية، هنا المؤلف رحمه الله يذكر ما حصل معه رحمه الله في فترة من الفترات، كتب عقيدة لبعض الناس وقرر فيها أن الله سبحانه وتعالى معنا حقيقة بذاته، ولأجل كلمة بذاته هذه حصل الخلاف والنزاع، فأنكر عليه بعض أهل العلم وقالوا هذا لا يجوز لأنه يوهم عقيدة الحلول التي ذكرناها، ذكرنا بعض الناس يقول بها، فكلمة بذاته توهم هذا المعنى، لذلك أنكر على الشيخ هذا الكلام رحمه الله تراجع عنه كما سيقره الآن معنا، قال: أن عقيدتنا: أن لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به وتقتضي إحاطته بكل شيء علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتديراً، وأنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم هذا المعنى أنه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، هذا المعنى هو الذي فهم من قوله: ذاتية، فهم من ذلك أنه مختلط بخلقه وأنه حال في أمكنتهم، فهنا ركز المؤلف على نفي هذا المعنى، قال: بل هو العليّ بذاته وصفاته، وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وأنه مستو على عرشه كما يليق بجلاله، وأن ذلك لا ينافي معيته، لأنه تعالى: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، قال: وأردت بقولي: (ذاتية) هي هذا محل الخلاف، والإشكال الذي حصل مع الشيخ، تأكيد حقيقة معيته تبارك تعاليعني: أنه لا يريد معنى الاختلاط بالخلق ومعنى أنه حال في أمكنتهم، قال: وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف؟ وقد قلت في نفس هذه الكتابة كما ترى: أنه سبحانه منزّه أن يكون مختلطاً بالخلق أو حالاً في أمكنتهم، وأنه العليّ بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها، وقلت فيها أيضاً ما نصّه بالحرف الواحد: ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان فهو كافر أو ضالّ إن اعتقده، وكاذب إن نسبته إلى

غيره من سلف الأمة أو أئمتها اهفتقريراته مع تلك الكلمة التي ذكرها وإن كانت الكلمة في حد ذاتها موهمة، حقيقة الكلمة موهمة، لكن ما ذكره لهذه القرائن معه تدلّ على أنّه ما أراد المعنى الفاسد، لكن يا إخوان بارك الله فيكم وكما سيفعل الشيخ إن شاء الله، في مسائل العقيدة احذر حذراً شديداً من أن تنطق بكلمات مجملة أو موهمة، هذا أمر خطير، لأنّه كما حصل مع الشيخ هنا عندما تكلم بهذه الكلمة طار بها أهل الحلول والاتحاد، وقالوا انظروا إلى الشيخ ابن عثيمين يقرّر عقيدتنا، مع أنّ كلامه ليس معهم، لكن خلاص صار فيه شبهة في الأمر، والشيخ رحمه الله تراجع عن هذا الأمر والحمد لله، ونفس كلام الشيخ الذي فيه سياق تلك الكلمة يدلّ على أنّه ما أراد المعنى الفاسد، وهذا قد قرّره في نفس الكلام ثم قرّره بعد أن تراجع عن هذا الكلام أصلاً، لكن هذا نأخذه درساً، لا نتكلم بالكلمات الم جملة في العقائد، لأنّ الأمر خطير، فيه تلبيس ويلتبس فيه الحقّ بالباطل، وسنتحدث إن شاء الله عن هذه المسألة في كتب العقيدة الأخرى كشرح عقيدة السلف وأصحاب الحديث عند الكلام عن قول بعضهم: لفظي بالقرآن مخلوق، قال هنا المؤلف: ولا يمكن لعقل عرف الله وقدره حقّ قدره أن يقول: إنّ الله مع خلقه في الأرض، وما زالت ولا أزال أنكر هذا القول في كلّ مجلس من مجالسي جرى فيه ذكره، وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة آمين، وجزاه الله خيراً، وقد أزال الشبهة تماماً في كلامه، قال: هذا، وقد كتبت بعد ذلك مقالا نُشر في مجلة: (الدعوة) التي تصدر في الرياض، نُشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404 هـ أربع وأربعمئة وألفها المؤلف رحمه الله يعلننا دروساً، الشيخ ابن عثيمين معلم وليس بالقول فقط بل بالفعل أيضاً، انظروا إلى هذا الدرس الذي يعلمه للطلبة أن ترجع مباشرة عن الخطأ، حتى وإن كان مجرد كلاماً موهماً أو مجملاً، ارجع عنه، اتركه، حفظ عقيدة المسلمين أولى من كلّ شيء، ماذا أنت أمام دين الله سبحانه وتعالى؟ أنت لا شيء، أمام شرع الله ودينه، يعني تفني نفسك في سبيل الله سبحانه

وتعالى، ألا تتراجع عن كلمة أخطأت فيها من أجل أن تحفظ دين الله سبحانه وتعالى، هنا المؤلف رحمه الله يعلمنا درساً في ذلك، قال بعد أن أخطأ في هذه الكلمة، أو عبر فيها بهذه الكلمة وأنكرت عليه وصار بسببها بلبلة، تراجع عن هذا الكلام، وإن كان رحمه الله ما أراد المعنى الفاسد، لكن كونها كلمة موهمة مجملة تراجع عنها، قال: هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة: (الدعوة) التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة 1404 هـ أربع وأربعمئة وألف برقم: 911، قررت فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: من أن معية الله تعالى لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق، فضلاً عن أن يستلزمه. ورأيت من الواجب لاحظ هنا قال: ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية) رأيت من الواجب، رآه واجباً بعد ذلك، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك مما لا يليق به تعالى فإنها كلمة باطلة، يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت لاحظ كيف تراجع، حذف الكلمة الخطأ التي رأى أنه يجب عليه أن يحذفها، ثم قرر بطلان العقيدة التي أوهمتها تلك الكلمة، هكذا يكون التراجع، تقرّر العقيدة الصحيحة وتبطل العقيدة الفاسدة وتحذف الكلام المجمل، قال: وكلّ كلام يوهم ولو عند بعض الناس لاحظ هذا الكلام: وكلّ كلام يوهم ولو عند بعض الناس ما لا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه، لئلا يُظنّ بالله تعالى ظنّ السوء، لكنّ ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فالواجب إثباته، وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عزّ وجلّ كلام واضح، أيّ كلام مجمل يوهم معنى باطلاً يجب حذفه، وإذا كان الكلام موجوداً في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فظاهره حق، وهذا إذا توهم بعض الناس أن فيه باطل يرد على هذا

التوهم ويبطل التوهم، فقط هكذا يكون التعامل مع مثل هذه المسائل، وبهذا نكون قد انتهينا من المثال الخامس والسادس، والحمد لله.

الدرس الواحد والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وصلنا عند المثال السابع والثامن. قال المؤلف رحمه الله: "المثال السابع والثامن: من الأمثلة التي ذكرها المؤلف مما اعترض أهل البدع على أهل السنة فيها وقالوا أنتم أولتم كما أولنا نحن، فذكروا أمثلة لذلك اعتراضاً على أهل السنة لماذا تأولون وتتكرون علينا التأويل، ونحن ذكرنا قلنا: الأمر الأول: نحن لا نسلم في كثير مما ذكرتموه بأنه تأويل، نحن لا نسلم بأنه تأويل، بل هو ظاهر النصوص.

الأمر الثاني: لو سلمنا أنه تأويل فتأويلنا يختلف عن تأويلكم، فتأويلكم لا ينبغي على دليل صحيح شرعي سليم أو حتى على عقل سليم خالٍ من شبهات الضلال، أمّا تأويلنا فبني على أدلة شرعية صحيحة.

هكذا يكون الجواب بشكل مجمل، ثم فصل الشيخ رحمه الله في إجابته فقال: "المثال السابع والثامن: قوله تعالى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"، وقوله: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ".

هنا قال أهل التعطيل ظاهر الآية الأولى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" أن الله بنفسه أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، نحن: هذا عائد إلى الله سبحانه وتعالى، وهذا الجمع جمع تعظيم.

أَقْرَبُ إِلَيْهِ: إلى المحتضر الذي حضره الموت، الذي قارب على الموت. حَبْلِ الْوَرِيدِ: الذي هو العرق الموجود في صفحة العنق، عرق غليظ موجود في صفحة العنق.

يعني: أن الله سبحانه وتعالى أقرب إليه من هذا العرق الذي هو جزء منه، وعرق قريب إلى القلب مع ذلك هذا العرق كونه جزء منه الله سبحانه وتعالى أقرب إلى المحتضر (الإنسان) من هذا العرق، فما المقصود بالقرب هنا؟ قال أهل التعطيل:

وظاهر الآية الأولى أنّ الله بنفسه أقرب إلى الإنسان ومع ذلك أنتم لا تقولون بهذا، لا تقولون بأنّ الله أقرب إلى الإنسان بذاته، لا تقولون هذا، تقولون الله مستوٍ على عرشه، وأولتم هذه الآية بمعنى قرب الملائكة وقلتم بأنّ الله سبحانه وتعالى، أي: ملائكته القريبين، وقالوا هذا تأويل، وبعضكم قال: هو قريب بعلمه ورؤيته وقدرته، البعض قال هذا، والبعض قال هذا، وكلا الأمرين عندهم تأويل، يقولون: أولتم لأنكم خالفتم ظاهر الآية التي ظاهرها أنّ الله بنفسه أقرب إلى العبد من حبل الوريد، وكذلك في الآية الثانية: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ" أي: الله سبحانه وتعالى أقرب إلى المحتَضِر من الناس الذين حوله، وهنا قال: "حيث فُسرّ القرب فيهما بقرب الملائكة" أهل السنة من السلف رضي الله عنهم والمعروف عن السلف أنّهم يفسرون هاتين الآيتين بقرب الملائكة وقالوا: معنى "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" أي: ملائكة الله تبارك وتعالى، فقال أهل التعطيل: هذا خلاف الظاهر، والظاهر من الآية أنّ الله هو بنفسه قريب من المحتَضِر.

فقال الشيخ رحمه الله: "والجواب: أنّ تفسير القرب فيهما بقرب الملائكة ليس صرفاً للكلام عن ظاهره لمن تدبره" من تأمل الآية جيداً سيجد أنّ ما ادعوه من أنّه ظاهر الآية ليس بظاهر، فلا نسلم معهم بأنّ ظاهر الآية ما ذكرتموه، كيف؟ قال الشيخ: "أمّا الآية الأولى: فإنّ القرب مقيدٌ فيها بما يدلّ على ذلك، حيث قال: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" لو جاءت الآية هكذا فقط لقلنا نعم معكم حقّ وظاهر الآية، لكنّ للآية تمة أكملوا الآية: "إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"، ففي قوله: "إِذْ يَتَلَقَّى" دليل على أنّ المراد به: قرب الملكين المتلقيين" إذاً الظاهر اختلف الآن عند قطع الآية عن وصلها، لذلك فسرّها السلف رضي الله عنهم بما ذكرنا من قرب الملائكة، اقتنعت بهذا الكلام الحمد لله، ما اقتنعت به وقلت وأصررت على أنّه تأويل، أقول لك هذا تأويل بالدليل لأنّه قد ثبت عندنا بالأدلة الشرعية القطعية أنّ الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه وأنّه ليس

مخالطاً لخلقهم وليس معهم بذاته مختلطاً بهم وثبتت الأدلة الشرعية القطعية بذلك، إذاً لو أولنا فتأويلنا مبني على دليل شرعي وليس على أوهام، مع أنّ ما ذكره الشيخ قوي وواضح، سياق الآية يدلّ على ظاهرها.

قال المؤلف رحمه الله: "وأما الآية الثانية: فإنّ القرب فيها مقيد بحال الاحتضار" الاحتضار: يعني الإنسان قارب على الموت فالقرب فيها يكون مقيداً فيها بهذه الحال وليس قرباً مطلقاً، قال: "والذي يحضر الميت عند موته هم الملائكة" من أين لنا هذا؟ قال: "لقوله تعالى: "حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ" من الذي توفّاه؟ رسلنا: يعني الملائكة، إذاً هذه الآية هي التي دلّتنا على ظاهر تلك الآية، قال: "ثم إنّ في قوله: "ولكن لا تبصرون" هذا دليل آخر على أنّ الظاهر ليس ما ذهبوا إليه ولكن الظاهر أنّهم الملائكة، لماذا؟ للأمر الأول أنّه ثبت أنّ الملائكة هم الذين يحضرون الميت عند قرب موته، وكذلك قوله: "ولكن لا تبصرون"، قال: "دليلاً بينّا على أنّهم الملائكة، إذ يدلّ على أنّ هذا القريب في نفس المكان" يعني: القريب الذي ذكره الله سبحانه وتعالى موجود في نفس المكان الذي فيه من حول الميت، قال: "ولكن لا نبصره، وهذا يعين أنّ يكون المراد قرب الملائكة، لاستحالة ذلك في حقّ الله تعالى"، قال: "بقي أن يقال: فلماذا أضاف الله القرب إليه، وهل جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة؟" يعني: لماذا قال الله سبحانه وتعالى: "ونحن أقرب إليه من حبل الوريد؟" لماذا لم يقل الملائكة أقرب إليه من حبل الوريد؟ قال: "فالجواب: أضاف الله تعالى قرب ملائكته إليه لأنّ قربهم بأمره، وهم جنوده ورسله" يعني: لما كانوا قد يفعلون هذا الفعل بأمره كأنّه هو الذي فعله لذلك أضاف الأمر إلى نفسه، فهل هذا التعبير معروف في القرآن؟ قال: "وقد جاء نحو هذا التعبير مراداً به الملائكة، كقوله تعالى: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ" قوله هنا: "فَإِذَا قَرَأْنَاهُ" والمراد قراءة جبريل، قال: "فإنّ المراد به قراءة جبريل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع أنّ الله تعالى أضاف القراءة إليه" أضاف القراءة إلى نفسه سبحانه وتعالى، قال: "لكن لما

كان جبريل يقرؤه على النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الله تعالى صحّت إضافة القراءة إليه تعالى، وكذلك جاء في قوله تعالى: "فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ"، وإبراهيم إنّما كان يجادل الملائكة مع أنّه قال ماذا؟ يجادلنا، أي: أنّه يجادل من؟ الملائكة، قال: "وإبراهيم إنّما كان يجادل الملائكة الذين هم رسل الله تعالى"، إذاً التعبير مستعمل في القرآن، يضيف الله سبحانه وتعالى الأمر إلى نفسه ويريد به الملائكة، وثبت عندنا بالأدلة أنّ ظاهر النصوص هو ما ذكره السلف في تفسيرها من أنّها الملائكة وليس الله سبحانه وتعالى هو المراد والله أعلم.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: "المثال التاسع والعاشر: قوله تعالى عن سفينة نوح: "تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا"، وقوله لموسى: "وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي".

الآن هاتان الآيتان ظاهرهما عند أهل التأويل أنّ سفينة نوح تجري في عين الله وأنّ موسى يربى فوق عين الله، هكذا فهموا ظاهر هاتين الآيتين، قالوا: أنتم لا تقولون بهذا، إذاً قد تأوّلتم، قال المؤلف: "والجواب: أنّ المعنى في هاتين الآيتين على ظاهر الكلام وحقيقته" ماذا يعني؟ يقول بالظاهر الذي ذكره؟! لا، ولكن لا يسلم لهم أنّ الظاهر الذي ذكره هو ظاهر من الآيتين، قال: "لكن ما ظاهر الكلام وحقيقته هنا؟" هذا محل النزاع بيننا وبينكم، قال: "هل يُقال: إنّ ظاهره وحقيقته أنّ السفينة تجري في عين الله، أو أنّ موسى عليه الصلاة والسلام يربى فوق عين الله تعالى؟ أو يُقال: إنّ ظاهره أنّ السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلّوها" أي: تحفظها، "وكذلك تربية موسى تكون على عين الله تعالى يرعاه ويكلّوه بها" يعني: يحفظه، هذا المعنى الثاني هو ظاهر الآية وليس المعنى الأول، قال: "ولا ريب أنّ القول الأول باطل من وجهين: الأول: أنّه لا يقتضيه الكلام بمقتضى الخطاب العربي، والقرآن إنّما نزل بلغة العرب، قال الله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ"، وقال تعالى: "نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" إذاً القرآن كلّ بلسان عربي فصيح ولا يمكن أن تأتي لعربي وتذكر له هاتين الآيتين أو تكلمه بنفس الأسلوب

ويفهم عليك المعنى الذي ذكروه بأنه ظاهر الآيتين، قال: "ولا أحد يفهم من قول القائل: فلان يسير بعيني. أن المعني: أنه يسير داخل عينه. ولا من قول القائل: فلان تخرج على عيني. أن تخرجه كان وهو راكب على عينه. ولو ادعى مدع أن هذا ظاهر اللفظ في هذا الخطاب لضحك منه السفهاء فضلاً عن العقلاء" لأنه لا يفهم عند العرب أبداً ولا يتخاطبون بهذا الأسلوب، "الثاني: أن هذا ممتنع غاية الامتناع" أي: لا يمكن أن يحصل أبداً، لماذا؟ قال: "ولا يمكن لمن عرف الله وقدره حق قدره أن يفهمه في حق الله تعالى، لأن الله تعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، لا يحل فيه شيء من مخلوقاته، ولا هو حال في شيء من مخلوقاته، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً"، وهذا الذي دلّت عليه الأدلة الكثيرة والتي تقتضي تنزيه الله سبحانه وتعالى عن هذا أبداً ودائماً فلذلك لا يمكن أن يفهم هذا المعني لا بدلالة اللغة ولا بما يقتضيه تعظيم الله سبحانه وتعالى.

قال المؤلف: "فإذا تبين بطلان هذا من الناحية اللفظية والمعنوية، تعين أن يكون ظاهر الكلام هو القول الثاني: أن السفينة تجري وعين الله ترعاها وتكلؤها، وكذلك تربية موسى تكون على عين الله يرعاه ويكلؤه بها، وهذا معنى قول بعض السلف: "بمراى مني"، فإن الله تعالى إذا كان يكلؤه بعينه لزم من ذلك أن يراه، ولازم المعنى الصحيح جزء منه، كما هو معلوم من دلالة اللفظ، حيث تكون بالمطابقة والتضمن والالتزام"، إذاً بعض السلف فسّر وقال: "بمراى مني" يعني: أراه، فإذا كان الله سبحانه وتعالى يراه فهو يحفظه ويرعاه، هذا معنى الكلام والله أعلم.

انتهى المؤلف الآن من أمثلة القرآن وسيبدأ بأمثلة السنة، ذكر عشرة أمثلة من القرآن وسيذكر لنا خمسة أمثلة من السنة.

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الحادي عشر: قوله تعالى في الحديث القدسي "الحديث القدسي المقصود به هو الحديث الذي يرويه النبي عن ربه سبحانه وتعالى، ليس هو بالقرآن لكنه يرويه عن ربه تبارك وتعالى فألفاظه ليست متعبداً بها كألفاظ القرآن،

القرآن ألفاظه متعبد بها، تقرأ عبادةً لله سبحانه وتعالى أما الحديث القدسي فلا، هذا أحد الفروق بين القرآن والحديث القدسي.

قال: "قوله تعالى في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه" هذا من أفضل الأحاديث التي وردت في بيان فضيلة الإكثار من النوافل، يعني هذا نعمة الله سبحانه تعالى على العبد أن يكثر من النوافل، فإذا أكثر من النوافل نال محبة الله وما فيه شيء أعظم من أن تنال محبة الله سبحانه وتعالى، لأن الله سبحانه وتعالى إذا أحببك وفقت في الدنيا والآخرة ونلت أعالي الدرجات في الدنيا وفي الآخرة، أعالي المنازل، هذا الحديث قال فيه ربنا تبارك وتعالى: "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه" إذاً التقرب إلى الله سبحانه وتعالى بالفرائض أفضل من التقرب إلى الله بالنوافل لكن أيضاً إذا أردت أن تنال محبة الله يجب أن تجمع بينهما: الفرائض والنوافل، قال: "ولا يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه" يعني: ما يزال يكثر من هذا الشيء ويستمر عليه، الإكثار من النوافل والاستمرار عليها إلى أن يصل إلى محبة الله سبحانه وتعالى، "فإذا أحببته" إذا أحبه الله سبحانه وتعالى ما هي الفضيلة التي يحصل عليها؟ قال: "كنت سمعه الذي يسمع به" أي أن الله سبحانه وتعالى يوفقه في سمعه ويجعل سمعه على استقامة، فيجعل سمعه لله سبحانه وتعالى، في الطاعة، فيما ينفعه في الدنيا وفي الآخرة وكذلك بصره، وكذلك يده، "وبصره الذي يبصر به" كان الله سبحانه وتعالى بصره الذي يبصر به، يعني الله سبحانه وتعالى يوفقه فيما ينظر إليه فيمنعه من النظر إلى الحرام، وينظر إلى ما أحل الله سبحانه وتعالى وما فيه قربة إلى الله سبحانه وتعالى، "ويده التي يبطش بها" فيمنعه الله سبحانه وتعالى من فعل الحرام بيده ويوفقه إلى فعل الحلال بيده والقربات، "ورجله التي يمشي بها" هل يقول أحدٌ عاقل بأن ظاهر هذا الحديث أن الله سبحانه وتعالى يكون رجل العبد؟!!

أعوذ بالله! كيف يكون ظاهراً هذا الحديث بهذا المعنى وهو لا يظهر لأحد ولا يمكن لأحد أن يفهم المعنى على هذا المعنى أبداً، لا يمكن أن يُقال أن هذا ظاهر الحديث أبداً، قال: "ولئن سألتني لأعطينه" هذا هو التوفيق كله، أي أن الله سبحانه وتعالى يوفقه في حياته كلها ويجعله عبداً مطيعاً لله سبحانه وتعالى ويعطيه ما يحب، "ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذ بي لأعينه" يعني: دعائه يكون مستجاباً عند الله سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم هذه الفضيلة، أحثكم على الإكثار من النوافل، الصيام، الصلاة، الصدقة، أفضل النوافل التي يحبها الله سبحانه وتعالى أكثر من ذلك، قراءة القرآن، "لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله"، هذه الأشياء الإكثار منها تقربك إلى الله سبحانه وتعالى، طلب العلم، لكن مع استحضار النية، احذروا دائماً استحضار النية، طلب العلم، التعليم لمن كانت عنده أهلية من أعظم القرب إلى الله سبحانه وتعالى في هذا الزمن بالذات التي كثر فيه الجهل كلها كانت الحاجة للعبادة أكبر عند الناس كلها كان أجراها أعظم، عندما يكون الجهاد بالسيف الحاجة إليه أعظم يكون الجهاد بالسيف أفضل من طلب العلم، وعندما يكون الجهل هو المنتشر، هو العام بين الناس، والمقاتلين كثر عندئذ ماذا؟ يكون طلب العلم وتعليمه أفضل من القتال بالسيف، وهذا دائماً الناس بحاجة إلى طلب العلم وتعليمه خصوصاً بعد القرون الثلاثة الأولى، الجهل قد عم وانتشر وما زال في ازدياد، إذا فطلب العلم وتعليمه أفضل دائماً، وأحسن القرب إلى الله سبحانه وتعالى إذا خلصت النية.

هنا الآن يقول أهل التعطيل: ظاهر هذا الحديث أن الله يكون سمع الإنسان وبصره ويده ورجله، أعوذ بالله! فيه عاقل يقول هذا الكلام؟! قال فهل تقولون يا أهل السنة بذلك؟ لا، لا نقول بذلك، ونعوذ بالله من هذا ولا نوافقكم أن هذا ظاهر الحديث، لا يمكن لعبد أن يكون هذا المعنى ظاهراً له، أبداً، لا يظهر لأحد يعقل.

قال المؤلف: "والجواب: أن هذا الحديث صحيح، رواه البخاري في باب التواضع، الثامن والثلاثين من كتاب الرقاق، وقد أخذ السلف أهل السنة والجماعة بظاهر

الحديث، وأجروه على حقيقته. ولكن ما ظاهر هذا الحديث؟ هل يُقال إنَّ ظاهره أنَّ الله تعالى يكون سَمَعَ الوليِّ وبصره ويده ورجله؟ "نعوذ بالله من هذا، أبداً،" أو يُقال: إنَّ ظاهره أنَّ الله تعالى يسدّد الولي "يعني: يوفقه،" في سمعه وبصره ويده ورجله، بحيث يكون إدراكه وعمله لله وبالله وفي الله "عمله يعملهُ لله، يعني: خالصاً يتقرب به إلى سبحانه وتعالى ويستعين بالله في ذلك ويعمله في الله سبحانه وتعالى، يحبُّ في الله ويبغض في الله.

قال المؤلف: "ولا ريب أنَّ القول الأول ليس ظاهر الكلام، بل ولا يقتضيه الكلام لمن تدبر الحديث، فإنَّ في الحديث ما يمنعه من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ الله تعالى قال: "وما يزال عبدي يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه"، وقال: "ولئن سألتني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"، فأثبت عبداً ومعبوداً إذا صار فيه عندنا اثنين ليس واحداً، وأنتم إذا قلتم أنَّ الله سبحانه وتعالى يصير هو سمع الإنسان، إذا صار عندنا شيء واحد، العبد والمعبود شيء واحد، نعوذ بالله من هذا القول، قال: "فأثبت عبداً ومعبوداً، ومتقرباً ومتقرباً إليه، ومحباً ومحبوباً، وسائلاً ومسؤولاً، ومعطياً ومعطى، ومستعيذاً ومستعاذاً به، ومعيداً ومعاذاً" يعني: أثبت اثنين ليس واحداً، "فسياق الحديث يدلُّ على اثنين متباينين" يعني: منفصلين، مختلفين، "كلَّ واحد منهما غير الآخر وهذا يمنع أن يكون أحدهما وصفاً في الآخر أو جزءاً من أجزاءه"، لا يمكن أن يحصل هذا.

"الوجه الثاني: أنَّ سمع الوليِّ وبصره ويده ورجله كلّها أوصاف أو أجزاء في مخلوق حادث بعد أن لم يكن" يعني: كلّها أجزاء للمخلوق، "ولا يمكن لأيِّ عاقل أن يفهم أنَّ الخالق الأول الذي ليس قبله شيء يكون سمعاً وبصراً ويداً ورجلاً لمخلوق بل إنَّ هذا المعنى تشمئز منه النفس أن تتصوره" يعني: مجرد تصور الذهن، ما تستطيع أن تتصوره، "ويحسر اللسان أن ينطق به ولو على سبيل الفرض والتقدير، فكيف يسوغ أن يُقال إنَّه ظاهر الحديث القدسي، وأنَّه قد صرف عن هذا الظاهر؟ سبحانه اللهم وبمحمدك

لا نحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك"، قال المؤلف رحمه الله: "وإذا تبين بطلان القول الأول وامتناعه، تعين القول الثاني، وهو: أن الله تعالى يسدد هذا الولي"يعني: يوفقه، "في سمعه وبصره وعمله، بحيث يكون إدراكه بسمعه وبصره وعمله بيده ورجله كله لله تعالى إخلاصاً، وبالله تعالى استعانةً، وفي الله تعالى شرعاً واتباعاً، فيتم له بذلك كمال الإخلاص والاستعانة والمتابعة، وهذا غاية التوفيق، وهذا ما فسر به السلف، وهو تفسير مطابق لظاهر اللفظ، موافق لحقيقته، متعين بسياقه، وليس فيه تأويل، ولا صرف للكلام عن ظاهره، والله الحمد والمنة"، مُتَعَيِّنٌ بسياقه، يعني لا بد أن يُؤخذ به عيناً، والسياق هو الذي دلّ عليه، والسياق هو الذي جعله متعيناً وليس فيه تأويل ولا صرف للكلام عن ظاهره والله الحمد والمنة.

إذاً المشكلة كلها مع أهل البدع هو في فهم معنى الظاهر، هل يُسَلِّمُ لهم أن الظاهر هو ما ذكره أم لا؟ هذه نقطة الخلاف بيننا وبينهم فنحن لا نُسَلِّمُ لهم أصلاً أن المعاني التي ذكروها هي ظاهرة لأنهم لا ينظرون إلى القرائن التي تكون مع اللفظ فينظرون إلى اللفظ بجمود فيقولون هذا ظاهره، لا، أبداً، أنظروا إلى بقية القرائن تفهمون الظواهر فهماً صحيحاً.

نكتفي بهذا القدر، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

الدرس الثاني والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقال المؤلف رحمه الله: "المثال الثاني عشر: قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن الله تعالى أنه قال: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة""، "من تقرب مني شبراً: الشبر معروف، "تقربت منه ذراعاً": الذراع الذي يبدأ من المرفق إذا مددت كفك إلى طرف الإصبع الأوسط، هذا تقريباً في حدود نصف متر أو أكثر قليلاً، "ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً": الباع: إذا مددت يدك يميناً ويساراً، الباع من طرف يدك اليمنى إلى طرف يدك اليسرى مع صدرك مع العضدين، كل هذا يسمى باعاً، هذا تقريباً مترين يعني، "ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"، الباقي كله مفهوم، طيب، هذا الحديث حديث قدسي قال فيه الله سبحانه وتعالى: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"، قال الشيخ: "وهذا الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، وروى نحوه من حديث أبي هريرة أيضاً، وكذلك روى البخاري نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب التوحيد، الباب الخامس عشر، وهذا الحديث كغيره من النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية بالله تعالى "الأفعال الاختيارية: يعني الأفعال التي يفعلها الله تبارك وتعالى باختياره كالنزول مثلاً والاستواء على العرش والجيء والإتيان وما شابه، هذه أشياء كلها يفعلها الله سبحانه وتعالى متى شاء، قال: "وأنه سبحانه فعال لما يريد" لا شك في ذلك، يفعل ما يريد سبحانه وتعالى، "كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة، مثل قوله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ"، وقوله: "وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا"، وقوله: "هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ

آيَاتِ رَبِّكَ" إَذَا هُنَا يَأْتِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، وَكَذَلِكَ الْمَجِيءُ، يَجِيءُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَهَذَا أَيْضاً مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، "وَقَوْلُهُ: "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى" أَيْضاً الْاِسْتَوَاءُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، "وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَنْزِلُ رَبَّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثَ لَيَالٍ الْآخِرِ" فَنَزُولُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَيْضاً مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، قَالَ: "وَالْهَرُولَةُ مِثْلُ ذَلِكَ" وَالْهَرُولَةُ أَيْضاً مِثْلُ ذَلِكَ، " وَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ"، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى قِيَامِ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ بِهِ تَعَالَى الشَّاهِدُ مِنَ الْحَدِيثِ الْآخِرِ قَوْلُهُ: "أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ"، فَالْأَخْذُ هَذَا مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَفْعَلُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَشَاءُ، وَكَذَلِكَ صِفَةُ الْهَرُولَةِ مِثْلُ ذَلِكَ أَيْضاً عَلَى مَا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ، "فَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "تَقَرَّبْتُ مِنْهُ"، وَ: "أَتَيْتُهُ هَرُولَةً" مِنْ هَذَا الْبَابِ "فَالْتَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَالْهَرُولَةُ مِنَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَالسَّلَفُ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَجْرُونَ هَذِهِ النُّصُوصَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَحَقِيقَةُ مَعْنَاهَا اللَّائِقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ" يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَثْبُتُونَ صِفَةَ الْهَرُولَةِ وَيَثْبُتُونَ أَيْضاً لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّهُ يَتَقَرَّبُ مِنْ عَبْدِهِ، "قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ فِي شَرْحِ حَدِيثِ النَّزُولِ، (ص 466، ج 5) مِنْ "مَجْمُوعِ الْفَتَاوَى": "وَأَمَّا دَنَوُّهُ نَفْسَهُ وَتَقَرُّبُهُ مِنْ بَعْضِ عِبَادِهِ، فَهَذَا يَثْبُتُ مِنْ يَثْبُتُ قِيَامِ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ بِنَفْسِهِ، وَمَجِيئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَزُولُهُ، وَاسْتَوَاءُهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَهَذَا مَذْهَبُ أُمَّةِ السَّلَفِ، وَأُمَّةِ الْإِسْلَامِ الْمَشْهُورِينَ، وَأَهْلِ الْحَدِيثِ، وَالنَّقْلِ عَنْهُمْ بِذَلِكَ مُتَوَاتِرٌ" اهـ" إِذَا لَا يَتَأَوَّلُ أَهْلُ السُّنَّةِ هَذَا الْحَدِيثَ وَيَجْرُونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَيَثْبُتُونَ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ نَقْصٌ فِي حَقِّ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَهِيَ كَبَقِيَّةِ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، وَالْقَوْلُ فِيهَا مَا قَدَّمْنَاهُ فِي بَدَايَةِ هَذَا الْكِتَابِ، قَالَ الْمُؤَلِّفُ: "وَذَهَبَ بَعْضُ النَّاسِ" يَعْنِي الْآنَ الْمَسْأَلَةُ لَيْسَ فِيهَا قَوْلٌ وَاحِدٌ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ، فِيهَا قَوْلَانِ، وَانْتَبَهُوا هُنَا بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمْ لِهَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، الْآنَ سَيَذَكِّرُنَا الْمُؤَلِّفُ

مذهباً ثانياً في هذا الحديث عند أهل السنة والجماعة، الخلاف بينهم وليس مع أهل البدع، ربّما يكون الخلاف مع أهل البدع إذا نفوا هذه الصفات، صفة الهرولة وصفة التقرب هذه، إذا نفاه أهل البدع بدعوى أنّه يلزم منها التشبيه عندئذ يكون الخلاف بينهم خلاف بين من؟ بين سنيّ وبدعي، لكن إذا كان الخلاف سببه هو الاختلاف في ظاهر الحديث هنا الخلاف يكون بين من؟ يكون بين أهل السنة أنفسهم، هل ظاهر الحديث يثبت صفة الهرولة أم ظاهر الحديث بخلاف ذلك؟ هذا محل الخلاف بين أهل السنة، وأخشى يوماً من الأيام أن يأتي البعض ويجعل هذه المسألة محل الولاء والبراء مطلقاً بدون تفصيل، لا، لا بدّ أن تفصّل هذا التفصيل، إذا أنكرت صفة الهرولة بدعوى أنّ ذلك يلزم منه التشبيه فهذا على طريقة وأصول المبتدعة المتكلمين، أمّا إذا قلت: لا، أنا لا أقول بهذا، لو أنّ النص كان ظاهراً في ذلك لأثبتها لكنني لا أوافق بأنّ النص ظاهره هذا، فهذا الخلاف معه خلاف في فهم الحديث وليس خلافاً في سنة وبدعة، انظر الآن ماذا سيقول المؤلف في المذهب الثاني، قال المؤلف: "وذهب بعض الناس إلى أنّ قوله تعالى في هذا الحديث القدسي: "أتيت بهرولة" يُراد به: سرعة قبول الله تعالى وإقباله على عبده المتقرب إليه، المتوجه بقلبه وجوارحه، وأنّ مجازاة الله للعامل له أكمل من عمل العامل، وعلى ما ذهب إليه" إذاً هذا القول الثاني وهو أنّ صفة الهرولة لا تُثبت لله بل المراد منها الإسراع في المثوبة وفي الرحمة وفي الإقبال على العبد بذلك، هذا المقصود، وليس المقصود إثبات صفة الهرولة، ربّما يقول قائل: طيب هذا هو قول أهل البدع لأنهم لا يثبتون صفة الهرولة لله سبحانه وتعالى، نقول: لماذا؟ هو هذا الفاصل، لماذا لا يثبتونه؟ يقولون يلزم منه التشبيه، هذا قول أهل البدع كما يقولون في بقية الأفعال الاختيارية أمّا السني فلا، يثبت الأفعال الاختيارية لأنّها وردت فيها نصوص واضحة، ظاهرها واضح، لا إشكال فيها، أمّا هذا فلا يوافق معنا بأنّ الظاهر فيه إثبات صفة الهرولة، لا يوافق معنا في ذلك، إذاً هو أصوله أصول أهل السنة ولكنه يختلف معنا في فهم الحديث

فقط بخلاف المبتدع، أصوله فاسدة ونفى صفة الهرولة لا لأن ظاهر الحديث يقتضي ذلك بل للفرار من اللازم الذي يدّعيه وهو التشبيه فيما يزعم، طيب، إذاً هذا القائل يفسّر هذا التفسير، لماذا؟ قال: "وعلى ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث" انظر: "وعلى" هذا هو المهم في الموضوع، لتفرّق بين السلفي والمبتدع في هذا القول، وعلى: ننظر إلى علته، ما هي العلة عندك في هذا الأمر؟ قال: "وعلى ما ذهب إليه بأن الله تعالى قال في الحديث: "ومن أتاني يمشي" ومن المعلوم أن المتقرب إلى الله عز وجل، الطالب للوصول إليه، لا يتقرب ويطلب الوصول إلى الله تعالى بالمشي فقط، بل تارة يكون بالمشي كالسير إلى المساجد، ومشاعر الحج، والجهاد في سبيل الله، ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، بل قد يكون التقرب إلى الله تعالى وطلب الوصول إليه والعبد مضطجع على جنبه، كما قال الله تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ"، وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين: "صل قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنب"" إذاً يريد أن يقول هنا: ما الذي جعلك تفسّر الهرولة هنا بأنها الإسراع في الأجر والإسراع بالرحمة وما شابه، يقول: تأمل الحديث من بدايته، ماذا يقول الله سبحانه وتعالى فيه؟ قال: "من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"، فالهرولة كانت في مقابل ماذا؟ الإتيان مشياً، أي: أن العبد كلّما أسرع إلى الله تبارك وتعالى بالطاعات كلّما كان الله سبحانه وتعالى أسرع منه في رحمته وفي مثوبته، هذا معنى الحديث، يقول هذا القائل: هذا هو ظاهره، لماذا قلت هذا هو ظاهره؟ قال: لأن العبد عندما يتقرب إلى الله لا يتقرب إليه بالمشي فقط بل ربما يتقرب إليه وهو في مكانه كالساجد، "أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد" لا يمشي، أنواع القرب مختلفة وليس كلّها مشي، ولا شك أن المراد بهذا الحديث جميع أنواع القرب، كلّما تقرب إلى الله بالقرب أكثر وأسرع كلّما أثابه الله وآجره على ذلك

بأسرع مما أسرع هو، إذاً بما أنّ هذا هو المقصود إذاً هذا هو ظاهر الحديث، كما فسرنا في السابق أنّ الظاهر يُفهم بسياقه فمعه قرائن تدلّ على المعنى المراد منه، إذاً لا إشكال، قال الشيخ: "قال: فإذا كان كذلك صار المراد بالحديث بيان مجازاة الله تعالى العبد على عمله، وأنّ من صدّق في الإقبال على ربّه وإن كان بطيئاً جازاه الله تعالى بأكمل من عمله وأفضل، وصار هذا هو ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه" واضح، هذا هو، صار عنده الظاهر مختلف عن الظاهر عندنا بالقرينة، إذاً الخلاف بيننا وبينه في فهم الظاهر، الخلاف في فهم الظاهر مع هذا المخالف وهو سنيّ سلفي وليست مشكلته في أنّ صفة الهرولة هذه من الصفات الفعلية التي إن أثبتناها لله نكون قد شبهنا الله بخلقه، لا، هذا ليس قول، هذا قول أهل البدع وهو يتبرأ من هذا ولكن عنده ظاهر الحديث خلاف ما ذهبنا إليه وعنده من السلف من قال بهذا المعنى، وهذا القول هو قول العلامة الفوزان حفظه الله، ولاحظ ماذا سيقول المؤلف حيث إنّ جعل المسألة فيها سعة كما سيأتي إن شاء الله، قال: "وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية، لم يكن تفسيره به خروجاً به عن ظاهره، ولا تأويلاً كتأويل أهل التعطيل، فلا يكون حجة لهم على أهل السنة، والله الحمد" رأيت كيف الشيخ رحمه الله أدخل أصحاب هذا القول في أهل السنة، فانتبهوا بارك الله فيكم، لا تتعجلوا في الأحكام على الناس، اليوم والله هناك فوضى كبيرة جداً في الأحكام على الناس وهناك غلوّ وفيه شدة وفي ميوعة وفي أشياء كثيرة، نسأل الله العافية، والموفق من وفقه الله سبحانه وتعالى، انظر الآن إلى الذين يقولون: خلق الله آدم على صورته، يقولون مطلقاً: من قال بأنّ الضمير يعود إلى آدم فهو جهمي، افهم كلام السلف يا أخي، لماذا قال السلف هذا؟ لماذا قالوا: من قال بأنّ الضمير يعود إلى آدم فهو جهمي، لماذا قالوها؟ التعليل هذا مهم جداً، لا تكن ظاهرياً جامداً لا تفقه إنّما تسمع كلاماً وتردده، لماذا قالوا هذا؟ لأنّ الضالّ المبتدع لا يقبل أن يثبت مثل هذه الأحاديث لأنّها عنده تستلزم التشبيه فيعطّل لأجلها، لأجل هذا اللازم،

لذلك قالوا هذا القول، لكن لو جاء عالم جليل سلفي فاضل وأثبت الصورة لله سبحانه وتعالى في حديث آخر لكنّه تأول في هذا الحديث، وقال ظاهره بأنّ الضمير يعود إلى آدم ولا يعود إلى الله سبحانه وتعالى، ليست مشكلته مع نفي الصفة ولا يقول: إن أثبتناها يلزم من ذلك التشبيه، هو سني وأصوله سنية سلفية ولكن خالفنا في أنّ ظاهر الحديث هو ما ذهبتم إليه، الخلاف معه خلاف في فهم ظاهر الحديث وليس خلافاً في العقيدة، لأنه يثبت الصورة لله سبحانه وتعالى، يثبت الصفة، فما فيه مشكلة، أثبت الصفة في حديث آخر، إذا انتهى الأمر، لماذا تكبير الأمور، تعظيمها، والتسبب في تفريق الصّف السّلفي من أجل مسائل هي محلّ اجتهاد، إذا لم يخالفنا في العقيدة، ما خالفنا في العقيدة، هو يثبت الصورة كما نثبتها نحن لكن خالف في فهم الحديث وإنّ كان مخطئاً ونحن نعرف أنّه مخطئ لأنّه كان اللازم في مثل هذا التقيد بما فسّره عليه السلف رضي الله عنهم، هذا هو الواجب، لكن أيصل هذا إلى حدّ تبديعه وتضليله؟ نعوذ بالله، أبدأ، الخلاف الذي ينبغي التبديع والتضليل ولا نبالي إن حصل تمزق وتشتت بعد ذلك بسبب هذا الظرف يعرفه العلماء الأكابر، لذلك نقول ارجعوا إليهم في مثل هذه القضايا وانظروا ما يقولون، قال المؤلف رحمه الله: "وما ذهب إليه هذا القائل

له حظ من النظر" يعني له وجه في الاجتهاد، "لكنّ القول الأول أظهر وأسلم وأليق بمذهب السلف" إذاً المؤلف يبيّن أنّ هذه المسألة محلّ اجتهاد وللقول الآخر نصيب، أي ليس قولاً شاذّاً منكراً بل هو اجتهاد وقوي شيئاً ما لكنّ الشيخ يرجّح خلافه، قال: "ويجيب عن من جعله قرينة من كون التقرب إلى الله تعالى، وطلب الوصول إليه لا يختص بالمشي: بأنّ الحديث خرج مخرج المثال لا الحصر فيكون المعنى: من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي لتوقفها عليه، بكونه وسيلة لها كالمشي إلى المساجد للصلاة، أو من ماهيتها كالطواف والسعي، والله تعالى أعلم" طبعاً ربّما للطرف الآخر أن يقول: هذا خلاف الظاهر وهذا تأويل، وهو خلاف الظاهر، على

كل حال: المسألة كما ذكرنا لكم والتفصيل فيها هو ما ذكرنا.

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الثالث عشر: قوله تعالى: "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا".

"والجواب: أن يقال ما هو ظاهر هذه الآية وحقيقتها، حتى يقال: إنها صرفت عنه؟ هل يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام بيده كما خلق آدم بيده؟ أو يقال: إن ظاهرها أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، لم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد والمراد صاحبها معروف في اللغة العربية التي نزل بها القرآن، أما القول الأول فليس هو ظاهر اللفظ لوجهين: "يعني: أن الله خلق الأنعام بيديه، قال: "أحدهما: أن اللفظ لا يقتضيه بمقتضى اللسان العربي الذي نزل القرآن به، ألا ترى إلى قوله تعالى: "وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ"، وقوله: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"، وقوله: "ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ"، فإن المراد: ما كسبه الإنسان نفسه وما قدّمه وإن عمله بغير يده، بخلاف ما إذا قال: عملته بيدي، كما في قوله تعالى: "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ"، فإنه يدلّ على مباشرة الشيء باليد" يعني: دخلت حرف الباء على اليد فهنا تكون اليد الحقيقية ولا شك بخلاف الصورة الأخرى، "الثاني: أنه لو كان المراد أن الله تعالى خلق هذه الأنعام بيده، لكان لفظ الآية: خلقنا لهم بأيدينا أنعاماً، كما قال الله تعالى في آدم: "مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي"، لأن القرآن نزل بالبيان لا بالتعمية، لقوله تعالى: "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" قال: "وإذا ظهر بطلان القول الأول، تعين أن يكون الصواب هو القول الثاني، وهو: أن ظاهر اللفظ أن الله تعالى خلق الأنعام كما خلق غيرها، ولم يخلقها بيده، لكن إضافة العمل إلى اليد كإضافته إلى النفس بمقتضى اللغة العربية" يعني: هذا هو الأسلوب العربي، "بخلاف ما إذا أضيف إلى النفس وعُدّي بالباء إلى اليد، فتنبه للفرق، فإن التنبه للفروق بين المتشابهات من أجود أنواع العلم، وبه يزول كثير

من الإشكالات" يعني: الفرق أن يضيف اليد إلى نفسه ويعدّها بالباء يعني يدخل عليه حرف الباء، هذا مهم جداً.

قال: "المثال الرابع عشر: قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ".

"والجواب: أن يُقال: هذه الآية تضمنت جملتين: الجملة الأولى: قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ"، وقد أخذ السلف أهل السنة بظاهرها وحقيقتها، وهي صريحة في أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يبایعون النبي صلى الله عليه وسلم نفسه، كما في قوله تعالى: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ"، ولا يمكن لأحد أن يفهم من قوله تعالى: "إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ" أنهم يبایعون الله نفسه، ولا أن يدّعي أن ذلك ظاهر اللفظ، لمنافاته لأول الآية والواقع، واستحالته في حق الله تعالى، وإنما جعل الله تعالى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم مبايعة له لأنه رسوله، وقد بايع الصحابة على الجهاد في سبيل الله تعالى، ومبايعة الرسول على الجهاد في سبيل من أرسله مبايعة لمن أرسله، لأنه رسوله المبلغ عنه، كما أن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، لقوله تعالى: "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ"، وفي إضافة مبايعتهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى من تشريف النبي صلى الله عليه وسلم وتأنيده، وتوكيد هذه المبايعة، وعظمتها، ورفع شأن المبايعين، ما هو ظاهر لا يخفى على أحد، الجملة الثانية: قوله تعالى: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ"، وهذه أيضاً على ظاهرها وحقيقتها، فإن يد الله تعالى فوق أيدي المبايعين، لأنّ يده من صفاته، وهو سبحانه فوقهم على عرشه، فكانت يده فوق أيديهم" لكن لا يلزم من ذلك المماسّة، كما تقول: القمر فوقنا، هل يلزم من ذلك أن يكون مماساً لرؤوسنا؟ لا، إذاً عندما يقول: "يد الله فوق أيديهم" والله سبحانه وتعالى عالٍ على خلقه إذاً فيده فوقهم، قال: "وهذا ظاهر اللفظ وحقيقته، وهو لتوكيد كون مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم مبايعة لله عز وجل، ولا يلزم منها أن تكون يد الله جلّ وعلا مباشرة لأيديهم، ألا ترى أنه يُقال: السماء

فوقنا، مع أنّها مباينة لنا بعيدة عنا، فيد الله عزّ وجلّ فوق أيدي المبايعين لرسوله صلى الله عليه وسلم مع مباينته تعالى خلّقه، وعلوه عليهم، ولا يمكن لأحد أن يفهم أنّ المراد بقوله: "يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ" يد النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعي أنّ ذلك ظاهر اللفظ، لأنّ الله تعالى أضاف اليد إلى نفسه، ووصفها بأنّها فوق أيديهم، ويد النبي صلى الله عليه وسلم عند مبايعة الصحابة لم تكن فوق أيديهم، بل كان يبسطها إليهم، فيمسك بأيديهم كالمصافح لهم، فيده مع أيديهم لا فوق أيديهم"، إذاً تبين من ذلك وجود الفارق بين يد الله سبحانه وتعالى ويد نبيّه عليه الصلاة والسلام.

قال المؤلف رحمه الله: "المثال الخامس عشر: قوله تعالى: في الحديث القدسي: "يا بن آدم، مرضت فلم تعدني" الحديث".

"وهذا الحديث رواه مسلم في باب فضل عيادة المريض، من كتاب البرّ والصلة والآداب، رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة: يا بن آدم، مرضت فلم تعدني. قال: ياربّ، كيف أعودك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض فلم تعده، أما علمت أنّك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا بن آدم، استطعمتك فلم تطعمني، قال: ياربّ، وكيف أطعمك وأنت ربّ العالمين؟ قال: أما علمت أنّه استطعمك عبدي فلاناً فلم تطعمه، أما علمت أنّك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي؟ يا بن آدم، استسقيتك فلم تسقني، قال: ياربّ، كيف أسقيك وأنت ربّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلاناً فلم تسقه، أما إنّك لو سقيته وجدت ذلك عندي؟"، قال المؤلف رحمه الله: "والجواب: أنّ السلف أخذوا بهذا الحديث ولم يصرفوه عن ظاهره بتحريف يتخبطون فيه بأهوائهم، وإنّما فسّروه بما فسّره به المتكلم به، فقوله تعالى: مرضت، واستطعمتك، واستسقيتك، بينه الله تعالى بنفسه، حيث قال: أما علمت أنّ عبدي فلاناً مرض، وأنّه استطعمك عبدي فلان، واستسقاك عبدي فلان، وهو صريح في أنّ المراد به مرض عبد من عباد الله، واستطعام عبد من عباد الله،

واستسقاء عبد من عباد الله، والذي فسّره بذلك هو الله المتكلم به، وهو أعلم بمراده، فإذا فسّرنا المرض المضاف إلى الله، والاستطعام المضاف إليه، والاستسقاء المضاف إليه، بمرض العبد واستطعامه واستسقاؤه لم يكن في ذلك صرف للكلام عن ظاهره، لأنّ ذلك تفسير المتكلم به، فهو كما لو تكلم بهذا المعنى ابتداءً، وإنّما أضاف الله ذلك إلى نفسه أولاً للترغيب والحثّ، كقوله تعالى: "مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ"، وهذا الحديث من أكبر الحجج الدامغة لأهل التأويل، الذين يُحرّفون نصوص الصفات عن ظاهرها بلا دليل من كتاب الله تعالى، ولا من سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنّما يحرفونها بشبه باطلة، هم فيها متناقضون مضطربون، إذ لو كان المراد خلاف ظاهرها كما يقولون لبينه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ظاهرها ممتنعاً على الله كما زعموا لبينه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما في هذا الحديث، ولو كان ظاهرها اللائق بالله ممتنعاً على الله لكان في الكتاب والسنة من وصف الله تعالى بما يمتنع عليه ما لا يحصى إلّا بكلفة، وهذا من أكبر المحال".

"ولنكتف بهذا القدر من الأمثلة لتكون نبزاً لغيرها، وإلّا فالقاعدة عند أهل السنة والجماعة معروفة، وهي: إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وقد تقدم الكلام على هذا مستوفى في قواعد نصوص الصفات، والحمد لله ربّ العالمين"، يبدأ بعد ذلك المؤلف بالخاتمة، أظن الكلام كلّ هذا الذي تقدم واضح وكلّه على ما تقدم من الأمثلة كلّها الجواب فيها متشابه، وبعد ذلك قس البقية على هذا، أي شيء يأتونك به ويقولون هو صرف عن الظاهر قل لهم: الظاهر الذي ادعيتموه ليس بظاهر، ثم بين لهم الأمر لأنّ حقيقة دائماً ظاهر النصوص مخالف لما عليه أهل الأهواء والباطل والله أعلم، نكتفي بهذا القدر، نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته، تبقى عندنا الخاتمة، الدرس القادم إن شاء الله نبدأ بها.

الدرس الثالث والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله:

اليوم معنا خاتمة كتاب القواعد المثلّية، وهي خاتمة نفيسة حقيقةً وفيها علمٌ يجب على كلّ طالب علم أن يتقنه، ردُّ على بعض شبهات أهل البدع وذكر للشروط والموانع للتبديع والتكفير والتفسيق.

قال المؤلف رحمه الله: "الخاتمة: إذا قال قائل: قد عرفنا بطلان مذهب أهل التأويل في باب الصفات، ومن المعلوم أنّ الأشاعرة من أهل التأويل" الأشاعرة: أتباع أبي الحسن الأشعري على ما كان عليه من مذهبٍ قديم، وهم من أهل التأويل، يعني: من الذين يحرفون النصوص عن معانيها وينفون عن الله ما أثبت لنفسه من صفات، قال: "فكيف يكون مذهبهم باطلاً، وقد قيل إنّهم يمثّلون اليوم خمسة وتسعين بالمائة من المسلمين؟ وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟ وكيف يكون باطلاً وفيهم فلان وفلان من العلماء المعروفين بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامتهم؟" هذه ثلاث شبه ذكرها المؤلف رحمه الله يدندن بها بعض أهل الباطل ليلبسوا بها على أهل الحق خلاصتها الاحتجاج بالكثرة، كيف يكون مذهبهم باطلاً وهم أكثر الناس في العصور المتأخرة فيما يزعم الزاعم؟ وكيف يكون باطلاً وقدوتهم في ذلك أبو الحسن الأشعري؟ يعني: قدوتهم رجل ممن تعظم مكانته في نفوس الكثيرين، وكيف يكون باطلاً وقد اتبع هذا المنهج بعض أهل العلم الذين عُرِفوا بخدمتهم لدين الله ومحبتهم وتعظيمهم لكتاب الله وسنة رسوله كالنووي وكالحافظ ابن حجر، كيف يكون باطلاً وكل هذا فيه؟ اسمع إلى الجواب بارك الله فيك، "قلنا: الجواب عن السؤال الأول: أنّنا لا نُسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين" يعني: إذا نظرت إلى فرق المسلمين كلّها وقارنتها بالأشاعرة حقيقةً الأشاعرة ليسوا بهذه النسبة المذكورة، كم ذكروا؟ قالوا: 95% يعني: ما بقي من المسلمين إلا 5% ، إذاً الدعوى في البداية غير مسلمة،

"فإنّ هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق" وأتّى لهم ذلك؟ غير متيسّر، "ثم لو سلّمنا أنّهم بهذا القدر" الآن على التسليم بأنّ ما قالوه صحيح، "أو أكثر فإنّه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ، لأنّ العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر" هذا هو الجواب، لو سلّمنا لكم بأنّ عدد الأشاعرة بين المسلمين بهذه النسبة فهل يدلّ ذلك على أنّهم أهل حقّ لأنّهم الكثرة أو الأكثر؟ لا، فالكثرة لا تدلّ على حقّ ولا على باطل، خصوصاً بعد العصور الثلاثة الأولى، لماذا؟ لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنّ الحقّ سيبقى هو الغالب وهو الأكثر في العصور الثلاثة الأولى في قوله عليه الصلاة والسلام: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" ثلاث قرون، ثم ذمّ القرون التي من بعد ذلك، الذمّ يقع على الأغلب، إذاً الأغلب في الغالب سيكونوا ليس على الجادة، فإذا موطن الاستدلال عندهم باطل، غير صحيح، بل الأمر بالعكس، الكثرة لا يُحتجُّ بها أبداً بارك الله فيكم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يأتي يوم القيامة النبي ومعه الرّجل والنبي ومعه الرّجلان والنبي وليس معه أحد" وأنت إذا قارنت بين كثير من دعوات الانبياء وبين من خالفهم، من خالفهم يكون أكثر دائماً أو غالباً، فالكثرة لا يُحتجُّ بها، إذا أجمعوا عندئذٍ ممكن أن تقول لأنّه قد ثبتت العصمة للإجماع أمّا الكثرة فلا، قال: "ثم نقول: إنّ إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل، فإنّ السلف الصالح من صدر هذه الأمة، وهم الصحابة الذين هم خير القرون والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى من بعدهم، كانوا مجمعين على إثبات ما أثبتته الله لنفسه، أو أثبتته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات، وإجراء النصوص على ظاهرها اللائق بالله تعالى من غير: تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، وهم خير القرون بنصّ الرسول صلى الله عليه وسلم، وإجماعهم حجة ملزمة، لأنّه مقتضى الكتاب والسنة، وقد سبق نقل الإجماع عنهم في القاعدة الرابعة من قواعد نصوص الصفات" إذاً قد قلبوا الحقائق فالصواب أنّ الحقّ مع القرون الثلاثة الأولى وأنّ منهجهم هو المنهج الحقّ، هذا ما ثبتت به

الأدلة، ولم تثبت الأدلة أنّ الأكثر في العصور المتأخرة يكون الحقّ معهم بل بالعكس، في الغالب يكون الباطل هو الذي معهم، وقد ذمّ الله سبحانه وتعالى أكثر الناس في مواطن كثيرة، فالكثرة لا تدلّ لا على حقّ ولا على باطل، إنّما الحقّ والباطل يُعرف بالدليل أو بالإجماع، بالكتاب والسّنة أو بالإجماع، هذه بالنسبة للشبهة الأولى، الشبهة الثانية، قال:

"والجواب عن السؤال الثاني: أنّ أبا الحسن الأشعري وغيره من أئمة المسلمين لا يدعون لأنفسهم العصمة من الخطأ" إذاً نفس أبو الحسن الأشعري هل هو معصوم؟ ليس معصوماً، يخطئ، بشر، إذاً مهما عظم الرّجل في نفسك فهو محلّ للخطأ، احفظ هذا جيداً، أي إنسان يعظم في نفسك علماً وديانةً فهو معرض للخطأ إلّا النبي صلى الله عليه وسلم فإنّه لا يقع منه الخطأ في التشريع أبداً، في التشريع لا يكون الخطأ نهائياً ولا يُقرّ على خطأ أبداً عليه الصلاة والسلام، فهو المعصوم لذلك قوله حجة، أمّا بقية البشر فأقوالهم ليست بحجة، هم بشر يخطئون ويصيبون مهما عظموا، مهما جلّوا في نفسك، قال: "بل لم ينالوا الإمامة في الدين إلّا حين عرفوا قدر أنفسهم، ونزلوها منزلتها، وكان في قلوبهم من تعظيم الكتاب والسّنة ما استحقوا به أن يكونوا أئمة" متى تكون إماماً أنت في الدين؟ هذا أمر مهم، متى يكون الشخص إماماً في الدين؟ ومتى يعظم في نفوس المسلمين؟ ومتى تكون لكلمته مكانة في نفوس الناس؟ متى يحصل هذا؟ "قال الله سبحانه وتعالى: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً" إمام، من هو الإمام الذي يُقتدى به، يسمع كلامه، قال: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"، "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً" ماذا يفعلون؟ "يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا" يُرشدون الناس إلى دين الله سبحانه وتعالى وإلى الحقّ وإلى الهداية، يدعون الناس إلى كتاب الله و سنّة الرسول صلى الله عليه وسلم، يُعظمون الكتاب والسّنة في أنفسهم، يُعظمون الأدلة الشرعية، يُعظمون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويعرفون أنّهم مهما بلغوا من العلم فلا يأتي علمهم أمام علم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بشيء، فيتبعون ولا

يبتدعون، هذا أمر مهم، نحن أمرنا بالاتباع ولم نؤمر بالاختراع والابتداع، دائماً ضع هذا في رأسك، إياك أن تحاول أن تبحث عن الأقوال الشاذة والغريبة وتتبعها وأن تُحدث في دين الله وتظن نفسك أنك بذلك تصير عالماً وتصير إماماً، أبدأ، الإمامة تنالها، بتعظيمك لشرع الله، تعظيمك لدين الله، عظم اتباعك لسنة النبي صلى الله عليه وسلم سبب عظيم لإمامتك في الدين، تأمل الذين جعلهم الله أئمة في هذا المنهج، في هذا الدين، في هذه السنة، تأمل حالهم وقرأ تراجمهم تجدهم أئمة في العلم، أئمة في الدين، في التقوى، أئمة في الاتباع، يحرصون كل الحرص على اتباع النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اتباع منهج السلف الصالح رضي الله عنهم، هكذا يكون المرء إماماً في دين الله "لَمَّا صَبَرُوا" لا بدّ من الصبر، الصبر على كلّ ما يمرُّ بك، الصبر على الأذى الذي ينالك في دعوتك إلى الله سبحانه وتعالى، لا بدّ من هذا، من الأذى في الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، لا بدّ أن تؤذى، تحتاج أن تصبر وأيضاً الصبر على طاعة الله وعلى اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، الصبر على ترك المحرمات وعدم الاعتزاز بما يحصل حولك من أهل الفسق والفجور، ولا تغرّك الدنيا بملذاتها وحلاوتها وفتنتها، كلّ هذا تحصل به الإمامة في الدين، "لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ" يقين بشرع الله سبحانه وتعالى، إيمان، تقوى، صلاح، كلّ هذا إذا اجتمع في الإنسان صار الإنسان إماماً في الدين، فمتى جعلهم الله هؤلاء أئمة؟ لما كانوا موقنين بشرع الله معظمين لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون عنها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، قال: "وقال عن إبراهيم: 'إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا' لأنعمه اجتباه وهداده إلى صراط مستقيم" "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً: يعني كان إماماً، قانتاً لله: يعني كان مطيعاً لله سبحانه وتعالى، حنيفاً: مائلاً عن الشرك، كان على استقامة على التوحيد، "وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا" لأنعمه" يشكر الله سبحانه وتعالى على نعمه وذلك بتسخير هذه النعم في طاعة الله سبحانه وتعالى، "اجتَبَاهُ" يعني: اصطفاه الله سبحانه وتعالى، "وَهَدَاهُ" يعني: وفقه الله سبحانه وتعالى،

"إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" إلى الطريق الحقّ الذي يحبه الله ويرضاه، هذه صفة الإمام الذي يقتدى به، يعظم شرع الله ودين الله ويستقيم عليه.

قال: "ثم إنّ هؤلاء المتأخرين الذين ينتسبون إليه لم يقتدوا به الاقتداء الذي ينبغي أن يكونوا عليه، وذلك أن أبا الحسن كان له مراحل ثلاث في العقيدة: "إذاً الجواب الأول على هذه الشبهة أنّ أبا الحسن الأشعري ليس معصوماً، الجواب الثاني: أنّ أبا الحسن الأشعري قد ترك ما أنتم عليه الآن من مذهب التأويل، فأبو الحسن الأشعري مرّ بثلاث مراحل في العقيدة كما سيذكرها المؤلف رحمه الله، قال: "كان له مراحل ثلاث في العقيدة: المرحلة الأولى: مرحلة الاعتزال" أي أنّه أول ما بدأ عقيدته رحمه الله كان في الاعتزال، المعتزلة الذين ينفون عن الله سبحانه وتعالى الصفات كلّها ويثبتون له الأسماء فقط، كان زوج أمّه معتزلياً وتربّى عنده وأخذ عنه الاعتزال، والأصل العظيم عند المعتزلة والجهمية وغيرهم هو تقديم العقل على النقل والحكم على الله سبحانه وتعالى بالعقل، فما أثبتته العقل عندهم أثبتوه وما نفاه العقل نفوه، لذلك نفوا جميع الصفات، قالوا: لأنّها يلزم منها التشبيه، قال: "اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاماً، يقرره وينظر عليه، ثم رجع عنه، وصرّح بتضليل المعتزلة، وبالغ في الردّ عليهم" هذه المرحلة الأولى، "المرحلة الثانية: مرحلة بين الاعتزال المحض والسنة المحضة، سلك فيها طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب" هذا ابن كلاب قد اخترع مذهباً هو قريب جداً من مذهب الأشاعرة الذي كانوا عليه، وهو مذهب بين المذهبين، بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنة والجماعة في صفات الله سبحانه وتعالى، فأثبت بعض الصفات ونفى البعض الآخر، لكنّ الأصل واحد بآراء الله فيكم، ركّزوا على هذا، الأصل الذي بنى عليه الكلّية والأشاعرة قولهم هو أصل واحد مع المعتزلة والأشاعرة، وهو تقديم العقل على النقل، لذلك من الباطل ومن أعظم الباطل أن يُقال أنّ الأشاعرة من أهل السنة والجماعة، أبداً، كيف يكونون من أهل السنة والجماعة وليس في نفوسهم من تعظيم

السّنة وتقدّمها على كلّ شيء ما في نفوس أهل السّنة والجماعة، ما يجب أن يكون في نفس المرء حتى يكون سنّيّاً، بل هم عقلانيون متكلمون لا يصحّ أن يُقال بأنّهم من أهل السّنة، لأنّهم يقررون العقيدة بالكلام، ويقررون العقيدة بالعقل، إذاً هذه تسميتهم الحقيقية، إذاً هم الأشاعرة والمعتزلة والجهمية على أصل واحد، فأبو الحسن الأشعري عندما ترك الاعتزال ترك تفريعات المعتزلة على أصلهم ولكنه لم يترك الأصل وهو تقديم العقل على النقل، "قال شيخ الإسلام ابن تيميه (ص 471) من المجلد السادس عشر من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم: "والأشعري وأمثاله برزخ بين السّلف والجهمية" برزخ: يعني في الوسط ما بين السّلف والجهمية وفاصل بين السّلف والجهمية، "أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية" لاحظ هنا قوله: "أخذوا من هؤلاء كلاماً صحيحاً، ومن هؤلاء أصولاً عقلية ظنّوها صحيحةً، وهي فاسدة" اهـ" الآن المرحلة الثانية هذه هي التي اخترع فيها أبو الحسن الأشعري مذهب الأشاعرة الذي هم عليه الآن ثم أبو الحسن الأشعري تراجع عن هذا القول، قال: "المرحلة الثالثة: مرحلة اعتناق مذهب أهل السّنة والحديث، مقتدياً بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، كما قرّره في كتابه: "الإبانة عن أصول الديانة"، وهو من آخر كتبه أو آخرها" وكذلك كتاب: "مقالات الإسلاميين" له، قرّر فيه عقيدة أهل السّنة والجماعة، وكذلك: "رسالة إلى أهل الثغر"، هذه الكتب الأخيرة التي ألفها قبل موته رحمه الله، طبعاً الأشاعرة يقول لك: بعض الكتب هذه مكذوبة ويتأولون في بعض الكتب، المهم لا يريدونها، لأنّهم لا يريدون الحقّ، فصرفوا هذه الكتب، حتى نسبتها لأبي الحسن الأشعري ما عادوا يعترفون بها، لماذا؟ لأنّهم يريدون التخلص منها بأي طريقة، هذه طريقتهم، "قال في مقدمته: "جاءنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين، وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا، ومن خالفه ضلّ وغوى، وفي الجهل تردى، وحثّ الله في كتابه على

التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال عز وجل: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" إلى أن قال: "فأمرهم بطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بطاعته، ودعاهم إلى التمسك بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم كما أمرهم بالعمل بكتابه، فنبذ كثير ممن غلبت شقوته، واستحوذ عليهم الشيطان، سنن نبي الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهورهم، وعدلوا إلى أسلاف لهم قلدوهم بدينهم، ودانوا بديانتهم، وأبطلوا سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورفضوها، وأنكروها وجمدوها افتراء منهم على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين"، ثم ذكر رحمه الله أصولاً من أصول المبتدعة وأشار إلى بطلانها ثم قال: فان قال قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة والجهمية والحرورية الذين هم الخوارج "والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل وبسنة نبينا صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمدون" لاحظ هنا كيف صار التأصيل هنا تأصيلاً سنياً، "وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل" ثم أثنى عليه بما أظهر الله على يده من الحق، وذكر ثبوت الصفات، ومسائل في القدر والشفاعة، وبعض السمعيات، وقرر ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، والمتأخرون الذين ينتسبون إليه أخذوا بالمرحلة الثانية من مراحل عقيدته، والتزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يثبتوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له *** إرادة وكذاك السمع والبصر

على خلاف بينهم وبين أهل السنة في كيفية إثباتها، ولما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ما قيل في شأن الأشعرية (ص: 359) من المجلد السادس من "مجموع الفتاوى" لابن قاسم قال: "ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخبرية، وأما من قال منهم بكتاب "الإبانة" الذي صنّفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك،

فهذا يُعدّ من أهل السّنة"، وقال قبل ذلك في (ص: 310) : "وأما الأشعرية فعكس هؤلاء، وقولهم يستلزم التعطيل، وأنّه لا داخل العالم ولا خارجه، وكلامه معنى واحد، ومعنى آيه الكرسي وآيه الدين والتوراة والإنجيل واحد، وهذا معلوم الفساد بالضرورة" اهـ.

وقال تلميذه ابن القيم في "النونية" (ص: 312) من شرح الهراس، ط الإمام: واعلم بأنّ طريقهم عكس ال *** طريق المستقيم لمن له عينان إلى أن قال:

فأعجب لعميان البصائر أبصروا *** كون المقلد صاحب البرهان
ورأوه بالتقليد أولى من سوا *** ه بغير ما بصر ولا برهان
وعموا عن الوحيين إذ لم يفهموا *** معناهما عجباً لذي الحرمان

وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي في تفسيره "أضواء البيان" (ص: 319، ج 2) على تفسير آية استواء الله تعالى على عرشه التي في سورة الأعراف: "اعلم أنّه غلط في هذا خلق لا يحصى كثرة من المتأخرين، فزعموا أنّ الظاهر المتبادر السابق إلى الفهم من معني الاستواء واليد مثلاً في الآيات القرآنية هو مشابهة صفات الحوادث وقالوا: يجب علينا أن نصرّفه عن ظاهره إجماعاً" قال: "ولا يخفى على أدنى عاقل أنّ حقيقة معنى هذا القول: أنّ الله وصف نفسه في كتابه بما ظاهره المتبادر منه السابق إلى الفهم الكفر بالله تعالى، والقول فيه بما لا يليق به جلّ وعلا والنبي صلى الله عليه وسلم الذي قيل له: "وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ" لم يبين حرفاً واحداً من ذلك، مع إجماع من يُعتد به من العلماء على أنّه صلى الله عليه وسلم لا يجوز في حقّه تأخير البيان عن وقت الحاجة إليه، وأحرى في العقائد، لا سيّما ما ظاهره المتبادر منه الكفر والضلال المبين، حتى جاء هؤلاء الجهالة من المتأخرين فزعموا أنّ الله أطلق على نفسه الوصف بما ظاهره المتبادر منه لا يليق، والنبي صلى الله عليه وسلم كتم أنّ ذلك الظاهر المتبادر كفر وضلال يجب صرف اللفظ عنه، وكلّ هذا

من تلقاء أنفسهم، من غير اعتماد على كتاب أو سنة، سبحانه هذا بهتان عظيم، ولا يخفى أنّ هذا القول من أكبر الضلال، ومن أعظم الافتراء على الله جلّ وعلا ورسوله صلى الله عليه وسلم والحقّ الذي لا يشكّ فيه أدنى عاقل أنّ كلّ وصفٍ وصَفَ الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم، فالظاهر المتبادر منه السابق إلى فهم من في قلبه شيء من الإيمان هو التنزيه التام عن مشابهة شيء من صفات الحوادث" قال: "وهل ينكر عاقل أنّ السابق إلى الفهم المتبادر لكلّ عاقل هو منافية الخالق للمخلوق في ذاته وجميع صفاته؟ لا، والله لا ينكر ذلك إلّا مكابر، والجاهل المفتري الذي يزعم أنّ ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنّه كفر وتشبيه، إنّما جرّ إليه ذلك تنجيس قلبه بقدر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأداه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جلّ وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنّه جلّ وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبهاً أولاً، ومعتلاً ثانياً، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظماً لله كما ينبغي، طاهراً من أقدار التشبيه لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه أنّ وصف الله تعالى بالغ من الكمال والجلال، ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعداً للإيمان بصفات الكمال والجلال، الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق، على نحو قوله: "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" اهـ كلامه رحمه الله، كلّ هذا الذي ذكره الشيخ هو ما قرّناه في السابق، في نفس المعنى، وهو كلام متين وجميل جداً وردّ مفحم وقاطع على ما يقوله أولئك القوم، قال المؤلف رحمه الله: "والأشعري أبو الحسن رحمه الله كان في آخر عمره على مذهب أهل السنة والحديث، وهو إثبات ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ومذهب الإنسان ما قاله أخيراً إذا صرح بحصر قوله فيه، كما هي الحال في أبي الحسن، كما يعلم من كلامه في "الإبانة" وعلى هذا: فتمام تقليده اتباع ما كان عليه

أخيراً، وهو التزام مذهب أهل الحديث والسنة، لأنّ المذهب الصحيح الواجب الاتباع، الذي التزم به أبو الحسن نفسه" يعني هذا من لا بدّ له من أن يقلد أبا الحسن فليقلده في مذهبه الأخير، ولا يُعرض عن الحقّ ويقلده فيما أخطأ فيه، واعترف هو بخطأه، ورجع عنه، إذا خلاصة الأمر أنّ أبا الحسن الأشعري رحمه الله ليس معصوماً عن الخطأ هذا الأمر الأول، الأمر الثاني: أنّه قد تراجع عن هذا المذهب الباطل الذي أنتم عليه، وبهذا تزول الشبهة الثانية.

وأما الجواب على الشبهة الثالثة، وهو أنّ من أتباع الأشعرية، أو ما كان عليه أبو الحسن الأشعري من مذهب باطل علماء عُرِفُوا بالنصح لكتاب الله ولسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعُرِفُوا بتعظيمهم لشرعة الله وبخدمة دين الله سنين طويلة: كالنووي مثلاً ومن شابهه، قال المؤلف رحمه الله: "والجواب عن السؤال الثالث من وجهين: الأول: أنّ الحقّ لا يوزن بالرجال" هذا هو الجواب الأول، الحقّ لا يُعرف بالرجال، إنّما يعرف الحقّ بالكتاب والسنة وبما كان عليه السلف الصالح رضي الله عنهم لأنّ الله سبحانه وتعالى قد أمرنا باتباعهم، والأخذ بما كانوا عليه، ليس الواحد والأثنين، وإنّما كان عليه المنهج العام عند أولئك الأئمة، أي نعم، هذا هو المنهج الذي أمرنا باتباعه، وأمرنا أن نكون عليه، والحقّ لا يوزن بالرجال، يعني: لا يمكن أن تحكم على الحقّ بالرجل إنّما الرجل هو الذي تحكم عليه بناءً على الحقّ، أهو صاحب حقّ أم هو صاحب باطل، قال: "وإنّما يوزن الرجال بالحقّ، هذا هو الميزان الصحيح" ليس العكس، الآن الكثير من الناس قلبوا وجعلوا الحقّ يُعرف بالرجال فقط، هذا باطل، الرجل بشر يخطئ ويصيب، ويكون على الحقّ ويكون على الباطل، أولاً: لا تدري أنت أهو من أصحاب الأهواء أو من أصحاب طلبة الحقّ، ثانياً: إن كان ممن يطلبون الحقّ، أصاب الحقّ أم أخطأه، إذا ما يوزن الحقّ بالرجال أبداً، قال: "وإن كان لمقام الرجال ومراتبهم أثر في قبول أقوالهم، كما نقبل خبر العدل، ونتوقف في خبر الفاسق، لكن ليس هذا هو الميزان في كلّ حال، فإنّ الإنسان بشر، يفوته من

كمال العلم وقوة الفهم ما يفوته، فقد يكون الرجل ديناً وذا خلق ولكن يكون ناقص العلم أو ضعيف الفهم، فيفوته من الصواب بقدر ما حصل له من النقص والضعف، أو يكون قد نشأ على طريق معين، أو مذهب معين" يعني: كما حصل مع النووي رحمه الله، "لا يكاد يعرف غيره فيظن أنّ الصواب منحصر فيه، ونحو ذلك"، قال: "الثاني: أنّا إذا قابلنا الرجال الذين على طريق الأشاعرة بالرجال الذين هم على طريق السلف وجدنا في هذه الطريق من هم أجلّ وأعظم وأهدى وأقوم من الذين على طريق الأشاعرة" إذا أردت أن تقارن بهذه الطريقة فقارن بهذا الأسلوب، وإن وُجد النووي مع الأشاعرة، فإنّ مع أهل السنة مالك مثلاً، والشافعي الذي يتبعه النووي أجلّ وأعظم من النووي، فلماذا إذاً لا تنظر إلى المسألة بهذه الطريقة، قال: "فالأئمة الأربعة أصحاب المذهب المتبوعة ليسوا على طريق الأشاعرة، وإذا ارتقيت إلى من فوقهم من التابعين لم تجدهم على طريق الأشاعرة، وإذا علوت إلى عصر الصحابة والخلفاء الأربعة الراشدين لم تجد فيهم من حذا حذو الأشاعرة في أسماء الله تعالى وصفاته، وغيرهما مما خرج به الأشاعرة عن طريق السلف"، قال: "ونحن لا ننكر أنّ لبعض العلماء المنتسبين إلى الأشعري قدم صدق في الإسلام، والذب عنه، والعناية بكتاب الله تعالى وبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم رواية ودراية، والحرص على نفع المسلمين وهدايتهم، ولكن هذا لا يستلزم عصمتهم من الخطأ فيما أخطئوا فيه، ولا قبول قولهم في كلّ ما قالوه، ولا يمنع من بيان خطئهم وردّه، لما في ذلك من بيان الحقّ وهداية الخلق"، لكن لا نتبعهم في باطلهم وإن كانوا قد عظموا في أنفسنا بسبب حبهم لشرعة الله، وتعظيمهم لشرعة الله، وحرصهم على اتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم، واغترؤا بما كان عليه علماءهم وأئمتهم في وقتهم واتبعوهم فيما هم فيه من الباطل، وإن كان هذا هو الحاصل لكننا ننكر ما كانوا عليه، ونبين للناس الباطل الذي هم عليه، ونبين للناس أنّهم لا يتبعون في مثل هذا، قال: "ولا ننكر أيضاً أنّ لبعضهم قصداً حسناً فيما ذهب إليه، وخفي عليه الحقّ فيه، ولكن لا يكفي

لقبول القول حسن قصد قائله، بل لا بدّ أن يكون موافقا لشريعة الله عزّ وجلّ لا تأتي وتقول لي: والله فلان نيّته طيبة، نيّته بينه وبين الله سبحانه وتعالى، وهذه لا تكفي حتى لو سلّمنا لك بأنّ نيّته طيبة، لا يكفي هذا، هو مأمور باتباع الشريعة، مأمور باتباع السلف، مأمور بأن يأخذ بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، والصحابة وإذا ترك ذلك فقد قصر، ويُلَام على تقصيره ذاك، مع حسن نيّته، قال: "فإن كان مخالفا لها وجب ردّه على قائله كائنا من كان، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ"، ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحقّ، اعتذر عنه في هذه المخالفة، وإلّا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته"، لاحظ هنا قوله: "ثم إن كان قائله معروفاً بالنصيحة والصدق في طلب الحقّ، اعتذر عنه في هذه المخالفة"، طبعاً هذا يلبس بعض أهل الباطل حالياً بأنّهم يدعون في صاحبهم وإمامهم هذه الدعوة، يقولون لك: هو من هذا القبيل، عندما نجد له عملاً كعمل الحافظ ابن حجر من كتب عظيمة، خدمة لدين الله سبحانه وتعالى، لا يستغني عنها طالب علم اليوم من طلبة الحديث عندئذ نقول: والله هذا من هذا القبيل، لكن إذا عُرِف بانصرافه إلى الدنيا وانشغاله بها وحبّه لها وحبّه لجمع المال وحبّه للتمتع بها، لا يُقال في مثل هذا بأنّه على هذا الوصف الذي ذكره الشيخ هنا، حتى وإن عمل أعمالاً هي مشتركة بين خدمة دين الله وجمعاً للمال، هذا لا يُثبت لنا ما كان يعمل الحافظ ابن حجر وغيره، فيجب التفريق بارك الله فيكم، ولا تُلبّسوا على البشر، وعلى خلق الله سبحانه وتعالى، ولا يتلبس عليكم الأمر فيخدعكم بمثل هذا الكلام، "وإلّا عومل بما يستحقه بسوء قصده ومخالفته". طيب، هنا سيبدأ بتكفير أهل التأويل وتفسيقهم.

نكتفي بهذا القدر ونترك هذا للدرس القادم، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لطاعته.

الدرس الرابع والعشرون وهو الأخير

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد وقفنا عند قول المؤلف: "فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟"، أهل التأويل: المقصود بهم الذين يحرفون نصوص الكتاب والسنة في أسماء الله وصفاته، فهنا سؤال: "فإن قال قائل: هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟" يقول الشيخ: "قلنا: الحكم بالتفكير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم" هذه القاعدة الأولى: أن الحكم بالتكفير والتفسيق، كذلك التبديع، والمؤلف لم يذكره لأن البدعة إما أن تكون بدعة مكفرة فيدخل في التكفير أو أن تكون بدعة مفسقة فيدخل في التفسيق، هذا كله أمره إلى الله سبحانه وتعالى وليس إلينا، ليس نحن الذين نحكم بذلك، إنما الأحكام تأتي من عند الله سبحانه وتعالى، نحن نجتهد في تطبيقها على الأشخاص المعيّنين، هذا دورنا، وإلا فالحكم لله سبحانه وتعالى، لذلك تجد أهل العلم من أهل السنة المنصفين لا تجدهم يكفرون من يكفرهم أو يفسقون من يفسقهم، ما هي ردة فعل، لا، إنما على حسب الدليل من الكتاب والسنة، فإذا ثبت أن الفعل مكفر أو مبدع أو مفسق وثبت أن شخصاً معيناً قد وقع في هذا الفعل وثبتت شروطه وانتفت موانعه عندئذ ينزلون الحكم على الشخص المعين كما أمروا في شرع الله سبحانه وتعالى، قال: "فهو من الأحكام الشرعية" يعني: الحكم على الشخص بالكفر أو الفسق أو البدعة هو حكم شرعي، "التي مردّها إلى الكتاب والسنة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت، فلا يكفر ولا يفسق إلا من دلّ الكتاب والسنة على كفره أو فسقه" خصوصاً التكفير أمره خطير لأنه يترتب على ذلك أمور أعظم من الأمور التي تترتب على التبديع والتفسيق، من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لأخيه كافر ولم يكن كذلك إلا ردت عليه" هذا أمر عظيم، والتكفير يترتب عليه استباحة الدماء واستباحة الأموال والتفريق بين

الأزواج وعدم التغسيل وعدم التكفين وعدم الدفن في مقابر المسلمين، أحكام كثيرة، التورث كذلك، وغيرها، فالأمر خطير، لذلك لا بدّ من التثبت منه جيداً، إذا ثبت إسلام شخص لا يُخرج عن الإسلام بسهولة حتى تثبت في الأمر تماماً، قال: "والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته" والأصل في المسلم الظاهر العدالة: يعني المسلم الذي عدالته ظاهرة فالأصل بقاء إسلامه وبقاء عدالته، يعني إن ثبت عندنا أنّ شخصاً مسلماً عدلاً ليس بفاسق ولا هو مبتدع، فالأصل عندنا أنّه مسلم عدل ليس بمبتدع حتى يأتي دليل واضح على خروجه عن الإسلام أو عن العدالة أو عن السنّة، قال: "وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي، ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأنّ في ذلك محذورين عظيمين: أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به" يعني: تكذب على الله وتكذب على الشخص الذي رميته بالكفر أو التفسيق وهو ليس بكافر ولا فاسق، اليوم وللأسف لما ركّ دين الكثير من الناس وضعف صار الرمي بالتكفير والتفسيق والتبديع من أسهل ما يكون عند الكثير من الناس الذين لا يتورعون في مثل ذلك، وهذا ملموس ولعلمكم تلتمسونه بكثرة وخصوصاً على مواقع التواصل الاجتماعي هذه، بارك الله فيكم، الإنسان إذا تحلّى بالورع والتقوى حاول أن يجتنب مثل هذه الأحكام بقدر استطاعته حتى يأتيه دليل واضح، بعد ذلك ينزّله على الشخص المعين، هذا إذا كان أهلاً لتنزيل الأحكام، إذا كان ماذا؟ إذا كان أهلاً لتنزيل الأحكام، اليوم أكثر الذين تصدروا لهذا ليسوا أهلاً لذلك، تقمّصوا أثواب العلماء وصاروا يرمون الناس يمينه ويسرة، بل والله للأسف أقول: البعض يظنّ نفسه سينال رتبة الصلابة في السنّة بمثل هذه الأفعال، أن يُقال: والله انظروا انظروا ما شاء الله، صلب في السنّة، قوي، ما شاء الله، لماذا؟ والله يشطب في الناس أولاً بأول، فلان كافر، فلان فاسق، فلان مبتدع، وماشي على الوتيرة هذه، لا والله خاب وخسر، الرفعة ونيل المراتب عند أهل العلم تُنال بتقوى الله سبحانه وتعالى، أن

تعرف منك التقوى وأن يلتمس منك الصلاح وأن يلتمس منك العلم وأن يلتمس منك النصيح لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وللإسلام والمسلمين، عندئذ تنال الرتبة الرفيعة، انظروا إلى سيرة السلف الذين كانوا يلقَّبون بمثل هذه الألقاب، إمام في السنة، صلب في السنة، فلان لا ترى مثله في بلده، من أين تجد هذه؟ هذه الألقاب لماذا حصلوا عليها؟ هل لأنهم فعلوا كفعلك الفاسد هذا؟ لا والله، لهم كلام في أهل البدع بحق وليس بباطل، وبورع أيضاً، لكن انظر إلى سيرتهم، تجدهم ينامون بالسنة ويمشون بالسنة ويصحون بالسنة ويعلمون بالسنة وأخلاقهم السنة، أفعالهم السنة، أقوالهم السنة، بهذا رفعهم الله سبحانه وتعالى، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الإخلاص وحسن الاتباع وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يجنبنا أصحاب القلوب المريضة هؤلاء الذين قد طمس الله على قلوبهم بالحسد والكذب والمرض في نفوسهم، نسأل الله السلامة والعافية، هذا المحذور الأول الذي تقدم معنا وهو أنك تفتري الكذب على الله وعلى المحكوم عليه أيضاً، المحذور الثاني: قال: "الثاني: الوقوع فيما نيز به أخاه إن كان سالماً منه، ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما" هذا الذي ذكرناه، هذا من أعظم مخاطر التكفير، يعني: إذا كفرته وهو ليس أهلاً للتكفير رجع الكفر عليك، "وفي رواية: "إن كان كما قال وإلا رجعت عليه"، وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ومن دعا رجلاً بالكفر" يعني: قال له: أنت كافر، "أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" يعني: إلا رجع عليه هذا الوصف، قال: "وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين: "لاحظ الآن كيف يتدرج معك المؤلف رحمه الله وغفر له جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، يتدرج معك في طريقة إيقاع حكم التكفير أو التفسيق أو التبديع على الشخص المعين، لاحظ كيف يتدرج معك، الأمر الأول حاول أن ينبهك إلى خطورة هذا الفعل ثم بعد ذلك إذا كنت أهلاً

لذلك امش على هذه الخطوات التي سيذكرها لك، نعم.

قال المؤلف رحمه الله: "وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين: أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق" يعني: عندما تريد أن تحكم على شخص بكفر أو بفسق يجب أن تثبت بأدلة الكتاب والسنة أن هذا الفعل كفر، تريد أن تحكم على من سب الله بأنه كافر مثلاً، أول شيء تفعله تستحضر الدليل على أن سب الله كفر، هل ثبت في الأدلة الشرعية أن من سب الله كافر، "قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون، لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم" إذاً عندي دليل شرعي، إذاً لست أنا من وضع هذا الحكم، إنما وضعه الله سبحانه وتعالى وأنا تأكدت من ذلك من خلال رجوعي إلى كتاب الله وسنة رسوله وإجماع علماء الإسلام، كذلك التفسير، أريد أن أحكم على شخص بفسق، القاعدة عندي أن من ارتكب كبيرة ولم يتب منها أنه فاسق، طيب، هل السارق فاسق؟ تريد أن تثبت أنه ارتكب كبيرة، هل يوجد في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؟ نعم، "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" والضابط عندنا في الكبيرة أنه إذا كان في العمل حد من حدود الله، الحدود التي يجب إقامتها على الشخص في الدنيا، أنها كبيرة، إذا فالسرقة كبيرة، فإذا سرق شخص ولم يتب إلى الله سبحانه وتعالى فهو فاسق، بهذه القواعد وبهذه الضوابط، بهذه الطريقة أنت أثبتت بداية أن الفعل أو القول أو الاعتقاد كفر أو فسق أو بدعة، تمام، ننقل إلى الخطوة الثانية، قال: "الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين، بحيث تتم شروط التكفير أو التفسير في حقه، وتنتفي الموانع" أولاً: تحتاج أن تثبت أن هذا الفعل الذي أثبت أنه كفري أو فسقي أن زيدا من الناس قد فعله، هذا الأمر الأول تريد أن تتأكد من هذا الموضوع، فكم من أبرياء يتهمون بأشياء هم بريئون منها لشبهة حصلت أو لكذبة كذبها كذاب أو غير ذلك، إذاً الأمر الأول: تثبت أن الفعل أو القول أو الاعتقاد كفري، الأمر الثاني: أن تثبت أن زيدا من الناس قد وقع في هذا الكفر، الأمر

الثالث: أن نتأكد من تحقق الشروط وانتفاء الموانع لتنزيل الحكم على المعين، بناءً على ذلك نصل إلى ماذا؟ إلى أن الذي يُنزل هذه الأحكام على المعينين يجب أن يكون عالماً أم جاهلاً؟ يجب أن يكون عالماً بكل هذه الضوابط وبكل هذه الأمور، يعلم موجبات التكفير، موجبات التفسيق، موجبات التبديع، يعلم الشروط والموانع، ويتحقق من وقوع الشخص في المكفر أو المفسق، أنظر؟ قضية تحتاج إلى شغل، ما هي فوضى كالموجود اليوم، كل من هبّ ودبّ يتصدر لمثل هذه الأحكام الخطيرة، لا، المسألة تحتاج إلى انضباط، تحتاج إلى تقوى، إلى صلاح في الشخص، نحن بالنسبة للشروط والموانع قد ذكرناها في شرحنا على نواقض الإسلام، ذكرناها هناك وأطلنا الكلام فيها واستوعبناها إن شاء الله، هنا المؤلف أيضاً يركّز على هذا الجانب، نعم.

قال المؤلف رحمه الله: "ومن أهم الشروط: أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً" الشرط الأول: العلم، وكل شرط ضده مانع، يعني: يمنع من التكفير: الجهل، أي المقصود بالعلم والجهل؟ يعني: أن الشخص الذي وقع في الكفر أو وقع في الفسق أو وقع في البدعة يكون عالماً بأن هذا الفعل كفر أو فسق أو بدعة ومع ذلك وقع فيه، هذا هو الشرط الأول، طيب إذا كان يجهل أن هذا الفعل كفر هو معذور بجهله، شخص تربى ونشأ في بيئة بعيدة عن أهل التوحيد، نشأ وهم يستغيثون بالنبي صلى الله عليه وسلم، يطلبون من الأولياء الرزق والولد وما شابه، الآن هذا الشخص وقع في الكفر أم لا؟ وقع في الكفر، لأننا نحن نثبت أن عبادة غير الله كفر "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً"، "واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً" طيب، هنا إذا أثبتنا أن عبادة غير الله كفر، شرك، وأثبتنا أن زياداً من الناس قد وقع في هذا الأمر وعبد غير الله بالاستغاثة به أو بدعائه أو بالذبح له أو بالنذر له، إلى آخره، ولكنه لا يعلم أن هذا شرك وأنه محرم، ويظن أنه قربة لله سبحانه وتعالى، وهنا زيادة مهمة وضعها بين قوسين وركّز عليها (ولم يقصر في التعليم)

هو في بيئة بعيدة عن العلم، بعيدة عن التوحيد وعن أهل التوحيد، ومهتم بأمر دينه ويحاول أن يتعلم ولكن ما فيه عنده علم أو ما خطر بباله أصلاً أن يكون هذا الأمر يحتاج إلى سؤال، عنده من المسلمات بناءً على البيئة التي عاش فيها، وظنّ أنّ هذا من التوحيد الذي لا يحتاج إلى سؤال أصلاً، وما جاءه أحد وقال له: هذا شرك وهذا حرام، أبداً، ولا خطر على باله هذا الأمر، مثل هذا معذور بجهله؟ نعم معذور، لكن لو كان يعيش بين أهل التوحيد ويسمع من يقول بأنّ هذا شرك ولا يجوز وعاند، ما بالي، أعرض عن كلامهم وانصرف، ولم يبالِ بالعلم ولا بأهله، مثل هذا لا يُعذر لأنّه مُعرّض عن دين الله، عن تعلّمه، فإذا بارك الله فيكم تحذرون من مسألة المبالغة في العذر بالجهل، وتحذرون أيضاً من التفريط في ذلك، فالناس اليوم ما بين إفراط وتفريط، قد فصلتُ ذلك في الصوتية الثانية من شرحي على شرح السنة للبرهاري، من أراد الزيادة فليطلع عليها هناك، قال: "ومن أهم الشروط: أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً" يعني: يعلم أنّ سبّ الله كفر مثلاً، يعلم أنّ الذبح لغير الله شرك، مثل هذا إذا فعله يكون قد فعل شيئاً هو عالم بأنّه مُحَرَّم أو كفر، بالنسبة لسبّ الله ننبه على الموضوع هذا، أسمع كثيراً من الشباب يدندن: لا بدّ من إقامة البيئة لمن يسبّ الله سبحانه وتعالى، لا بدّ أن تعلّمه لعله يكون جاهلاً، هذا القول في حد ذاته هو جهل، هل هناك على وجه الأرض شخص يجهل أنّ الواجب تعظيم الله سبحانه وتعالى؟ في هذا الشيء موجود؟ ليس موجوداً، كما قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، قال: هذا فرض ذهني، يعني غير موجود على الأرض إنّما هو في ذهنك فقط موجود، وهذا الحقّ، لا تجد عالم يقول بهذا الكلام، إنّما هو خرج من بعض الجهّال، ما فيه أحد يجهل أنّ الواجب هو تعظيم الله سبحانه وتعالى وأنّ سبّ الله مُحَرَّم لا يجوز، فلا يُقال مثل هذا، ممكن يُعذر بأعذار أخرى لكن الجهل لا، وليس من موانع التكفير سوء التربية، أيضاً تحذرون من هذا القول، هذا خطأ، سوء التربية ليس عذراً في عدم تكفيره، هذه زلّة من بعض الأفاضل، لأنّ

هذا القول مخالف لحديث النبي صلى الله عليه وسلم الواضح والصريح في ذلك: "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" هل كان عذر لليهودي والنصراني والمجوسي إذا بلغ أن يبقى على نصرانيته ومجوسيته ويهوديته كونه قد تربى على ذلك، ليس عذراً له باتفاق أهل العلم، إذا بلغته الحجّة وبقي على ما هو عليه فلا عذر له، إذا سوء التربية ليس بعذر، والله أعلم، قال المؤلف رحمه الله: "لقوله تعالى: "لماذا قال بهذا القول وهو العذر بالجهل؟ قال: "وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ" لاحظ قوله: "مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا" متى سيُصلى جهنم؟ من بعد ما تبين له الهدى وليس قبل ذلك، قال: "وقوله: "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ" بعد إذ هداهم أي: بعد الهداية وليس قبل ذلك، "حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" إذا لا بد من بيان ما يتقون، "وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" لاحظ هنا قوله: "حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ" إذا بعد الهداية، بعد أن يوفقهم الله سبحانه وتعالى ويهديهم، ما كان ليضلهم ولا يحرفهم عن الحق حتى يبين لهم ما يتقون، إذا هذا هو الشاهد، إذا لا تحصل العقوبة من الله إلا بعد البيان، "إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ"، قال: "ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له" ذكر العلماء مثلاً على ذلك، من كان حديث عهد بإسلام أو في قرية نائية بعيدة عن العلم وقال: الخمر ليس حراماً، اليوم لا نتعجبوا، اليوم يوجد بعض القرى النائية البعيدة عن ديار الإسلام من هم مسلمون في الأصل ولكنهم لا يعلمون أن الخمر حرام، يقول لك: الخمر يُشرب، ما في بأس، لماذا؟ ما بلغهم العلم، ما يعلمون، تربوا على الجهل، جيل بعد جيل، خصوصاً تلك الدول التي كانت تحت حكم الاتحاد السوفياتي الذي حرص جداً على القضاء على الإسلام في تلك البلاد، لا يعلمون، يحتاجون إلى دعوة، كذلك القرى التي في إفريقيا يحتاجون إلى دعوة، يحتاجون إلى

نشاط، هؤلاء يحتاجون إلى إيصال العلم الصحيح لهم، إذاً من كان حديث عهد بإسلام ووجد فريضة من الفرائض، فريضة الصلاة أو الصيام أو الحج، أنكرها: ما فيه صلاة ولا صيام ولا حج، لكنه حديث عهد بإسلام، ما يعرف ما هو الإسلام، أو كان في قرية نائية بعيدة عن الإسلام ولم يبلغه أنّ هذه الفريضة واجبة فمثل هذا يعتبر معذوراً عند أهل الإسلام وهذا في كتبهم مقرر بكثرة، نعم.

قال المؤلف رحمه الله: "ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:" ما معنى بغير إرادة منه، يعني: يفعل الفعل أو يقول القول وهو لا يريدُه وإنما وقع منه إما بالإكراه أو بالخطأ، فإذا الشرط هنا ما هو؟ لأننا قلنا ما من مانع إلا ضده شرط، وما من شرط إلا وضده مانع، طيب المانع هنا عدم القصد للفعل أو القول، إذاً الشرط: هو قصد الفعل أو القول، ما الذي يجعله غير قاصد؟ إما الإكراه أو الخطأ، إذاً الإكراه والخطأ من موانع التكفير لأنّ فاعل ذلك بالخطأ أو بالإكراه معذور، فتسمى هذه موانع، شرطه أن يكون قاصداً للقول أو الفعل، أنه هنا على خطأ يقع من البعض فيقع في قول المرجئة وهو لا يشعر، نقول: الشرط أن يقصد الفعل أو القول ولا نقول: يشترط قصد الكفر، لاحظ الفرق كبير، قصد الفعل أو القول سيأتي أمثلة من كلام الشيخ رحمه الله، لكن أن تقول لا يكفر حتى يقصد الكفر هذا قول المرجئة لأنّ المرجئة يقولون: الإيمان في القلب فقط، الأعمال ليست داخلية في الإيمان فلا علاقة لها بالكفر، فلا يُقال في الفعل هو نفسه بأنه كفر لكن الكفر في القلب، لذلك يقول لك: لا بدّ أن يقصد الكفر، قصد الكفر في قلبه حتى يكفر لأنّ الإيمان في القلب، إذاً الكفر أين يكون؟ في القلب، هذا قول المرجئة، أهل السنة: لا، عندهم الفعل نفسه كفر لأنّ الأعمال من الإيمان والأعمال أيضاً من الكفر، الأعمال من الإيمان أي داخلية في الإيمان، إذاً هي أيضاً تسمى كفراً، فالعمل نفسه كفري، تسجد للصنم، السجود للصنم هذا كفر، الفعل نفسه كفر، هذا عند أهل السنة والجماعة، المرجئة عندهم هذا الفعل ليس بكفر ولكنه

دليلٌ على الكفر فقط، المهم في القضية الآن أن تفهم: أن الشرط هو قصد الفعل أو القول وليس الشرط هو قصد الكفر، بما أنه فعل الفعل الكفري وتحققت فيه الشروط وانتفت الموانع فهو كافر ما علينا من قلبه وماذا فيه، نحن لنا الحكم على الظاهر ونفس الفعل كفر، من فهم هذا الحمد لله ومن لم يفهمه فليفهم أن الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد وقول وعمل، والكفر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، هذا المهم في الموضوع الآن، نرجع إلى موضوعنا: "ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:" يعني: يفعل الشخص الفعل الكفري أو يقول القول الكفري لكنه لا يريد قوله ولا يريد فعله، وقع منه إما بالإكراه أو بالخطأ، قال: "منها: أن يُكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به، فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى: "من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضبٌ من الله ولهم عذاب عظيم"" أذاً من يفعل الفعل مكرهاً يقال له: اسجد للصنم أو أقطع رقبتك الآن وأنا واقف أمامك فيسجد للصنم، هذا معذور لا يكفر بهذا الفعل أو سب النبي صلى الله عليه وسلم أو أقطع رقبتك، سب النبي كفر ويكون ذاك جاداً في قطع رقبتة فله رخصة في ذلك ولا يكفر إن سب، لماذا؟ لأنه مكره، "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً" من الذي يشرح بالكفر صدراً؟ من فعله من غير إكراه وهو مرید للقول أو الفعل هذا قد انشرح صدره بالكفر واطمئن به، ما عنده مشكل مع سب الرب أو سب الدين يخرجها من فمه كأنه يذكر اسمه أو شيء من هذا القبيل، أي: أشياء مباحة ما فيه أي مشكلة، مطمئن مرتاح جداً مع ذكره لهذه الكلمات، بل والله أعرف البعض يقول: لا أرتاح حتى أسب الرب، ماذا تريد أكثر من هذا؟ انشرح صدر بالكفر نسأل الله السلامة والعافية، قال: "ومنها" يعني: الصورة الآن التي ذكرها أن يكون مكرهاً فيكون قد فعل الفعل وهو غير مرید له، "ومنها أن يُغلق عليه فكره" يعني: تفكيره أغلق عليه ما يستطيع أن يستعمل عقله الآن

في هذا الموقف فيخرج منه الألفاظ خطأً أو يقع منه الفعل خطأً، "ومنها: أن يُغلق عليه فكره، فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك" أي سبب من الأسباب لكن المهم أن فكره قد أغلق عليه وما يعرف ما الذي يخرج من فمه هذا غير قاصد لهذا القول، والمثال في الحديث، قال: "ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح" ماذا قال؟ اللهم أنت عبدي وأنا ربك، قلب، لكن لماذا خرج هذا منه؟ خرج خطأً من شدة الفرح الذي أصابه فأغلق عليه فكره فخرجت اللفظة بهذه الطريقة، فهل يكفر بذلك؟ لا يكفر، لماذا؟ لأنه مخطئ، والخطأ مرفوع عن هذه الأمة كما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قال المؤلف رحمه الله: "قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص 180، ج 12) "مجموع الفتاوى" لابن قاسم: "وأما التكفير، فالصواب: أن من اجتهد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقصد الحق فأخطأ لم يكفر، بل يُغفر له خطؤه، ومن تبين له ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاصٍ مذنب، ثم قد يكون فاسقاً، وقد يكون له حسنات تَرَحَّحُ على سيئاته" اهـ" هذا بينه وبين الله سبحانه وتعالى قد تكون له حسنات ترحح على سيئاته لكن نحن في الدنيا ننظر إلى الخطأ الذي وقع فيه، فإن خالف فيه عقيدة أهل السنة والجماعة المقررة والمجمع عليها أو خالف أدلة الشرع المحكمة فهذا نحكم عليه بظاهر ما ظهر لنا من حاله، إذ أنه بوقوعه في هذه البدعة أظهر لنا ضلاله وانحرافه عن الحق لأنه

خالف أدلة محكمة واضحة وصريحة، بل وخالف إجماع السلف رضي الله عنهم، فنحن نحكم عليه بما ظهر لنا من حاله وأمره بينه وبين الله سبحانه وتعالى، ثم بعد ذلك ما في قلبه بينه وبين الله سبحانه وتعالى، أمّا نحن في الدنيا نحكم على الناس بما ظهر لنا من حالهم كما قال لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعدة نفيسة وقد قرّرها الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الأم" أنّ الحكم على الناس يكون بناءً على الظاهر كما كان يفعل النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين، فنحكم عليهم بما ظهر لنا من حالهم، قال: "وقال في (ص 229، ج 3) من المجموع المذكور في كلام له: "هذا مع أنّي دائماً ومن جالسي يعلم ذلك مني، أنّي من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنّه قد قامت عليه الحجّة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى" طبعاً الفاسق والكافر والعاصي يعني بالفسق: فسق البدعة وإلا لماذا فرق بين الفسق والمعصية وكلّها عنده بابها واحد، قال: "وأني أقرر: أنّ الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا بمعصية" وذكر أمثلة ثم قال: "وكنّت أبين أنّ ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضاً حقّ لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين" الإطلاق: أن تقول من فعل كذا فهو كافر ومن فعل كذا فهو فاسق لكنك لا تعين شخصاً معيناً، إذا أردت أن تقول زيد كافر وعمرو كافر مثلاً فلا بدّ أن تتحقق عندئذ الشروط وتنتفي الموانع، أمّا الإطلاق بشكل عام أن تقول من سبّ الله فهو كافر، من سجد لصنم فهو كافر، هذا إطلاق عام، أنت ما ذكرت شخصاً معيناً، هذا الأمر فيه أوسع من التنزيل على المعين، فذاك لا بدّ فيه من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، لكنّ المعروف عن السلف رضي الله عنهم أنّ من خالف أدلة الشرع المحكمة أنّهم يطلقون عليه التبديع على أقل الأحوال، وربما تكون بدعته هذه كفرية وربما تكون بدعته هذه فسقية على

حسب المسألة وعلى حسب الشخص، ولا بدّ من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، قال: "إلى أن قال: "والتكفير هو من الوعيد، فإنّه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم لكن قد يكون الرّجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجّة، وقد يكون الرّجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً"، قال: "وكنّت دائماً أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرّجل الذي قال: إذا أنا متّ فأحرقوني ثم اسحقوني ثم ذروني في اليمّ، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذاباً ما عذّبه أحداً من العالمين، ففعلوا به ذلك، فقال الله: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له"، قال: "فهذا رجلٌ شكّ في قدرة الله" لماذا؟ لأنّه قال: لأن قدر الله عليّ، وهذا يشكّ في قدرة الله، يعني: ربّما يقدر وربّما لا يقدر، قال: "فهذا رجلٌ شكّ في قدرة الله وفي إعادته إذا ذرّيتي، بل اعتقد أنّه لا يُعاد، وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمناً يخاف الله أن يعاقبه، فغفر له بذلك، والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم أولى بالمغفرة من مثل هذا" اهـ ، وبهذا علّم الفرق بين القول والقائل وبين الفعل والفاعل، فليس كلّ قول أو فعل يكون فسقاً أو كفراً يُحكم على قائله أو فاعله بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص 165، ج 35) "مجموع الفتاوى": "وأصل ذلك: أنّ المقالة التي هي كفر بالكتاب والسّنة والإجماع يُقال هي كفر قولاً يُطلق كما دلّت على ذلك الدلائل الشرعية" قولاً يُطلق يعني: لا يُعين به شخص معين، قال: "فإنّ الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ليس ذلك مما يحكم فيه النّاس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم في كلّ شخص قال ذلك بأنّه كافر حتى يثبت في حقّه شروط التكفير وتنتفي موانعه، مثل من قال: إنّ الخمر أو الرّبا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره ولم يعتقد أنّه من القرآن ولا أنّه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم".

عليه وسلم كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن النبي صلى الله عليه وسلم قالها" إلى أن قال: "فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجّة بالرسالة، كما قال الله تعالى: "لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ" وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان" اهـ كلامه، وبهذا علم أن المقالة أو الفعلة قد تكون كفرًا أو فسقًا، ولا يلزم من ذلك أن يكون القائم بها كافرًا أو فاسقًا، إمّا لانتفاء شرط التكفير أو التفسيق أو وجود مانع شرعي يمنع منه" لكن من انتسب إلى غير الإسلام أعطي أحكام الكفار في الدنيا، أي: شخص ما أظهر الإسلام فهو كافر ويعطى أحكام الكافر في الدنيا، "ومن تبين له الحق فأصرّ على مخالفته تبعاً لاعتقادٍ كان يعتقده أو متبوع كان يُعظّمه أو دنيا كان يؤثرها فإنه يستحق ما تقتضيه تلك المخالفة من كفر أو فسوق"، قال المؤلف: "فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيجعلهما إماماً له يستضيء بنورهما ويسير على منهاجهما، فإنّ ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله تعالى به في قوله: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"، وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين، فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إماماً لا تابعاً، وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى لا أتباع الهدى، وقد ذمّ الله هذه الطريق في قوله: "وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ" والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب العجيب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف، ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه وافتقاره هو إلى ربه فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سُؤْلُهُ، يقول الله تعالى: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ

الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلَيْسَتْ جِبُوتِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ"، فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن رأى الحقَّ حقاً واتبعه، ورأى الباطل باطلاً واجتنبه، وأن يجعلنا هداة مهتدين، وصالحاء مصلحين، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ويهب لنا منه رحمة إنّه هو الوهاب، والحمد لله ربّ العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمة وهادي الأمّة إلى صراط العزيز الحميد بإذن ربّهم، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم في اليوم الخامس عشر من شهر شوال سنة 1404 هـ.

بقلم مؤلفه الفقير إلى الله: محمد الصالح العثيمين

رحمه الله وغفر له وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، هذا خلاصة ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب، وإني أحذر كلّ التحذير من التقليد الأعمى والتعصب للأشخاص فلاأسف والله بعض الطلبة من الذين يدعون السنّة ويدعون السّلفية عندما خالف شيخه أدلة محكمة ونصوصاً واضحة صار يتعصب له ويحاول أن يغيّر ويبدل في الأدلة الشرعية من أجل أن يُخرج قول شيخه هو الصواب، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأي سلفية هذه التي تُدعى، ليس كلّ من ادعى السّلفية فهو سلفي، نسأل الله السلامة والعافية، نوصيكم بتقوى الله سبحانه وتعالى وأن تستعملوا هذا العلم في نشره وفي إخلاص العمل لله سبحانه وتعالى، والعمل بكتاب الله وسنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحن في زمن كثرت فيه الفتن والناس في حاجة إلى من يعلمهم أمر دينهم، فأخلصوا في ذلك لله سبحانه وتعالى وابتعدوا عن أمراض النفوس من حبّ الرياسة والتصدر ومن الحسد والكذب والغلّ الذي يحصل عند كثير من طلبة العلم، نسأل الله سبحانه وتعالى أن يرزقنا وإياكم التقوى وأن يُعلّمنا العلم النافع وأن يجعلنا هداة مهتدين، والحمد لله ربّ العالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

تم والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
جزى الله خيراً كلّ من كان عوناً في هذا العمل الطيب المبارك
وأخص بالذكر:

شيخنا الحبيب:

أبا الحسن علي بن مختار الرملي
حفظه الله تعالى وزاده من فضله
إخوتنا في معهد البصيرة العلمي بأورفا - تركيا-
فقد كانت لهم اليد الطولى في تفريغ الشرح
وفقههم الله وزادهم من فضله.